الأربعين النووية

للحافظ النووي- رحمه الله

شرح وتعليق الفقير الى الله

عيسى بن سالم بن سدحان العازمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله, وأُصلي وأُسلم على نبينا محمد, وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

سنشرع إن شاء الله في التعليق على الأربعين النووية للحافظ النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وهذه الأربعين النووية معروفة, وقد شُرحت شرحًا صوتيًا وشرحًا كتابيًا, وهذه الأربعين هي في الأصل اثنين وأربعون حديثًا, وإنما قال أربعون تغليبًا لجانب الأربعين, بعدم ذِكر الكسر.

والحافظ النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ألَّف هذه الأحاديث, وقد ذكر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أنه ألفها غيره ألف نصف هذه الأربعين أي ألف ستة وعشرين حديثًا, ثم بدا للنووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أن يُكملها.

وهذه الأحاديث جامعة, كما سيأتي معنا إن شاء الله.

ومن أراد أن يتعرف على الحافظ النووي رحمه الله تعالى فليرجع إلى الكتب المؤلفة في ذلك.

نبدأ إن شاء الله في الحَدِيث الأول, لأن المقصود هو التعليق وليست الإطالة, وسيكون التعليق إن شاء الله غير مخل.

الحَدِيث الأول

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الحَدِيث الأول: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»، رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْمُغِيرَة بن بَرْدِزبَه الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بنُ الْحَجَّاج بن مُسْلِم الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحَيْهِمَا اللذِينِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ.

الشرح

ذكر النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى هذا الحَدِيث, وهذا الحَدِيث ميزانٌ للأعمال الباطنة.

وهذا الحَدِيث ذكر بعض العلماء : أنه نصف العلم, وهو حديث جليل ينبغي أن يقرأه الإنسان ويحفظه.

ولذلك البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى جعله أول حديث في الصحيح, وذكر بعض العلماء أنه ينبغي لكل مصنف أن يقدِّم هذا الحَدِيث, لأن الأعمال بالنيات, فينظر الإنسان في نيته هل هي لله؟ أو لسوى ذلك.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الحَدِيث الأول: وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ: أمير المؤمنين هو عمر بن الخطاب, وهو الخليفة بعد أبي بكر, وأبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عهد إليه بالخلافة.

قال: أبو حفص: حفص هو الأسد , وهو لقب لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ, وعمرَ بن الخطاب: هو صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وهو أفضل هذه الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد أبي بكر, وله من الفضائل الشيء الكثير, فضائل عمر كثيرة جدًا, ومن أراد ذلك فليرجع إلى الكتب المصنفة في ذلك.

قال: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا»: إنما أداة حصر. تدل على حصر الحكم في المذكور ونفيه عما سواه.

«إنما الأعمال بالنيات»: الأعمال جمع عمل, وقوله: بالنيات: النية في اللغة هي القصد.

وأما في الشرع: العزم على فعل العبادة تقربا إلى الله تعالى.

قال: «إنما الأعمال بالنيات»: يعني هذه الأعمال والطاعات, بالنيات.

«وإنما لكل امرئ»: يعني انسان, « ما نوى»: يعني ما نواه, فإن كان العمل لله أُجر عليه, وإن كان لغير الله فهو لما نوى.

قال: «فمن كان هجرته إلى الله ورسوله»: يعني من كانت هجرته إلى الله يريد ثواب الله عَزَّ وَجلَّ ويريد أن يهاجر إلى البلد الذي يُعبد فيه الله عَزَّ وَجلَّ ويُظهر فيها دينه.

ورسوله يعني في حال حياته عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم يهاجر إلى المكان الذي فيه النبي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم ليتعلم الدين منه ويجاهد معه ونحو ذلك.

أما بعد وفاته: فيهاجر إلى البلد الذي يُظهر دين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه.

قال: «فهجرته إلى الله ورسوله»: يعني له ثواب الهجرة, فمن كان نوى بالهجرة أن يهاجر إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله, يعني ثوابًا وأجرًا.

ثم قال: «ومن كان هجرته لدنيا يصيبها»: يعني هاجر وخرج من بلده بلد الكفر إلى بلد الإِيمَان ولكن لدنيا يصيبها, يريد أن يصيب شيئًا من الدنيا, يأخذ المال والجاه ونحو ذلك.

«أو امرأة ينكحها»: أليست المرأة من الدنيا؟ بلى, ولكن خُصت المرأة لعظيم الفتنة بها.

قال: «أو امرأة ينكحها»: أي يتزوجها, يعني ما خرج من بلد الكفر إلى بلد الإسلام إلا لينكح هذه المرأة.

قال: «فهجرته إلى ما هاجر إليه»: أي إلى ما ذهب إليه, وهنا ما ذُكر ما بعدها تحقيرًا لما خرج إليه, يعني كيف يخرج من بلد الكفر إلى بلد الإسلام لأجل امرأة ينكحها.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيره:

من فوائد الحَدِيث: أنه يجوز التكني بالكُنى التي لا بأس بها من الحيوانات ونحو ذلك, كأن يقول: يا أبا أسد, يا أبا صقر , هذا ليس فيه إشكال, لأنه قال: عن أبي حفص, وحفص هو الأسد.

ومن فوائد الحَدِيث: أن الأعمال بالنيات, فما من عمل يعمله الإنسان إلا وله نية, ما يمكن أن الإنسان يعمل ويمشي في الأرض إلا وله نية, فإذا خرج الإنسان من بيته إلى المسجد فله نية, هل نوى يصلي؟ هل نوى يخرج يرائي الناس؟ ماذا يريد؟

لذلك يقول بعض العلماء: لو أمرنا الله عَزَّ وَجلَّ بعمل بلا نية لكان من تكليف ما لا يُطاق, لا يمكن أن يعمل الإنسان عملًا وليس له نية.

قال: إنما الأعمال بالنيات, واعلم أن النية لها مبحثان:

الأول: نية العمل.

الثاني: نية المعمول له.

نية العمل: فائدتها: تمييز العبادات بعضها عن بعض, فمثلا إنسان دخل المسجد بعد طلوع الفجر وصلى ركعتين, هل هي صلاة الفجر أم سنته الآن كيف نميز بالنية, ينوي بقلبه أنها صلاة الفجر , أو ينوي بقلبه أنها سنة الفجر.

أيضًا من فوائد النية: تمييز العبادات من العادات, إنسان اغتسل, هل يغتسل من جنابة فهي عبادة, أو يغتسل للتبرد, بالنية تميز هذا.

وأيضًا من مباحث النية: نية المعمول له, ويُعبِّر عنها بالإخلاص, بحيث يكون العمل الباعث له الإخلاص, لأن المدار على النية.

الإنسان قد يعمل العمل ويؤزر عليه, قد يصلي ولا يأخذ أجرًا لأنه نوى بصلاته مراءاة الناس, حتى يقولون: فلان يصلي, فلان صاحب صلاة, فلان صاحب طاعة, فهذا يأثم ولا يؤجر, نسأل الله العافية.

أما الإنسان الآخر صلى رجاء لله, وخوفًا ومحبة لله, هذا يؤجر, فبالنية تغيَّر العمل.

ولكن فيه تنبيه: وهو أن النية لا يعلمها إلا الله, أنت رأيت إنسان يصلي, تأخذ الظاهر, تقول: هذا إنسان يصلي, والله عَزَّ وَجلَّ يتولى السرائر, يعلم ما في قلب هذا الرجل.

والإخلاص: هو أن يكون الباعث للعمل إرادة وجه الله عَزَّ وَجلَّ, وهذه مهمة جدًا, ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك, من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشِركه», فلا يمكن أن يكون العمل الذي يُشرك فيه غير الله عَزَّ وَجلَّ يقبل فالله تعالى لا يرضى أن يُشرك به , لا بالنية ولا بغيرها.

وهذه النية أمرها سهل, إذا كان الإنسان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه, ولا ينظر إلى الناس, سواء مدحوه أو سبوه أحبوا أو كرهوا, لا يكون همه الناس, لأن الناس ما ينفعون, الناس لن يضروك ولن ينفعوك, ولا يُدخلوك الجنة ولا ينجوك من النار,

والناس ربما اليوم مادح وغدًا ساب, لا تلتفت لكلام الناس, أنت اعمل العمل لله وأخلص النية له .

وهنا أمر ينبه عليه: وهو أن بعض الناس يترك العمل يقول: أخاف أن يقع في قلبي أنه ليس لله:

وهذا ليس بصحيح, ولذلك عليك أن تعمل العمل وتُخلص وتُجاهد نفسك.

وأسباب الإخلاص كثيرة: منها: النظر في النصوص الداعية للإخلاص, مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر: ٣].

وأيضًا يزهد في مدح الناس, لا يأتي إلى الناس ويقول: أنا مصلي أنا كذا,أنا كذا بل يزهد في كلام الناس.

ومن الفوائد: أن الإنسان قد يخرج من بلده بلد الكفر إلى بلد الإسلام لله ولرسوله, يهاجر في سبيل الله, فيؤجر ويكون في أعلى المنازل.

واعلم أن الهجرة ثلاثة أنواع:

هجرة عمل, وهجرة عامل, وهجرة مكان.

هجرة عمل: بحيث يهجر كل ما نهى الله ورسوله عنه, يهجر الغيبة والنميمة والكذب والزنى وشُرب الخمر, يهجرها ويتركها ويبتعد عنها.

لذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده, والمهاجر مَن هجر ما نهى الله عنه»**, يعني تركه وابتعد عنه.

أيضًا الثاني: هجرة عامل, بحيث يكون الإنسان عاصيًا فتهجره, تهجره لعله أن يصلح, مثلًا يكون لك ابن تارك لصلاة فتهجره فترة.

لذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث: يلتقيان فيُعرض هذه ويُعرض هذا, وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**.

واعلم أن هجر العاصي مثل الدواء: إن أفاد فاهجر, وإن لم يُفد فلا تهجر, لذلك بعض العصاة إذا هجرته زاد, وبعضهم إذا هجرناه وتركناه فلا نُسلم عليه يحزن في قلبه ويستغفرويتوب, فهو مثل الدواء.

واختلف العلماء في حكم هجر العاصي: والظاهر والله أعلم أنه مثل الدواء: إذا رأيت أن الهجر يفيد فاهجره, وإن رأيت أنه لا يفيد فلا تهجره.

لذلك يقول بن عبد القوي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

وهجران من أبدى المعاصي سنة ... وقد قيل إن يردعه أوجب وأكد

وقيل على الإطلاق ما دام معلنًا ... ولاقه بوجه مكفهر معربد

***

ومن الفوائد: أن الهجرة قد تكون لغير الله, قد يخرج الإنسان من بلد إلى بلد ولكن يريد دنيا أو يريد امرأة أو يريد مال فهذا مأزور وغير مأجور.

ومن الفوائد: أن الهجرة إلى الله ورسوله باقية, والهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام واجبة بشرطين:

إذا كان الإنسان في بلد الكفر ولا يستطيع أن يُظهر دينه, بحيث لا يستطيع أن يتعبد لله ولا أن يُظهر دينه, فهذا يجب عليه أن يهاجر.

الشرط الثاني: أن يكون له قدرة, فالرجل يجب عليه إذا كان قويًا, أما إذا كانت امرأة ضعيفة أو إنسان ضعيف فهذا يجب عليه إذا قدر, أما إذا كان في بلد الكفر واستطاع أن يُظهر دينه ويدعوا إلى الله ويستفيد الناس منه فالأصل أن يبقى, يبقى في بلاد الكفر ويدعوا إلى الله.

وهذا الحَدِيث كما تقدم أن له فوائد كثيرة, ولكن لعلنا آخذ شيئًا من هذه الفوائد.

فائدة: إذا اتفق البخاري ومسلم على حديث فهو من أصح الأحاديث فلا تسأل: هل هو ثابت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا لأنه صحيح.

وأيضًا إذا قال رواه البخاري, فلا تنظر هل هو صحيح أو لا, لأن البخاري اعتمد في صحيحه على الصحة.

وأيضًا إذا رواه مسلم لا تنظر.

لذلك , البخاري كان يقوم في الليلة الواحدة عشرين مرة حتى يكتب حديثًا واحدًا , وكان لا يأخذ من الرجل حتى يلاقيه ويسمع منه, ويتأكد أن هذا قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد اختبروه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أتوا بأحديث فقلبوا الأسانيد, فقال: هذه الأحاديث لا أحفظها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فقالوا: كيف أتت؟ فأعاد الأسانيد كما هي.

فالذي يقول: أنا ما آخذ بأحاديث البخاري: هذا لا يعرف علم البخاري رحمه.

وأيضًا مسلم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فهو من الأحاديث التي تعتبر من أصح الأحاديث بعد البخاري.

الحَدِيث الثاني

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَعَنْ عُمَررَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ, فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْت إِلَيْهِ سَبِيلًا», قَالَ: صَدَقْت, فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ, قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ», قَالَ: صَدَقْت, قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ, قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك», قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ, قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ», قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ», ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟», قَلْت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ, قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ», رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

هذا الحَدِيث حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ, وفيه قصة جبريل عليه السلام لما أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة رجل.

وهذا الحَدِيث له شأن عظيم, ولذلك قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: إن هذا الحَدِيث ينبغي أن يُسمى أُم السُنَّة, لأنه جامع للمعاني, وذلك لأنه حوى كثيرًا من الأمور المهمة, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في آخره: «يعلِّمكم دينكم».

ففيه الإسلام والإيمان والإحسان, وأشراط الساعة ونحو ذلك.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وَعَنْ عُمَررَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا: أيضًا يعني رجوعًا على ما قبل, لأن الحَدِيث الذي قبله لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: بينما: ظرف زمان, بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ: والعِندية تدل على القرب من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: ذَاتَ يَوْمٍ: أي في يوم من الأيام.

إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا: إذ فجائية, طلع علينا فجأة, طلع علينا رَجُلٌ: يعني رجل غير معروف.

قال: شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ: يعني ثيابه ناصعة البياض, ليس عليها غبار ولا نحو ذلك.

شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ: يعني شعره أسود, ليس فيه شيء, فيدل على أن هذا, الرجل شاب.

قال: لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ: أي لا يُرى عليه أثر المسافر, وذلك أن الإنسان إذا سافر أثَّر فيه السفر, كالغبار ونحو ذلك من التعب, فهذا الرجل لا يُرى عليه أثر السفر.

قال: وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ: أي معشر الصحابة لا يعرفه أحد من الصحابة.

قال: حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حتى للغاية, حتى جلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ: أي جعل ركبتي نفسه إلى ركبتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسندها إلى, ركبتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ: أي فخذي نفسه, وضع كفيه على فخذي نفسه, وفي هذه الحالة يريد التعلم.

وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: نادى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه المجرد, لئلا يعرفه أحد من الجلوس, وذلك أن الأعراب كانوا ينادون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقولون: يا محمد, فهو أراد ألا يُعرف, قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟

أَخْبِرْنِي ما هو الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجيبًا له: «**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**», الإسلام أن تشهد بلسانك مقرًا بقلبك: أن لَا إِلَه إِلَّا الله أي لا معبود بحق إلا الله, فهذا معنى لَا إِلَه إِلَّا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

قال:«وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»: هذه قرينة لَا إِلَه إِلَّا الله, لا بد أن تشهد أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله, يعني مُرسل من الله عَزَّ وَجلَّ.

«وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ»: يعني تأت بها بشروطها وواجباتها وأركانها ونحو ذلك, فإقامة الشيء يعني إتمامه.

«وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ»: يعني تؤدي الزكاة المفروضة.

«وَتَصُومَ رَمَضَانَ»: يعني تصوم الشهر الذي افترضه الله عَزَّ وَجلَّ.

«وَتَحُجَّ الْبَيْتَ»: من الإسلام أن تحج البيت,«إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»: الحج ركن من أركان الإسلام, ولكنه واجب عند الاستطاعة, لذلك قال: «إن استطعت إليه سبيلًا», والاستطاعة تكون بالمال والبدن.

قَالَ: صَدَقْتَ: هذا الرجل السائل سأل ثم قال: صدقت فيما قلت عن الإسلام, فَعَجِبْنَا: والعَجَب هو أمر يحدث للإنسان فيتعجب كيف أنه يسأل ويصدِّق, والعادة أن الإنسان السائل لا يكون عنده علم, فعجبنا له يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! يعني يسأله السؤال ويقول: صدقت فيه, لأن عنده علمٌ به.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ.

الإيمان لغة: هو التصديق, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول عن أبناء يعقوب:﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾[يوسف: ١٧], يعني وما أنت بمصدِّق لنا.

وفي الشرع: هو الإقرار بالقلب المستلزم للقول والعمل.

قال: الإيمان:«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ»: يعني تؤمن بالله, والإيمان بالله عَزَّ وَجلَّ يتضمن أربعة أمور:

الإيمان بوجوده, الإيمان بربوبيته, الإيمان بأسمائه وصفاته, الإيمان بألوهيته, لا بد من هذه الأربع.

قال: «وَمَلَائِكَتِهِ»: الملائكة عالم غيبي خلقهم الله عَزَّ وَجلَّ لعبادته,﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[التحريم: ٦], ووكَّلهم الله عَزَّ وَجلَّ بأعمال.

والإيمان بالملائكة يتضمن أمور:

الإِيمَان بوجودهم, الإِيمَان بما علمنا منهم, الإِيمَان بصفات مَن علمنا منهم, الإِيمَان بأسماء مَن علمنا منهم, فلا بد من الإِيمَان بهذه الأمور.

قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه»: والكُتب جمع كتاب, الله عَزَّ وَجلَّ أنزل الكتب على هذه الأمة وعلى الذين من قبلها, والإيمان بالكتب يتضمن الإِيمَان بأنها منزلة من الله عَزَّ وَجلَّ, وأن نُصدِّق ما صح فيها, أما القُرآن فنصدِّقه جميعًا, وأما الكتب المتقدمة فنصدِّق ما لم يُحرف منها, مثل التوراة والإنجيل نصدق ما لم يُحرف منها.

وأيضًا: الإِيمَان بأن كل رسولٍ أتى بكتاب.

« ورسله»: والرسل جمع رسول, والرسول: هو من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه لقوم كفار, والنبي هو من أوحي وأُمر بالتبليغ لقومٍ مؤمنين, كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

والرُسل الإيمان بهم يتضمن الإِيمَان بأن الله عَزَّ وَجلَّ جعل في كل أمة رسولًا, وأيضًا تصديقهم بأنهم مرسلون من الله, وأيضًا يتضمن تصديق ما جاءوا به, ونصدِّقهم فيما جاءوا به لأنه من عند الله عَزَّ وَجلَّ.

قال: «واليوم الآخر»: اليوم الآخر هو يوم القيامة, وسمي آخر: لأنه لا يوم بعده, واليوم الآخر هو كل ما كان بعد الموت, فيدخل فيه خروج الروح وأيضًا نعيم القبر وعذاب القبر, والحشر والوقوف بالموقف, ويدخل فيه الصراط والميزان ويدخل فيه دخول الجنة والنار, وهذا كله من اليوم الآخر.

قال: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»: القدر هو قُدرة الله كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

والقدر: هو ما قدَّره الله عَزَّ وَجلَّ في الأزل أن يكون, وسبق به علمه عَزَّ وَجلَّ, واقتضت حكمته أن يكون, وشاء ذلك, وخلقه, فالله عَزَّ وَجلَّ قدَّر أمورًا لا بد أن تقع, وعلمها عَزَّ وَجلَّ قبل وقوعها, وقدرها وكتبها, وشاءها سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

فالقدر هو قدرة الله, لذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول:

فحقيقة القدر الذي حار الورى ... في شأنه هو قدرة الرحمن

وأستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضا الرباني

***

فالقدر هو سر الله عَزَّ وَجلَّ في خلقه, والقدر يتضمن أربعة أمور, لا بد أن تؤمن بأربعة أمور:

الأول: العلم: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ عَلِم ما الخلق عاملون, و عَلِم عَزَّ وَجلَّ كل شيء, سواءً كان من فعله عَزَّ وَجلَّ أو فعل خلقه قبل أن يوجِدهم أزلًا وأبدًا, يعني في الماضي الذي لا بداية له, وفي المستقبل الذي لا نهاية له, فعلم الله عَزَّ وَجلَّ محيط علمه بجميع الأشياء جملة وتفصيلًا, فلا بد أن تؤمن بها.

الثاني: الإيمان بأن الله عَزَّ وَجلَّ كتب ما وقع وما سيقع في هذه الدنيا إلى يوم القيامة, فلا بد من الإيمان بمثل هذا, لذلك جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»**.

وجاء في حديث عبادة بن الصامت لما نصح ابنه وأوصاه قال: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك, وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في حديث ابن عباس كما أوصاه, قال: **«واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك, وما أخطأك لم يكن ليصيبك»**.

الثالث: أن تؤمن أن ما شاء الله عَزَّ وَجلَّ كان, وأن ما وقع قد شاءه الله, وما لم يقع لم يشأه الله, فما من شيء يقع إلا الله عَزَّ وَجلَّ شاء ذلك أن يقع, فتؤمن بأن مشيئة الله عَزَّ وَجلَّ شاملة, وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولم يقع, وما سيقع هو بمشيئة الله.

الرابع: أن يتضمن أيضًا الإيمان بأن ما من مخلوق إلا الله خالقه, الله عَزَّ وَجلَّ خلق الخلق, فتؤمن بأن جميع المخلوقات خلق لله الله خلقها وأوجدها ورزقها, فتؤمن بأن الله عَزَّ وَجلَّ أوجد المخلوقات .

وقوله: «خيره وشره»: الخير معروف, والخير مراد لله عَزَّ وَجلَّ كونًا وشرعًا, أو يقال: بأن القدر قدره الله عَزَّ وَجلَّ كونًا, وهو خير في الواقع, كونًا قدره, وفي واقعه خير مثل الخصب والأمطار, فكونًا قدرها الله عَزَّ وَجلَّ, وشرعًا هي خير.

وقوله: «وشره»: الشر من حيث المفعول والمخلوق, وليس في فعل الله, ففعل الله كله خير.

لذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «والشر ليس إليك».

أما المفعول فقد يكون فيه الشر.مثل ذهاب الأمطار وجفاف الأرض: هذا في المفعول شر, ولكن من حيث فعل الله عَزَّ وَجلَّ فهو خير, لأن الله عَزَّ وَجلَّ ما فعل ذلك إلا لحكمة, ولأجل أن يرجع الخلق لربهم, ويعلمون أنهم فقراء إليه.

لذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم: ٤١].

فمن حيث فِعل الله عَزَّ وَجلَّ فهو خير, كله خير, وأما من حيث المفعول فقد يكون فيه شر, وأيضًا هذا الشر ليس شر محض, قد يكون شر من وجه وخير من وجه آخر.

فالمرض بالنسبة للمريض الذي يمرض هذا بالنسبة له شر, ولكن قد يكون خير من وجه آخر, وذلك أن هذا المريض يلجأ إلى الله ويتوب ويستغفر, فيكون خيرًا له.

ويكون خيرًا لغيره, يراه الغير فقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاني به, ونحو ذلك, فهو ليس شر محض.

قَالَ: صَدَقْت: يعني جبريل صدَّق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ,قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ؟ الإحسان هو الإتقان أي إتقان العمل يسمى إحسانًا في اللغة.

وأما تعريفه شرعًا فقد عرفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»: العبادة هي التذلل والخضوع حبًا وتعظيمًا, أي تعبد لله عَزَّ وَجلَّ ذُلًا وخضوعًا وتعظيمًا كأنك تراه رأي العين, بحيث أن تستشعر كأنك واقف بين يدي الله, فتعبد الله فتكون أعمالك كلها خالصة لله, بحيث إذا وقفت في الصلاة لا تنظر ولا تريد إلا وجه الله عَزَّ وَجلَّ, يعني لا تريد إلا وجه الله عَزَّ وَجلَّ ولا تنظر إلى الناس, مدحوك أو سبوك , لا تنظر إلى الناس بل تُخلص عملك لله وتلجأ إليه.

قال: «أن تعبد الله كأنك تراه, فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ»: هذه الدرجة الثانية, «فإن لم تكن تراه فَإِنَّهُ يَرَاكَ»: أي إن لم تستطع أن تكون على المرتبة الأولى فكن على المرتبة الثانية, أن تعلم بأن الله عَزَّ وَجلَّ يراك, فاحذر أن تعصيه وأن تخالف أمره لأنه يراك, فاخش الله عَزَّ وَجلَّ إذا كنت وحدك, فإذا كنت وحدك فاعلم علم اليقين أن الله عَزَّ وَجلَّ يراك, وقادر على أن يأخذك, فاحذر من ذلك.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ: أي أعلمني عن الساعة, والساعة هي يوم القيامة.

وسميت ساعة: لأنها تأتي فجأة و الساعة هي القطعة من الزمن, الساعة تأتي في زمن قدَّرها الله عَزَّ وَجلَّ أن تقع فيه, فجبريل سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الساعة.

قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا»: المسئول هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ,«بِأَعْلَمَ»: , «مِنْ السَّائِلِ», والسائل هو جبريل عليه السلام, فلا النبي يعلم الساعة ولا جبريل يعلم الساعة.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ أي علاماتها, أي أن الساعة تقدمها علامات وأشراط.

وعلامات الساعة أقسامها ثلاثة كما قال العلماء:

القسم الأول: علامات وقعت وانقضت: كبعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفتح بيت المقدس, والمرض الذي يأخذ بالناس, والنار التي تخرج, وموت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وكثير من أشراط الساعة خرجت وانقضت.

القسم الثاني: علامات تقع وتتجدد, منها: تطاول الناس في البنيان, وزخرفة المساجد, وتسارع الزمان, وكثرة الشُح, وقلة الأمانة, والتناحر بين الناس, وكثرة شرب الخمر, وظهور الزنا, فهذه بعض العلامات التي تقع وتتابع.

القسم الثالث: علامات لم تقع, ومنها العلامات الكبرى مثل نزول عيسى ابن مريم, والدجال, ويأجوج ومأجوج, والكسوف ونحو ذلك, هذه ما وقعت.

وأيضًا من علامات الساعة الصغرى بعضها ما وقعت, وتقع مع علامات الساعة الكبرى.

قال: فأخبرني عن علاماتها؟ فذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علامات الساعة قال:

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا»: الأمة هي المملوكة تكون مملوكة للسيد يجوز أن يطأها لأنها ملك يمين, الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦].

قال: «أن تلد الأمةُ ربتها»: وربتها يعني سيدتها, فهذا من علامات الساعة.

ومعنى ذلك: أن المرأة يطأها سيدها, ثم تلد, وهذا الولد يكون تابعًا لأبيه, والأب حُر, فيكون هذا المولود حرًا, فيكون بمنزلة السيد المالك لأمه, لأن أمه أمةٌ مملوكةٌ لأبيه, فيكون كأنه سيد, وهذا من التفاسير التي ذكرها العلماء.

وقيل: أن آخر الزمان يكثر العقوق, حتى أن الولد يُصبح كالسيد على أمه فيأمرها وينهاها, ويرفع صوته عليها ونحو ذلك, فيُصبح كالسيد لها, نسأل الله العافية.

وقيل: أنه في آخر الزمان يكثر الإماء, فيطأ السيد أمةً فتلد, ثم يبيعها, ثم يبقى ولده, فيكبر هذا الولد ثم يشتري أمه وهو لا يعلم أنها والدته.

قال: «أن تلد الأمة ربتها, وأن ترى الحفاة»: الحفاة يعني حافي القدمين لا يلبس نعالًا, هذا يدل على شدة الفقر, «رعاء الشاة»: يعني الذي يرعى الغنم, فالرعي هو الذي يرعى الغنم, «العالة»: يعني الفقير, «رعاء الشاة يتطاولون في البنيان»: يعني يتسابقون في التطاول

في البنيان, أيهم يكون أطول من الآخر, مثل المباني المعروفة سواءً كانت من طين أو ما هو موجود الآن من حديد وأسمنت ونحو ذلك, يتطاولون فيها.

ثُمَّ انْطَلَقَ: يعني هذا الرجل انطلق وذهب, فَلَبِثْنَا مَلِيًّا: يعني مدة من الزمن.

جاء في سنن أبي داوود أنه بقي ثلاثة ليال, ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟»: أي هل تعرف من هذا السائل؟ قَلَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ, يعني الله ورسوله أعلم بهذا السائل.

وهنا يجوز أن يقول: الله ورسوله أعلم, أما إن كان في الأمور القدرية مثل نزول المطر وعلم الساعة فيقال: الله أعلم, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأل جبريل عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل», العلم عند الله وحده .

أما في الأمور الشرعية في حال حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجوز أن يقول الشخص: الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية في الحلال والحرام والأحكام.

أما في الأمور الكونية فيقال: الله أعلم, وأما بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقال: الله أعلم في الأمور الكونية والشرعية.

قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ», يعني هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم, والدين: هو ما يتدين به الشخص ويطيع الله عَزَّ وَجَلَّ به .

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة جدًا, فلو أخذنا الفوائد لطال الوقت, ولكن لعلنا نأخذ شيئًا من الفوائد:

من الفوائد: أن الملك يأتي في صورة بشر, وقد أقدرهم الله عَزَّ وَجَلَّ على ذلك أن يتصوروا في صورة البشر.

ولكن اعلم أنهم يأتون في صورة رجل, لذلك كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة رجل.

والملائكة لما أتوا إبراهيم أتوا في صورة رجال, ولما أتى جبريل إلى مريم أتاها في صورة رجل, ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[مريم: ١٨], فالملائكة يأتون في صورة رجل, ولا يأتون في صورة امرأة.

ومن الفوائد: أن السفر يغيِّر من الحال, السفر في العادة يغير من الحال, وأيضًا كان في السابق السفر يغير من الحال أكثر, لأنهم كانوا يمشون على أقدامهم وفي الشمس وفي الغبار ونحو ذلك, فيتعب الإنسان, لذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السفر قطعة من العذاب», يعني ألم على النفس .

ومن الفوائد: أنه ينبغي التأدب في طلب العلم, بحيث أن يكون الإنسان ذا أدبٍ في طلب العلم, لذلك جبريل عليه السلام أتى حتى جلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه, يريد العلم, ووضع كفيه على فخذي نفسه, يعني في صورة حسنة ويريد التعلم, هكذا ينبغي للإنسان أن يكون متأدبًا بأدب العلم.

ومن الفوائد: أن الإسلام إذا اجتمع مع الإِيمَان فإنهما يفترقان: فيكون الإسلام للأعمال الظاهرة, والإيمان للأعمال الباطنة.

لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة, هذه كلها أعمال ظاهرة, وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة مثل الإيمان بالله وبالملائكة, هذا كله الإِيمَان بالقلب.

ولكن إذا افترقا اجتمعا, إذا ذُكر الإسلام وحده فيدخل فيه الإِيمَان, مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩], هذا يدخل فيه الإسلام والإيمان, وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال: ٢], هذا يدخل فيها الإِيمَان والإسلام, إذا افترقا اجتمعا, وإذا اجتمعا افترقا.

ومن الفوائد: أن الحج لا يجب إلا مع الاستطاعة, والاستطاعة تكون بالبدن والمال, وسيأتينا إن شاء الله في حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب تفصِّل الكلام فيه.

ومن الفوائد: أن الإنسان قد يعجب عن الشيء إذا خرج عن نظائره, وقد يعجب الإنسان من الشيء إذا كان يخالف الواقع, فيعجب عندما يتبين له, والعجب بالنسبة للإنسان قد يتبين له شيء ما كان له في الحسبان فيعجب منه.

وأما بالنسبة لله عَزَّ وَجلَّ فالله عَزَّ وَجلَّ من صفاته أن يعجب, ولكن العجب بالنسبة لله عَزَّ وَجلَّ ليس لخفاء السبب, لأن الله عَزَّ وَجلَّ يعلم الأسباب ويعلم كل شيء.

ومن الفوائد: أن الإحسان له درجتان, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر درجتين للإحسان, قال: «أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك», هذا الدرجة الثانية.

ومن الفوائد: أن الساعة لا يعلمها إلا الله عَزَّ وَجلَّ, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الرسل وجبريل أفضل الملائكة لا يعلمون وقوع الساعة متى, فغيرهم من باب أولى.

والساعة لها علامات ولها وقت قرب ولها وقوع, الوقوع لا يعلمه إلا الله, متى تقع؟ هذا لا يعلمه إلا الله, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[الأحزاب: ٦٣], فلا يعلم متى وقوع الساعة إلا الله عَزَّ وَجلَّ.

أما القُرب فقد أخبرنا الله عَزَّ وَجلَّ أن الساعة قريبة, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر: ١].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «بُعثت أنا والساعة كهاتين», وحلَّق بالسبابة والتي تليها, فالساعة قريبة.

وأيضًا الساعة لها علامات, العلامات لم يخفيها الله عَزَّ وَجلَّ, إذا وقعت العلامات الكبرى عُلم أن الساعة قريبة جدًا.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا لم يعلم الشيء فليقل: الله أعلم, فهذا هو العلم, فلذلك الإنسان إذا علم قدر نفسه فهو ذا علم.

ولذلك إذا قال الإنسان للشيء الذي لا يعلم عنه: لا أعلم, فهذا هو العلم, لأنه عرف قدر نفسه, والله خلق الإنسان حين ولادته لا يعلم شيئًا, ثم بدأ يتعلم شيئًا فشيئًا, ولم يحط بالعلم جميعًا, فلذلك الإنسان إذا لم يعرف شيئًا يقول: لا أعلم, ففيه نجاه له, وفيه أنه يعلم قد نفسه.

ولذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الله ورسوله أعلم.

الفائدة الأخيرة: أن المتسبب في الشيء كالفاعل له, لذلك جبريل تسبب في سؤال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, سأله فأجاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فأصبح جبريل كأنه هو الذي علَّم الصحابة الدين.

وإن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي علَّمهم الدين فهو الذي يتكلم ويقول: الإسلام كذا, والإيمان كذا, والإحسان كذا, لكن جبريل لما سأل أصبح كأنه هو الفاعل, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يعلمكم دينكم», يعني جبريل.

فإذا سأل الإنسان عالمًا فأجاب, فاستفاد منه الناس فكأنه هو الذي علمهم, فمن الفوائد سؤال أهل العلم.

الحَدِيث الثالث

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

الشرح

هذا الحَدِيث ذكر فيه أركان الإسلام, وأتى المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بهذا الحَدِيث لأنه ذُكر فيه أركان الإسلام الخمسة.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عمر رضي الله عنهما, قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «بُني الإسلام على خمس»: يعني أُسس على خمس دعائم.

قال: «شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله»: هذا هو الركن الأول: شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله.

قال: «وإقام الصلاة»: وهذا هو الركن الثاني من أركان الإسلام ومبانيه العظام.

قال: «وإيتاء الزكاة»: وهذا هو الركن الثالث.

«وحج البيت»: وهذا هو الركن الرابع.

قال: «وصوم رمضان»: وهذا هو الركن الخامس.

ففي هذا الحَدِيث يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أركان الإسلام الخمس.

والإسلام له أركان, وهي خمس, وهي هذه الأركان.

وأما الإسلام فهو شامل لدين الله عَزَّ وَجلَّ, فبر الوالدين إسلام, وصلة الأرحام إسلام, وعدم أذى الجار إسلام, وعدم إيذاء المسلمين إسلام.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده», فالإسلام يعم دين الله عَزَّ وَجلَّ ولكن له أركان خمسة, ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحَدِيث.

قال: عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما صحابي من صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وهو وأبوه صحابيان, أبوه عمر بن الخطاب, قال: رضي الله عنهما: عنهما هنا ضمير تثنية, لأن عبد الله وأبيه صحابيان, فقال: رضي الله عنهما.

قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «بُني الإسلام على خمس»: بُني يعني أُسس على قواعد خمس, والإسلام له معنيان: معنىً عام ومعنىً خاص.

الإسلام بمعناه العام هو الدين الذي بعث الله به المرسلون , وهذا هو بمعناه العام, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس: ٨٤], هذا بمعناه العام.

أما المعنى الخاص للإسلام فهو: ما بُعث به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, هذا هو الإسلام الخاص.

فبعد مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا إسلام إلا ما جاء به, لذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أهل النار»**, فالإسلام ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مبعثه.

يعني لا يأتي يهودي ولا نصراني يقول: أنا على الإسلام العام, نقول: بعد مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالإسلام ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله»**: معنى شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله: أي لا معبود بحق إلا الله.

لذلك بعض الفرق الضالة تفسر هذه الكلمة وتقول: لا خالق إلا الله, وهذا ليس بصحيح, إذ لو كان معناه لا خالق إلا الله لكان كفار قريش على الإسلام.

فلو سُئل كفار قريش: من خلقكم؟ قالوا: الله, فليس معناها لا خالق إلا الله, بل لا معبود بحق إلا الله, وهذه الشهادة هي التي بُعث بها جميع الرسل, جميع الرسل بعثهم الله عَزَّ وَجلَّ بهذه الشهادة: إلى أن يُوحَّد الله, فشهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله جليلة, لذلك هي التي من أجلها بعث الله عَزَّ وَجلَّ الرسل, وخلق الجنة, وخلق النار, فلا سبيل للإنسان للخلاص من عذاب الله والفوز بالجنة إلا بتوحيد الله, وأن يُعبد الله وحده لا شريك.

لذلك هذا من أهم ما يكون: أن يعبد الإنسان ربه وحده ولا يُشرك به شيئًا.

وشهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله لها ركنان: الأول: النفي: لا إله, هذا نفي.

الركن الثاني: الإثبات: إلا الله, مثبتًا العبادة لله, نافيها عما سواه, يعني تقول: لا معبود بحق إلا الله, فلا بد من هذا.

ولها شروط: شروطها سبعة , مجموعة في قول الناظم:

علــمٌ يقــينٌ وإخــلاص وصــدقك مــع محبــة وانقيــاد والقبــول لهــا

***

أي لها سبعة شروط لا بد أن يأتي بها الإنسان, لذلك بعض الذين يعبدون القبور أو يدعون غير الله, يقولون: لَا إِلَه إِلَّا الله, ولكن يناقضونها, ويفعلون الشيء الذي ينقضها , كما أن الإنسان إذا تطهر من الحدث ثم أحدث: أي أخرج من نفسه ريحًا, هل نقض وضوئه؟ الجواب نعم نقض وضوئه, كذلك شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله لها شروط إذا لم يأتي بها الإنسان أو فعل ما يناقضها فتنقض.

وهذه الشهادة لها فضائل كثيرة جدًا, لذلك موسى عليه السلام قال: «**يا رب: علمني دعاءً أدعوك وأذكرك به؟ قال: يا موسى قل: لَا إِلَه إِلَّا الله, قال: يا رب, كل عبادك يقولونها, قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري, والأرضين السبع كانت في كِفة, ولا إله إلا الله في كِفة, مالت بهن لَا إِلَه إِلَّا الله**».

فهي جليلة المعنى, فيحافظ عليها الإنسان.

قال: «**وأن محمدًا رسول الله**»: محمد هو محمد بن عبد الله القرشي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, الذي بعثه الله عَزَّ وَجلَّ للخلق جميعًا الإنس والجن.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث إلى الخلق جميعًا من الإنس والجن: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨], بلا استثناء, فيجب على جميع أهل الأرض أن يتبعوه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام, لا سبيل للنجاة إلا باتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: «**وأن محمدًا رسول الله**»: فلا بد أن تعتقد بقلبك ناطقًا بلسانك أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله.

ومقتضيات طاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تصديقه بما أخبر, وطاعته فيما أمر, واجتناب ما نهى عنه وزجر, وألا يُعبد الله إلا بما شرع, يعني لا يُعبد الله بالهوى, أو اتباع الآباء, لا, بل يُعبد الله بما شرع الله عَزَّ وَجلَّ وجاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيضًا تصديقه فيما أخبر: أُصدِّق إذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا أُصدقه, لأنه لا ينطق عن الهوى عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام, فإنه أصدق الناس.

وأيضًا طاعته فيما أمر: إذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر أمتثل, لا تقل: لعلي أفعل, لعلي أجد رخصة, لا, لذلك يرى بعض العلماء أن كل ما أمر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبًا, لا يفرق بين الواجب والمستحب.

واجتناب ما نهى عنه وزجر: إذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تأكلوا الربا مثلًا: ننتهي, لا تشربوا الخمر: ما نشرب, لأنه مبعوث من الله عَزَّ وَجلَّ, وأمر الله عَزَّ وَجلَّ بطاعته, طاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاعة مستقلة, الله عَزَّ وَجلَّ أمر بطاعته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[النساء: ٥٩].

يقول العلماء: أن الله عَزَّ وَجلَّ كرر الفعل, فيدل على أن طاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستقلة, فإذا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتمتثل, لا تقل: هل هو في القُرآن؟ لا, بل امتثل مباشرة, فإذا صح الحَدِيث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتمتثل.

قال: «**وإقام الصلاة**»: الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين, فالصلاة لها فضل في فعلها, ولها فوائد, وتركها فيه خطر على الإنسان:

الأول: فضل الصلاة:

الصلاة لها فضل عظيم, وذلك أنها ركن من أركان الإسلام, والدليل على ذلك هذا الحَدِيث, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن من أركان الإسلام الصلاة.

وأيضًا الصلاة من فضائلها: أنها العبادة الوحيدة التي افترضها الله عَزَّ وَجلَّ على عباده في السماء السابعة.

ومنها: أنها تكفر السيئات, فمن حافظ على الصلاة فإنها سبب في تكفير السيئات, لذلك يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرًا يغتسل كل يوم خمس مرات, هل يبقى من درنه شيء؟**», يعني من القذر عليه, قالوا: لا, يا رسول الله, فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هكذا الصلوات الخمس**».

وابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: من سره أن يلقى الله غدًا مؤمنًا: فليحافظ على هؤلاء الصلاواة حيث ينادى بهن, فإن الله عَزَّ وَجلَّ قد شرع لنبيكم سُنن الهدى, وإنها من سنن الهدى.

ومنها: أن الله عَزَّ وَجلَّ جعلها عن خمسين صلاة, لذلك لما افترضها الله عَزَّ وَجلَّ خمس صلوات, قال: هي خمسٌ في الفعل وخمسون في الأجر, فكأنك صليت خمسين صلاة في اليوم.

وفضائلها كثيرة.

ومن فوائد الصلاة: أنها قُرة عين ولذة للإنسان, يجد الراحة والطمأنينة والهدوء.

قلب الإنسان يحتاج إلى راحة في عبادة ربه, لا يجد هذا في أمور الدنيا ولا الملذات, لا يجد أبدًا, مهما فعل من اللذات لا يجد الراحة إلا في عبادة ربه.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «أرحنا بها يا بلال», ويقول: «وجُعلت قُرة عيني في الصلاة», تقر وتهدأ عينه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم بالصلاة, فيطمئن عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم, فهي قرة عين.

ومنها: أنها إعانة للعبد, فالإنسان في هذه الحياة تمر عليه مصائب وأزمات ونحو ذلك, فهي إعانة له, الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[البقرة: ٤٥].

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا حزبه شيء أقام الصلاة, صلى عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم.

ومنها: أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر, لو قال قائل: أنا كثير فعل المنكرات ولا أنتهي, ينصحني الناس ولا أستجيب؟ نقول: عليك المحافظة على الصلاة, فهي سبب في نهيانك عن المنكر, تنهاه, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

ومنها: أنها تكفير للسيئات, وقد جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله إني أصبت من امرأة قُبلة, فسكت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فلما صلى, قال:

«قد غُفر لك», فأنزل الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود: ١١٤], فقال: يا رسول الله أهي لي خاصة؟ قال: «بل للأمة عامة».

وأيضًا فوائدها كثيرة.

وأما: خطر ترك الصلاة.

فترك الصلاة إذا تركها الإنسان سواءً كان تكاسلًا أو جحدًا, الجحود ليس فيه إشكال, أنه كفر لكن لو تركها تكاسلًا بالكلية لا يصلي فهذا كافر, خارج من ملة الإسلام وعلى خطر شديد, إذا مات فيموت على غير ملة الإسلام.

الدليل من القُرآن والسنة: الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[التوبة: ١١], فدل على أنهم إذا لم يقيموا الصلاة ليسوا إخوة لنا في الدين.

وأيضًا الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾[مريم: ٥٩، ٦٠], فدل على أنه كان قبل أن يصلي كان غير مؤمن.

وأيضًا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «بين الرجل والكُفر والشرك ترك الصلاة», فبين الشرك والكفر والرجل ترك الصلاة, وقال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة, فمن تركها فقد كفر».

أيضًا: «إيتاء الزكاة»: والزكاة هي المال المخصوص الذي يُعطى لطائفة مخصوصة في زمن مخصوص, فالزكاة هي الأموال الزكوية مثل الأوراق النقدية والذهب والفضة.

والزكاة واجبة, فإذا بلغ عند الإنسان نصابًا وحال عليه الحول فيجب عليه الزكاة, إلا في معشَّر, مثل الحبوب والثمار تجب إذا خرج وكان عنده نصابًا.

أيضًا: «وحج البيت»: حج البيت هو قصد بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج, والحج ركنٌ من أركان الإسلام, فهو ركن, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران: ٩٧].

قال اليهود: نحن المسلمون, لما أنزل الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩], فقال اليهود: نحن المسلمون, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[آل عمران: ٩٧], فأبوا, قال: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧].

قال: «وصوم رمضان»: رمضان هو الشهر المعروف الذي يأتي كل سنة, وصومه ركن من أكان الإسلام, وترك الصوم كبيرة من كبائر الذنوب, لو ترك الإنسان الصوم فهو كبيرة من كبائر الذنوب.

ولكن يُنبه على أن هذه الأركان إذا تركها الإنسان كلها بالكلية فليس بمسلم بل كافر, إذا ترك الشهادتين وترك الصلاة وترك الزكاة وترك الحج وترك الصوم فهو كافر.

أما إذا ترك الشهادتين فهو كافر, وإذا ترك الصلاة بالكلية فهو كافر, وإذا ترك الزكاة فالظاهر والله أعلم أنه لا يكفر, ولكنه أتى بكبيرة من كبائر الذنوب, وهو على خطر, لذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيما معناه: يوضع هذا الرجل إذا كان عنده بهيمة لم يُخرج الزكاة منها, فتطؤه في يوم مقداره خمسين ألف سنة, حتى يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

وأيضًا ذكر الرجل الذي عنده مال لا يزكيه, إذا كان يوم القيامة يأتيه ثعبان كبير فيقول: «أنا مالك, أنا كنزك», فيحيط به, فهو على خطر عظيم إذا ترك الزكاة, ولكنه لا يكفر, لأنه قال: «حتى يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

أيضًا الحج: إذا ترك الحج تكاسلًا لا يكفر, ولكنه فعل كبيرة من كبائر الذنوب, لأن الحج ركن, ترك ركنًا من أركان الإسلام.

وأيضًا إذا ترك الصوم فإنه لا يكفر, ولكنه فعل كبيرة من كبائر الذنوب وعلى خطر شديد.

فهذه الأركان هي أركان الإسلام ومبانيه العظام.

ولكن تلاحظون أنه في الحَدِيث ذكر ابن عمر الحج قبل الصوم, ابن عمر حدَّث بهذا الحَدِيث, قال: هكذا سمعته من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وإن كان الصوم مقدم, لأن الصوم على كل إنسان, ويكون كل سنة, أما الحج فلا يجب إلا على المستطيع.

يُنبه على أن الحج أيضًا على المستطيع.

وهنا مسائل كثيرة, لكن المقصود الاختصار.

الحَدِيث الرابع

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍرَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ-: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا, وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث يذكر ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خبرًا سمعه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وفيه: خلقِ الإنسان وتطوره, والأطوار التي يمر فيها.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ.

الصادق فيما يُخبر به, فهو عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام صادق فيما يُخبر به: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[النجم: ٣].

المصدوق يعني فيما يُخبِر به فيما يأتيه من خبر السماء, فهو مصدوق عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام يأتيه الخبر من السماء.

قال: «إن أحدكم ليُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة»: يعني أن الإنسان قبل ذلك كان نُطفة, فتُجمع هذه النطفة في بطن الأم أربعين يومًا نطفة, تبقى في رحم المرأة أربعين يومًا نُطفة.

وقوله: «ليُجمع خلقه»: يعني تكوينه, وذلك أن الله عَزَّ وَجلَّ خلق الإنسان من مني الرجل ومني المرأة, يختلطان, فيبقى في الرحم.

«في بطن أمه أربعين يومًا نُطفة, ثم يكون علقة مثل ذلك»: والعلقة هي قطرة من الدم تعلق في رحم المرأة, يعني أربعين يومًا نطفة, ثم الأربعين الثانية علقة, وهي قطعة من الدم , «ثم يكون مُضغة مثل ذلك»: يعني بعد أربعين أيضًا يكون مُضغة, والمضغة هي كقطعة اللحم التي مُضغت بالأسنان.

فهنا أربعين يومًا نطفة, ثم أربعين أخرى علقة, ثم أربعين أخرى مُضغة, «ثم يُرسل إليه الملك»: بعد مائة وعشرين يومًا, «فيرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح»: يعني ينفخ فيه الروح, وذلك أنه قبل ذلك يكون ليس فيه روح, أما بعد المائة والعشرين فيُنفخ فيه الروح.

«ويؤمر بأربع كلمات»: يعني الملك يؤمر بأربع كلمات.

«بكتب رزقه»: رزق هذا الإنسان, والرزق يشمل الرزق الديني والدنيوي:

الديني: مثل رزق العلم, ورزق التوفيق للطاعة ونحو ذلك.

وأيضًا الرزق البدني: مثل الطعام والشراب ونحو ذلك.

قال: «وأجله»: الأجل يعني نهاية الإنسان, وذلك أن الإنسان يأخذ مدة من الزمن فيكتب أجله كم يبقى في هذه الدنيا؟

«وعمله»: يعني العمل الذي يعمله هذا الإنسان.

«وشقي أم سعيد»: يعني أشقي في الدنيا أم سعيد فيها؟ وأيضًا شقي في الآخرة أم سعيد فيها؟ فيكتب هذا.

«فوا الله الذي لَا إِلَه غيره»: يعني يحلف عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام, قال: «فو الله الذي لا إله غيره»: يعني لا معبود بحق إلا هو: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع»: يعني أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الموت إلا ذراع, «فيسبق عليه الكتاب, فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».

يعني يعمل الزمن الطويل ثم يسبق عليه الكتاب, وذلك أنه كُتب ذلك في اللوح المحفوظ, فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.

«وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»: هذا الآخر الرجل عمل بعمل أهل النار الزمن الطويل, حتى ما يكون بينه وبين الموت قدر ذراع فيسبق عليه الكتاب, يعني ما كُتب عليه في اللوح المحفوظ, فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

وهذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أسلوب ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ فيما حدَّث فيه, يعني حُسن أسلوبه رَضِي اللهُ عَنْهُ, وذلك أنه قال: حدثنا الصادق المصدوق, لأنه سيُخبر عن أمر غيبي , ما يُعلم هذا لأنه غيب, وإن كان في أمر غيبي فلا يُعلم إلا عن طريق الوحي, فقال: حدثنا الصادق, يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصدوق.

ومن الفوائد: أن الإنسان يُجمع خلقُه في بطن الأم على أطوار ثلاثة: يكون نطفة أربعين يومًا, يبقى في الرحم أربعين يومًا نُطفة, ثم يكون علقة, والعلقة هي الدم, ثم يتحول من

النطفة إلى علقة وهي الدم, وهذا في الثمانين يعني بعد أربعين يومًا أُخرى, ثم يُكون بعد المائة والعشرون يصوَّر فيكتمل, فيُنفخ فيه الروح, وهذا فيه دليل أن الروح لا تُنفخ إلا بعد المائة والعشرون.

ومن الفوائد: أن حكم الإنسان بعد نفخ الروح يختلف, لانه صُبح إنسانًا لأنه نُفخ فيه الروح, وهذه الروح لا تُعلم, لا يعلمها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ, لذلك الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥], فالخلق لا يعلمون الروح.

وقد ذكر أنه اختلف فيها على أكثر من ألف قول, فهي تُعلم, وهي لا شك أنها جسم في بدن الإنسان ولكن لا تُعرف هذه الروح.

وقال بعض العلماء: أن الروح مخلوق نوراني, وأنها تدخل في الجسد وتسكن فيه, وهذه الروح عجيبة, لذلك الإنسان لا يعرف الروح التي في بدنه, فهي خلقٌ من خلق الله عَزَّ وَجلَّ.

وقد سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها؟ فأنزل الله قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٨٥].

ومن الفوائد: أن الإنسان يُكتب ما عليه وهو في بطن أمه.

واعلم أن الكتابة على أربعة أنواع:

الأول: الكتابة العامة الشاملة, وهذا كُتب على الإنسان قبل وجوده, بل قبل وجود السماوات والأرض بخمسين ألف سنة, فيُكتب جميع ما يحصل, وهذه الكتابة عامة تشمل الخلق.

وقد جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»**, وهذه كتابة تسمى كتابة عامة شاملة.

الثاني: الكتابة العمرية في عمر الإنسان, وهي التي معنا في هذا الحَدِيث, فيُكتب على الإنسان وهو في بطن أمه بعد نفخ الروح أربعة أشياء: يكتب رزقه, يعني الإنسان مكتوب رزقه وهو في بطن أمه, الرزق مكتوب وأنت في بطن أمك, وأيضًا الأجل: لا يمكن أن يتخطى هذا الأجل, وأيضًا العمل, وأيضًا الشقاوة والسعادة, فهي مكتوبة والإنسان في بطن أمه.

الثالث: الكتابة السنوية, وهذه تكون في ليلة القدر, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان: ٤], قال المفسرون: أنه يُكتب ما يكون في السنة حتى ليلة القدر في السنة المقبلة.

الرابع: الكتابة اليومية: كل يوم يُكتب على الإنسان, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩], جاء عن بعض الصحابة: أنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يخلق ويرزق ويحي ويميت, فالله عَزَّ وَجلَّ يدبر ويُعز ويُذل, فله الملك سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

ومن الفوائد: أن الإنسان قد يعمل العمل زمنًا طويلًا وهو في طاعة الله, أو يراه الناس وهو يعبد الله عَزَّ وَجلَّ, ولكنه نسأل الله العافية يُختم له بأهل النار.

وهذا والله أعلم أنه بسبب فعل من الإنسان, بسبب خفية في قلبه أو بسبب عمل سيء كان عنده, فيدركه قبل الموت فيموت عليه, نسأل الله العافية, يسبق عليه هذا العمل, فيكون الإنسان عنده دسيسة سوء, يعني ظاهرة غير باطنة, يكون الظاهر للناس أن يعمل صالحًا, ولكن عنده دسائس ليست بحسنة, إما أن يكون كِبر أو عُجب أو معاصي في السر, فتسبق عليه في آخر العمر فيموت على عمل من عمل أهل النار.

ففيه أن الإنسان قد يكون عنده دسائس, ولذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس»: أي فيما يظهر للناس وهو من أهل النار.

وقد جاء في قصة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في غزوة, وكان هناك رجلًا شجاعًا يقدِم على القوم ويضربهم بسيفه, وكان يجاهد في سبيل الله, فقال الصحابة: ما رأينا

مثل فلان, فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو من أهل النار», قال أحد الصحابة: لألزمنه, فلزمه, يقول: فلما جُرح هذا الرجل وضع السيف على صدره فاتكأ عليه فقتل نفسه, فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أشهد أنك رسول الله, قال: «بم؟», قال: يا رسول الله هذا الرجل قتل نفسه, فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس».

فلذلك قال العلماء: من رحمة الله ولُطفه أنه ما عُرف رجل كان ظاهره حسنًا وباطنه حسن وأنه يُختم له بعمل أهل النار, وذلك أن الله عَزَّ وَجلَّ كريم, وهو عَزَّ وَجلَّ رحيم بعباده, فيكون بسبب من الإنسان نفسه.

ومن الفوائد: أن الإنسان قد يعمل العمل الزمن الطويل وهو يعمل بعمل أهل النار, فيُدركه فضل الله عَزَّ وَجلَّ فيُختم له بعمل أهل السعادة فيسعد ويدخل الجنة.

وقد يكون هذا الرجل أيضًا عنده أشياء حسنة كان يفعلها في ماضي زمانه, فسبقت عليه في آخر عمره, أو يرحمه الله عَزَّ وَجلَّ في آخر عمره.

فهذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

ومنها: أن الإنسان لا يتكل على عمله, بل يكون دائمًا وهو يسأل الله عَزَّ وَجلَّ الثبات ويسأل الله عَزَّ وَجلَّ الهداية, ويكون بين الخوف والرجاء, لأنه لا يعلم بما يُختم له.

وأيضًا من الفوائد: أن العبرة بالخواتيم, فقد يكون الإنسان على عمل صالح مدة من الزمن ثم ينتكس, نسأل الله العافية.

وأسباب حسن الخاتمة كثيرة, منها: تقوى الله, من أسباب حسن الخاتمة أن يتقي الله عَزَّ وَجلَّ في السر والعلانية, الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢], يعني عند حال الموت الله عَزَّ وَجلَّ يجعل له مخرجًا, فينطق الشهادتين.

وأيضًا منها الاستقامة: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠].

وأيضًا منها حُسن الظن بالله: لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله».

واعلم أن حُسن الظن مُقترن بحسن العمل, لا يمكن أن الإنسان يعمل سيئًا ويُحسن الظن, لا يكون هذا إلا لمن عمل صالحًا يعني حُسن الظن.

وأيضًا منها التوبة: إذا تاب الإنسان فإن هذا من أسباب حُسن الخاتمة.

وأما سوء الخاتمة فلها أسباب: أيضا من أسباب سوء الخاتمة: فساد المعتقد: أن يكون على عقيدة تخالف عقيدة أهل السُنَّة والجماعة, كالجهمية والمعتزلة والخوارج ونحو ذلك أو أهل الكلام, فيُدركه ذلك نسأل الله العافية فيموت على سوء خاتمة.

ولذلك يقال: أن أهل الكلام هم أكثر الناس شكًا عند الموت, يشكون عند الموت فيهلكون, نسأل الله العافية.

ومنها: مخالفة الظاهر الباطن, يعني يكون الإنسان أمام الناس صالحًا, يتقي الله, ولكن إذا خلا بمحارم الله انتهكها, فيكون فيه الداخلي يختلف عن الظاهر, وهذا من أسباب سوء الخاتمة نسأل الله العافية, فظهر باطنه عند ساعة النهاية, , فيُظهر ما كان يُبطن.

ومن أسباب سوء الخاتمة: الإصرار على المعاصي, بحيث يصر الإنسان على معصية حتى يموت عليها, مثل شُرب الخمر, مثل الزنا أو نحو ذلك.

لذلك ذكر القرطبي في التذكرة: أن رجلًا كان يشرب الخمر مُدمن, فلما حضرته الوفاة, قالوا له: قُل لَا إِلَه إِلَّا الله, قال: أنا كافرٌ بها, ومات على ذلك بسبب شرب الخمر, كان مصرًا عليها.

ومنها: حب الدنيا, أن تكون الدنيا في قلبه, لا ينظر إلى الآخرة, كلما تكلم يتكلم في الدنيا, كلما أراد فيريد الدنيا, فيسبق عليه ذلك فيُختم له, بعمل أهل النار.

وقد ذكر القرطبي أيضًا رجلًا كان يبيع ويشتري, متعلق بالبيع والشراء, فلما حضرته الوفاة, قيل له: يا فلان قل لَا إِلَه إِلَّا الله, قال: الأرض الفلانية بكذا, والأرض الفلانية كذا, ومات على ذلك, نسأل الله العافية.

هذا غلبت عليه الدنيا.

أيضًا: ترك الاستقامة, بأن يكون الإنسان مثلًا طائعًا لله ثم ينتكس, فهذا من أسباب سوء الخاتمة.

وأيضًا: تعلق القلب بغير الله, يعني يُحب غير الله عَزَّ وَجلَّ, فيسبق عليه فيموت على سوء الخاتمة.

وأيضًا التسويف في التوبة: يعني غدًا أتوب, بعد غد, حتى يموت وهو لم يتب, فتأتي إليه سوء الخاتمة.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا مضى له في بطن أمه مائة وعشرين يومًا فإنه يُنفخ فيه الروح, فلا يجوز للمرأة أن تُسقط ما في بطنها, لأنه أصبح الآن إنسان بشر, حتى لو كانت مضطرة لذلك.

لو قال الأطباء: لا بد أن تُلقي ما في بطنها, لأنه خطر عليها, نقول: لا يجوز, لأنه أصبح الآن بشر, فلا يجوز أن تقتل بشر لتفدي نفسها.

الحَدِيث الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أن فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبين أن من أحدث في الدين أو عمِل عملًا في الدين ليس بمشروع فهو مردود.

فقوله: عن أم المؤمنين: أم المؤمنين هي عائشة رضي الله عنها أم عبد الله, فهي أم المؤمنين, لأن أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمهات للمؤمنين, وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[الأحزاب: ٦], فأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمهات للمؤمنين, كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[الأحزاب: ٦].

وعائشة رضي الله عنها أم عبد الله, لُقِّبت بأم عبد الله, ولم تلد رضي الله عنها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالت رضي الله عنها: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَن أحدث في أمرنا»**: مَن هنا شرطية, وفعل الشرط: **«أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه»**, وقوله: أحدث أي أنشأ واخترع.

وقوله: في أمرنا: أي في ديننا وشرعنا.

هذا: أي الذي نحن عليه.

ما ليس منه: أي ليس من دين الله وليس من شرع الله.

«فهو رد»: يعني مردود عليه.

وفي رواية مسلم: **«من عمل»**: أي أنشأ عملًا وعمل به, **«عملًا»**: وعملًا هنا نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم.

«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا»: أي ليس مأمورًا في ديننا فهو رد: أي فهو مردود.

ففي هذا الحَدِيث فوائد كثيرة:

من هذه الفوائد: أن البدع والمحدثات التي في الشرع ودين الإسلام مردودة, لذلك يقول: **«مَن أحدث في أمرنا»**.

واعلم أن المحدثات نوعان: إحداثٌ في الدين, وإحداث في الدنيا.

الأول: الإحداث في الدين, وهو الذي في هذا الحَدِيث, لذلك قال: «في أمرنا»: يعني في ديننا, والإحداث في الدين: هو أن يُنشأ الإنسان عملًا ما عمل به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, يعني يُنشأ عبادة, سواءً كانت هذه العبادة قولية أم فعلية أم اعتقادية, فيدخل في هذا كله إذا أحدثها وليس عليها أمر الله فهي مردودة.

الثاني: إحداثٌ في الدنيا, وهو أن يبتدع الإنسان عملًا في الدنيا: فهذا لا يدخل في الحَدِيث, ولكن ننظر هل هو مفيد: فلا بأس به, أو مُضر: فيُمنع .

مثال ذلك: السيارات مُحدثة في الدنيا, لم تكن معروفة في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, لكنها مفيدة لا إشكال فيها, هي محدثة لكنها مفيدة ولا تدخل في الأحداث في الدين .

ولكن إحداث بعض البرامج الموسقية,هذه محدثة لم تكن معروفة في الزمن السابق, ما كانت معروفة في السابق ولكنها محرمة لأن الموسيقى محرمة.

والحدث في الدين هو البدع, لذلك هذا الحَدِيث من أقوى الأحاديث التي يُرد على المبتدع بها, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد», يعني مردود عليه.

والإحداث كما تقدم هو الإنشاء, يُنشأ عبادة ليست في شرع الله عَزَّ وَجلَّ.

وعلى هذا يتفرع أن البدع في الدين مردودة, والبدع في الدين قد تكون بدعة أصلية, وقد تكون بدعة زائدة, بدعة أصلية بحيث يُنشأ عبادة ما شرعها الله عَزَّ وَجلَّ وما أتى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مثال ذلك: الاحتفال بالمولد النبوي, هذه ليست عبادة مشروعة, لأن الله عَزَّ وَجلَّ ما أمر بها, وما أمر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فهي بدعة, فهي مردودة بلا توقف.

أيضًا البدعة الزائدة: أن يزيد في المشروع, يعني عمل مشروع ولكن يزيد فيه, هذا أيضًا مردود.

مثال ذلك: صلاة الفجر ركعتان, فهذا الرجل زاد, فجعلها ثلاث ركعات, قال: أنا أحب العبادة وزيادة التعبد لله, سوف أجعلها ثلاث ركعات أو أربع, زيادة في التعبد, فنقول: عملك مردود, لأنك تجاوزت المشروع, فهذه بدعة زائدة, فكل البدع مردودة.

والفرق بين من أحدث في أمرنا ومن عمل عملًا: جاء في رواية مسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا», وفي الصحيحين: «مَن أحدث في أمرنا»: الحدث هو أن يُنشأ الإنسان العمل بنفسه, أن يُحدِث هذه العبادة يُحدِثها بنفسه, ما تابع غيره, والعمل أن يتابع غيره, فيدخل فيها متابعة الغير.

والإحداث يشمل الحدث في العمل والعقيدة , يعني مثلًا يُحدِث صلاة أو يُحدث شيئًا, وأيضًا يشمل العقيدة, يعتقد شيئًا فهو يُحدِث.

أما العمل فهو يُقصد بها الأعمال, يعني يعمل عملًا ليس عليه أمر الشرع.

ففي هذا الحَدِيث يبين لك أن البدع مردودة, وأن المُحدِثات في الدين مردودة.

وتعريف البدعة: هي في اللغة الاختراع, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[البقرة: ١١٧], يعني خلقها على غير مثال سابق.

وأما في الشرع: فهو كل عملٍ أو اعتقادٍ أو قولٍ يتعبد فيه الإنسان لله ولم يشرعه الله عَزَّ وَجلَّ.

والبدع فيها مفاسد كثيرة: من مفاسد البدع: أن فعل المبتدع يتضمن تكذيب الله عَزَّ وَجلَّ, لأن الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

فهذا المبتدع ببدعته كأنه يقول: الدين لم يكمل, وأنا أريد أن أُكمِّل الدين بهذه البدعة, وهذه مفسدة عظيمة.

وأيضًا من مفاسد البدعة: أنها قدحٌ في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وذلك أن فِعل المبتدع يستلزم واحد من أمرين, لا بد له من أحد أمرين:

الأول: إما أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاهلًا بهذه البدعة, وهذا عَلِم ما لم يعلمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فيكون قادحًا في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, كأنه يقول: أنا علمت شيئًا ما علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, تعبَّدتُ لله بعبادة ما يعرفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, هذا قدحٌ شديد.

وإما أن يلزمه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم بها ولكن كتمها, نسأل الله العافية, فهو يتهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتم العلم, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ البلاغ المبين, والله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧], فهو بلغ عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام كل الشرع.

وأيضًا من مفاسد البدعة: أنها سبب لتفرق الأمة, يتفرق الناس, لأن من ابتدع بدعة يقدح في من لم يبتدع, ومن لم يبتدع يرد المبتدع, فتتفرق الأمة, فيقع على الناس ما حذر الله عَزَّ وَجلَّ منه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩], الله عَزَّ وَجلَّ حذر من الافتراق, والبدع من أسباب الافتراق, لأن المبتدع سيقول: أنا أعمل بعمل صالح لله, لماذا لا تعملونه؟ والذي يعمل بالسنة سيقول: أنت ابتدعت فاترك البدعة, فتُصبح الفُرقة, فهذا مما يكون في البدع من مفاسد.

وأيضًا من مفاسد البدع: أن البدعة تُشغل الإنسان عن السُنَّة, فإنه ما ابتدع قومٌ بدعة إلا وتركوا سُنة, لذلك لما ابتدع المبتدعة الاحتفال بالمولد النبوي تركوا السنن, يتركون سننًا, فيقعون في البدع, فهذا من مفاسد البدع.

ومن الفوائد: أن الدين متوقف العمل به يعني العبادات متوقفة على أمر الله ورسوله, فلا تأتي بعبادة إلا وقد أمر الله عَزَّ وَجلَّ بها ورسوله, ولذلك يقول العلماء: أن العبادات الأصل فيها التوقف, بحيث إذا رأيت الإنسان يتعبد بعبادة تقول: ما هذه العبادة؟ هل شرعها الله عَزَّ وَجلَّ؟ هل أمر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ بشرط أن تكون من أهل العلم, لا تكون ناقص العلم وتقول: هذا ما رأيناه, لا, بل تكون صاحب علم ورأيت شخص يعمل تقول: ما هذه العبادة؟

فالأصل في العبادات التوقف والحظر, فلا يتعبد الإنسان إلا بما أمر الله عَزَّ وَجلَّ به ورسوله.

ومن الفوائد: أن الإنسان قد يُحدِث العمل بنفسه, يُحدِث عبادة أو يُحدث عملًا أو اعتقادًا لم يشرعه الله عَزَّ وَجلَّ, بل أحدثه بنفسه, ثم يُتبع بعد ذلك عليه.

ومن الفوائد: أن الإنسان قد يعمل العمل متبع لغيره, فيُرد عليه, كما لو أن الأول أحدث والثاني عمل فيكون مردود على الثاني وأيضا مردود الأول.

يعني مثلًا الأول أحدث عبادة, فجعل كلما دخل البيت صلى ركعتين, وقال: أنا ارتحت لهذا العمل , جعلها سبب مثل تحية المسجد فيقال , هذا عمل مردود بدعة بدون توقف.

وثاني رأى هذا الشخص, وقال: والله هذا يعمل عملًا طيبًا, سأصُلي مثله, كلما دخل البيت صُلي, هذا تبع غيره, فهو مردود عليه عمله.

ومن الفوائد: أن العبادة لا تكون عبادة صحيحة حتى توافق الشرع في أمور ستة:

الأول: السبب, تكون هذه العبادة لها سبب مشروع, فإذا كانت العبادة ليس لها سببًا مشروعًا فهي مردودة.

فمثلًا: ميلاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل هو سبب في أن يجعل ذلك اليوم عيدًا؟ ليس سببًا, إذًا مردود, الذين يتعبدون لله عَزَّ وَجلَّ بالاحتفال بمولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عملهم مردود, لأنه ليس سببًا.

الثاني: لا بد أن توافق الشرع في الجنس, فلو عمل الإنسان عبادة مشروعة ولكن من غير الجنس, مثلًا الأضحية الآن بأي شيء؟ بالإبل والبقر والغنم, هذه المشروعة, جاء رجل وقال: أنا أُضحي بأرنب أو بدجاجة, نقول: عملك مردود, لأنه لم يوافق الشرع في جنس بهيمة الأنعام.

الثالث: القدر, أن يوافق الشرع في القدر حتى تكون صحيحة, فمثلًا رجل صلى صلاة العشاء ست ركعات, قال: أنا أحب التعبد لله سأزيد, نقول: عملك مردود لأن القدر ليس موافق لشرع .

الرابع: أن يوافق في الكيفية, لا بد أن يوافق الشرع في الكيفية, فمثلًا الصلاة معروفة: يقف ثم يركع ثم يسجد, لو أن شخص مثلًا قال: أنا أحب السجود أكثر من الركوع, سأقوم ثم أسجد ثم أركع بعد ذلك, ماذا نقول؟ لا تصح. قال: أنا أحب السجود أكثر من الركوع لأنه أقرب إلى ربي, سأجعل السجود قبل الركوع, يعني أسجد ثم بعدها أركع, نقول: عملك مردود لأنه لم يوافق الشرع في الكيفية.

مثال آخر: شخص دخل دورة المياه وأراد أن يتوضأ, فبدأ برجليه, فغسل الرجلين ثم مسح رأسه وقال: أنا رأيت أنه هذه أخف علي, نقول: عملك مردود لأنه لم يوافق الشرع في الكيفية, يعني صفة العمل خطأ.

الخامس: أن يوافق في الزمن, لا بد أن يوافق الشرع في الزمن, فلو أن إنسانًا حج في ربيع أول, خرج إلى مكة وأحرم من الميقات ولبى ورمى الجمار ونحر هديه, ثم جاء في ربيع أول, قال: ولله الحمد حججت, ماذا نقول عنه؟ نقول: عملك باطل لأنك لم توافق الشرع في الزمن.

فلو حج في عشر ذي الحجة؟ نقول: نسأل الله أن يتقبل وعملك صحيح, لأنه وافق في الزمن.

السادس: أن يوافق في المكان, لا بد أن يوافق الشرع في المكان, فلو أن رجلًا اعتكف في بيته, جعل في البيت مكانًا واعتكف فيه العشر الأواخر من رمضان, وبعد أن انتهت العشر قال: أنا ولله الحمد اعتكفت عشرة أيام, أين؟ قال: في البيت, نقول: عملك غير صحيح, لأنه لا بد أن يكون في المكان, والمكان في المسجد, والله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة: ١٨٧].

فلا بد أن يوافق العمل الشرع في هذه الأمور الستة.

لو قال قائل: هل هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة؟

نقول: البدع كلها سيئة, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كل بدعة ضلالة».

لو رد علينا هذا الشخص وقال: أليس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَن سن في الإسلام سنة حسنة», الحَدِيث؟ نقول:

هذا الحَدِيث الجواب عنه من وجوه ثلاثة:

هذا الحَدِيث ليس دالًا على ما ذهبت إليه, لأن الحَدِيث معناه يوجه إلى واحد من أمور ثلاثة:

الأول: إما أن نقول: أن هذا الرجل ابتدأ عمل مشروع, في الإسلام أي أنه عمل عمل مشروع .

والدليل عليه: القصة في هذا الحَدِيث الذي ذكرت, وذلك أن هذا الحَدِيث أتى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُناس فقراء, وقد كانت عليهم ثياب خلِقة, فرآهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتغير وجهه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم لحالهم, فجاء رجل بصرة مليئة بالنقود قد أثقلت يده, بل عجزت يده عن حملها, فوضعها بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فتابع الناس, فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله مثل أجره وأجر من عمل بها», هذا سبب الحَدِيث.

نقول: هذا عمل بعمل مشروع.

وإما أن نقول: إنه عمل وسيلة إلى طاعة, مثل الميكرفون الآن, هل أقول: أنا أتكلم في الميكرفون أحتسب الأجر؟ لا, لو صليت بدون ميكرفون أو ميكرفون الأجر واحد لا يتغير, لكنه وسيلة لسماع الصوت.

وإما أن يقال: أحيا سنة قد نسيها الناس, مثل : رفع اليدين في الصلاة إلى المنكبين, هذه سنة ثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لو أتى رجل إلى أناس لا يعرفون هذه السُنَّة, فرأوه يرفع يديه ويكبر, فسُئل: ما هذا العمل؟ قال: هذه سنة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي ثابتة, كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفع يديه كما جاء في الصحيح عن ابن عمر, فنقول: هذا سن في الإسلام سنة حسنة, فبدأ الناس يعملون بها, فهذا له مثل أجره.

إذًا لا توجد بدعة حسنة وبدعة سيئة, بل كل البدع سيئة.

الحَدِيث السادس

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَّا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ», رواه البخاري ومسلم.

الشرح

هذا الحَدِيث له شأن, وذلك أنه من الأحاديث التي قال العلماء عنها: أن مدار الدين عليها, لذلك هذا الحَدِيث له شأن, فلذلك قال: عن أبي عبد الله النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الحلال بيِّن, وإن الحرام بيِّن»:

الحلال: هو ما أحله الله عَزَّ وَجلَّ من الطيبات, سواءً كان من المشارب أو من المطاعم أو غير ذلك فهو حلال بيِّن, مثل أكل الخبز فهو حلال بيِّن, وأيضًا مثل شرب الماء, فهو حلال بيِّن, لا يختلف فيه اثنان.

قال: «وإن الحرام بيِّن»: الحرام الواضح بيِّن, مثل ماذا؟ مثل الزنى, فهذا حرام بيِّن, ومثل السرقة حرام بيِّن, ما أحد يشك أن ذلك حلرام أو أن يشتبه عليه, فيعرف أن هذا حرام.

قال: «وبينهما أمور مشتبهات»: يعني بين الحرام وبين الحلال أمور مشتبهات, يعني أشياء تشتبه, والمشتبه هو غير الواضح, فما تعلم هل تجعله من الحلال أم تجعله من الحرام, فيشتبه عليك الأمر.

قال: «لا يعلمهن كثيرٌ من الناس»: يعني كثير من الناس لا يعلمون هذا هل هو حلال أو حرام يشتبه عليه الأمر, فيقول في قلبه: هل هو حلال مثل أكل الخبز, أو حرام مثل شرب الخمر مثلًا؟ فيشتبه عليه الأمر.

قال: «لا يعلمهن كثيرٌ من الناس, فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه»: اتقى يعني جعل بينه وبين هذا المشتبه وقاية بحيث لا يفعله ويبتعد عنها.

فقد استبرأ: أي طلب البراءة, لدينه أن يقع في الحرام, بحيث يسلم دين الشخص فلا يقع في الحرام, وعِرضه: يعني عِرض الإنسان هو ألا يقدح الناس فيه, لا يقولون: فلان وقع في الحرام, فلان وقع في شيء محرم, فيستبرأ لدينه وعِرضه, دينه من أن يقع في الحرام, وعِرضه من أن يقع فيه الناس بالغِيبة والنميمة ونحو ذلك.

قال: «ومَن وقع في الشُبهات وقع في الحرام», كيف ذلك؟ تفسير واحد من أمرين والله أعلم:

أنه إذا وقع في المشتبه لن يتورع من الوقوع في الحرام, بحيث أنه سيقع اليوم في مشتبه وغدًا في مشتبه, ثم يقع في الحرام البين.

وإما أن يكون يقع في الشيء المشتبه وهو لا يعلم أنه محرم, فيقع في الحرام.

قال: «كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»: يعني هذا الواقع في الشبهات كالراعي هذا من ضر المثل: كالراعي يرعى حول الحمى: الحِمى هي الأرض المحمية التي مُنع الناس من القُرب منها.

قال: «يوشك أن يرتع فيه»: هذا الراعي يدور حول الحِمى, فمن دار حول الشيء وقع فيه أو يُوشك يعني يقرب أن يقع فيه.

وقوله يوشك أن يرتع فيه: يعني يوشك أن ترعى أغنامه من هذه المحمية, بحيث يدور حول الحمى, يدور ويدور حتى قد تقع فيه وهو لا يشعر.

قال: «ألا وإن لكل ملك حِمى»: الملوك يجعلون لهم أشياء محمية أراضي يحمونها, وهذا خبر, قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا وإن لكل ملك حمى, ألا وإن حمى الله محارمه»: الله عَزَّ وَجلَّ له حِمى, وحمى الله عَزَّ وَجلَّ محارمه, فإذا وقع الإنسان في محارم الله فقد وقع في حمى الله عَزَّ وَجلَّ.

من وقع في الذنوب والمعاصي فقد انتهك ما حماه الله عَزَّ وَجلَّ.

قال: «ألا وإن في الجسد مُضغة»: الجسد هو بدن الإنسان, وقوله: مضغة: يعني قطعة لحم, كأنها اللحمة التي مُضغت بأسنان الإنسان.

وما هي هذه المُضغة؟ القلب.

قال: «إذا صلحت صلح الجسد كله»: إذا صلحت هذه القطعة فإن هذا صلاح لباقي الجسد.

قال: «وإذا فسدت فسد الجسد كله»: وأيضًا إذا فسد القلب فسد الجسد كله, بحيث يكون ظاهر الإنسان على غير استقامة, لأن باطنه سيء.

قال: «ألا وهي القلب»: لذلك فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قال: «ألا وهي القلب».

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن الأمور ثلاثة أشياء: حلال بيِّن, وحرام بيِّن, ومشتبه.

وهذا المشتبه ليس مشتبهًا على جميع الناس, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يعلمهن كثير من الناس», وليس الجميع, قد يكون الإنسان عالمًا يعرف أن هذا الشيء مباح, ولكن شخص ليس عنده علم فيشتبه عليه أهو حلال أهو حرام؟ فالذي يشتبه عليه, ما هي الطريقة الصحيحة؟ يبتعد عن هذا المتشابه.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا ابتعد عن الأشياء المشتبهة فإنه يبرأ له الدين, بحيث لا يقع في المحرم, مثلًا: إنسان جاءت معاملة في أحد البنوك, فاشتبه عليه الأمر أهو حلال؟ أهو حرام؟ فالطريقة الصحيحة كيف يفعل؟ يبتعد فيستبرأ له دينه, يعني يأخذ الحلال البين ويترك المحرم والمشتبه.

وأيضًا من الفوائد: أن الإنسان إذا وقع في الشبهات وقع الناس في عِرضه, ولا يلوم إلا نفسه, إذا وقع في الشبهات لا يلوم إلا نفسه, الناس ستقع فيه.

لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فقد استبرأ لدينه وعِرضه», فمفهوم ذلك أن الذي يقع في المشتبه يقع الناس في عِرضه.

وهذا من الفوائد: أن الإنسان لا يُعرِّض نفسه فيما يقدح الناس فيه, لا يدخل الأماكن المشتبهة أو الأماكن التي يشك فيها الناس إذا رأوه فيها أو يقدحون فيه, فهذا من الفوائد, ولذلك إذا ترك المتشابه ما وقع الناس فيه, أما إذا وقع في المتشابه قال الناس: فلان الذي يدعي الصلاح وقع في المحرم, لأنهم قد يعتقدون أن هذا محرم.

وأيضًا من الفوائد: أن الإنسان لا يعرِّض نفسه لأن يُغتاب أو يُقدح فيه, كيف؟ لا يأتي إلى الأماكن التي إذا رأوه الناس فيها تكلموا فيه, فمثلًا: الأماكن التي فيها اختلاط نساء ورجال, فيخرج هذا الرجل الذي ظاهر الصلاح فيخرج إلى هذه الأماكن , وهذا من أسباب أن الناس تقدح فيه, يقول: فلان وجدناه في المكان الفلاني الذي فيه غناء ومعازف وكذا وكذا, فهو الذي تسبب على نفسه أن يقدح الناس فيه.

ولذلك الإنسان لا يُعرِّض الناس أن يقدحوا فيه.

ومن الفوائد: أن الذي يدور حول الشيء قد يقع فيه, مثال ذلك: إنسان يدور حول أمور محرمة, يقول: لا أريد أن أفعل ولكن يكون قريبًا منها, فهذا يوشك أن يقع فيها, لذلك لا بد أن يبتعد الإنسان عن المحرمات ويجعل بينه وبينها حاجزًا.

ومن الفوائد: قاعدة : سد الذرائع, الشيء الذي قد يوصل إلى الشيء فإنه يحرم ولا يجوز, فمثلًا خروج المرأة متبرجة برائحة الطيب هذا لا يجوز, لأنه من أسباب وقوع الفاحشة, لذلك لا يجوز وهذا, من: سد الذرائع, والأمثلة كثيرة على هذا.

ومن الفوائد: أن لله عَزَّ وَجلَّ حِمى, الله عَزَّ وَجلَّ له حِمى, وحِمى الله عَزَّ وَجلَّ هي محارمه, بحيث أن الإنسان إذا وقع في الذنوب والمعاصي فقد انتهك حرمات الله.

ومن الفوائد: أن المدار على صلاح القلب, والقلب يتقلب, ولذلك سُمي القلب قلبًا لأنه يتقلب, قال أحد العلماء: سُمي القلب قلبًا لتقلبه, بحيث يكون فيه مثلًا محبة لهذا الشيء, ثم بعد مدة يكره هذا الشيء وبعد مدة يحب هذا الشيء, فيتقلب القلب, فيحرص الإنسان على صلاح هذه المُضغة.

أيضًا من الفوائد: أن الإنسان الذي يكون ظاهره على غير استقامة, وإذا سألته قال: القلب نظيف, وهو تراه على غير استقامة, فنقول: لو صلح القلب لصلحت الجوارح, والدليل: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا صلح القلب صلحت الجوارح», لذلك هذا من أهم ما يكون.

فالعادة أن من كان قلبه صالحًا فلا بد أن يظهر على لسانه يظهر على عينيه, يظهر على استقامته واتباع للسُنَّة.

أما إنسان يكون على غير السُنَّة وترى منه السب والشتم والغيبة والنميمة والكذب ويؤذي المسلمين ويقول: أنا قلبي نظيف ليس فيه إلا الصلاح, نقول: لو كان صالحًا لصلحت هذه الجوارح, والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى, يقول: «إذا صلحت صلح الجسد كله».

فإذا أردت أن تعرف الإنسان إذا رأيت جوارحه فهذه علامة على صلاح القلب غالبًا وليس دائمًا, قد تجد إنسانًا ظاهره على الصلاح ولكن هو ليس كذلك, لكن نتكلم عن الغالب, فالغالب أن الإنسان إذا كان ظاهره صالحًا فباطنه صالحًا.

ومن الفوائد: أن الإنسان يحرص على صلاح هذا القلب, ومن أسباب صلاح القلب ذكر العلماء خمسة أشياء من أسباب صلاح القلب:

الأول: خلو البطن: يعني الإنسان لا يُكثر من الطعام والشراب, إذا أكثر من الطعام والشراب فإنه من أسباب قسوة القلب بحيث أنه يشبع دائمًا فهذا من أسباب قسوة القلب.

الثاني: تدبر القُرآن, وكيف يتدبر القُرآن؟ أن يعرف معانيه, لا بد أن يعرف معاني القُرآن فيتدبر القُرآن.

الثالث: قيام الليل, يقوم الإنسان في آخر الليل فيصلي لله ما كتب الله له, هذا من أسباب صلاح القلب.

الرابع: الدعاء آخر الليل, يقوم آخر الليل فيدعوا الله ويسأله ويناجيه, هذا من أسباب صلاح القلب.

الخامس: مجالسة أهل الخير الناس الصالحين يجالسهم, هذا من أسباب صلاح القلب.

وقد قال الشاعر:

صلاح قلبك عند قسوته خمسة ... فدُم عليها تفز بالخير والظفر

خلاء بطنٍ وقرآن تدبره ... وتضرع بباك ساعة السحر

وقيامك جناح الليل أوسطه ... وأن تجالس أهل الخير والخَبر

***

أهل الخير والخبر يعني أهل الأحاديث الذين يأتون بالأخبار الصالحة ونحو ذلك.

ومن الفوائد: أن الإنسان يحرص على صلاح قلبه.

وفساد القلب له أسباب:

من أسباب فساد القلب: النظر إلى المحرمات, فهذا من أسباب ما يُفسد القلب.

ولذلك يقول الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت بقلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وترِ

والمــــرء مـــا دام ذو عـــين يقلبهـــا في أعــين العــين موقــوف عــلى الخطــر
يســـرــ مُقتلـــه مـــا ضر مهجتـــه لا مرحبًـــا بســـرور عـــاد بالضـــرر

***

فمن أسباب فساد القلب: النظر إلى المحرمات, فينظر الإنسان فيصاب بفساد القلب, نسأل الله العافية.

وأيضًا فساد القلب أسبابه كثيرة, وفي الجملة المعاصي, فالمعاصي تُفسد القلب, ولذلك إذا أكثر الإنسان من المعاصي فقد يفسد قلبه, نسأل الله العافية.

الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين: ١٤], الران: هو أن يُغطى القلب بحيث لا يعرف المعروف ولا يُنكر المنكر, نسأل الله العافية.

وأيضًا جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أذنب العبد ذنبًا نُكت في قلبه نكتة سوداء, فإذا تاب صُقل**»: يعني نظف قلبه, وإذا لم يتب بقيت هذه, فإذا زاد معصية زادت هذه النكت, حتى يكون القلب أسودًا, «**لا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا**», هذا من أسباب المعاصي.

فالإنسان العاقل يحرص على صلاح هذا القلب.

الحَدِيث السابع

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِي اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**», قُلْنَا: لِمَنْ؟ «**قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**», رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

هذا الحَدِيث الذي رواه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عن أبي رقية تميم بن أوس الداري.

تميم بن أوس الدار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وكان نصرانيًا وقد أسلم.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة, ولذلك العلماء تكلموا عن هذا الحَدِيث وقالوا: أن الدين محصور في هذا الحَدِيث.

لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدين النصيحة».

الدين يُطلق في النصوص على معنيين:

المعنى الأول: المِلة والشريعة, كما قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون: ٦].

المعنى الثاني: يطلق الدين في النصوص ويراد به الجزاء والحساب, كما قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤], يعني مالك يوم الجزاء والحساب.

فهذا له إطلاقان, والدين هنا يعني الملة والشريعة.

الدين النصيحة: الدين مبتدأ مقدم, والنصيحة خبر, وهو فيه إفادة الحصر.

والنصيحة في اللغة: هي إخلاص الشيء وتنقيته.

أما شرعًا: فهي إخلاص الرأي وإخلاص النُصح وإرادة الخير للمنصوح له.

قال: «الدين النصيحة», قلنا: لمن؟ قال: «لله»: يعني النصيحة لله عَزَّ وَجلَّ, وذلك تتضمن أمورًا كثيرة:

من النُصح لله عَزَّ وَجلَّ أن يصفه بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تكييف ولا تمثيل, ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وأيضًا يتضمن توحيد الله عَزَّ وَجلَّ, بحيث يعبد الله وحده ولا يُشرك به شيئًا, ويعتقد أن المعبود بحق الله وحده.

وأيضًا يتضمن إخلاص العمل لله, وإرادة وجهه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وأيضًا اعتقاد ربوبية الله عَزَّ وَجلَّ, وأنه الخالق المالك الرازق المحيي المميت ونحو ذلك.

وأيضًا يتضمن دعاء الخلق لله, بحيث يأمرهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له.

وأيضًا يتضمن الذب عمن عطَّل أسماء الله عَزَّ وَجلَّ وصفاته أو عمن ألحد في أسماء الله.

وأيضًا يتضمن النهي عن الشرك, لأنه من أعظم النُصح لله, هذا هو الأول.

والثاني: قال: «ولكتابه»: أيضًا النُصح لكتاب الله يتضمن أمورًا منها:

أن يعتقد أن القُرآن كلام الله, وأنه منزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وأنه من الله بدأ, وإليه يعود, وأن الله تكلم به حقيقة, وسمعه جبريل, ونزل به إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا يتضمن أن يتلوه حق تلاوته, وأن يقرأ القُرآن ويحفظه, وأن يتعلم معانيه, وأن يُعلِّم الناس معانيه.

وأيضًا يتضمن اعتقاد أنه مُعجِز بلفظه ومعناه.

وأيضًا يتضمن الذب عن كتاب الله: من حرَّف فيه حرف معناه أو نحو ذلك.

وأيضًا يتضمن العمل به: فيعمل بكتاب الله ويقرأ القُرآن ويعمل بما فيه, فهذا من النُصح لكتاب الله.

قال: «ولرسوله»: أيضًا النُصح للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضمن أمورًا:

تصديقه بأنه رسول الله, وأنه مُرسلٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وأيضًا طاعته فيما أمر, واجتناب ما نهى عنه وزجر.

وأيضًا توقيره والذب عن سنته عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام.

وأيضًا يتضمن اتباعه عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام واعتقاد أنه رسول من الله.

وأيضًا يتضمن النهي عن البدع ونحو ذلك في دين الله.

ويتضمن أيضًا: الإيمان برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذب عنه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ وعن سنته ونحو ذلك.

قال: «ولأئمة المسلمين وعامتهم»: أئمة المسلمين نوعان: أئمة في الدين وأئمة في الدنيا.

الأئمة في الدين هم العلماء, والنُصح للعلماء يتضمن أمورًا:

نُصحهم إذا وقع منهم خطأ أو زلل بغير قصد, فإن الإنسان معرَّض للخطر.

وأيضًا نُصحهم بحيث لا يغتابهم ولا يقع في أعراضهم.

وأيضًا نُصحهم بحيث ينشر علمهم الذي قالوه.

فأئمة الدين النصح لهم هكذا.

قال: «ولأئمة المسلمين»: أيضًا الثاني من أئمة المسلمين هم الأئمة في الدنيا وهم أئمة السلطة ونحو ذلك, والنُصح لهم يتضمن أمورًا:

يتضمن اعتقاد إمامتهم.

ويتضمن أيضًا نُصحهم برفق ولين وتوجيههم لِما يُرضي الله عَزَّ وَجلَّ إن وقع ما يُخطئ فيه ونحو ذلك.

وأيضًا الدعاء لهم, تدعوا لهم بظهر الغيب.

وأيضًا يتضمن عدم الخروج عليهم, لا بالقول ولا بالسيف.

القول: كأن يخرج في المنابر ويقول: فعل الإمام كذا أو حصل من الإمام كذا, فهذا ليس من النُصح لأئمة المسلمين.

وأيضًا عدم الخروج عليهم بالسيف فيقاتلهم, لأن الله عَزَّ وَجلَّ هو الذي جعلهم أئمة في هذه الدنيا.

وأيضًا يتضمن جمع قلوب الناس عليهم, ولا تؤنب الناس عليهم.

قال: «وعامتهم»: يعني عامة المسلمين, جميع المسلمين, والنُصح لعامة المسلمين هو أن ينصح لهم ويحزن لحزنهم, ويفرح لفرحهم.

وأيضًا تُفريج الكرب عن المكروبين بما استطاع.

وأيضًا يتضمن دعوتهم إلى الله عَزَّ وَجلَّ وتعليمهم دينه.

ويتضمن إعانتهم بالمال إن استطاع.

ويتضمن أيضًا معاملتهم بالصدق, سواءً كان في البيع أو في المجالس أو نحو ذلك, فلا يغتابهم ولا يقع في أعراضهم, وأيضًا إذا باع واشترى معهم فيصدق معهم ويبيعهم السلع بما هو مناسب, لا يزيد عليهم ونحو ذلك, هذا عامة المسلمين.

فهذا فيه الدين كله: رأيت النُصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وهنا مسألة: النُصح للنفس ما ذُكر في الحَدِيث, بلى ان الإنسان إذا قام بهذه الأمور فإنه قد نصح لنفسه, وذلك أن النُصح للنفس يكون بطاعة الله عَزَّ وَجلَّ واجتناب نهيه, فالإنسان الناصح لنفسه الصادق مع نفسه هو الذي يطيع الله عَزَّ وَجلَّ ويجتنب نهيه.

ولذلك الإنسان عليه أن يكون ناصح لنفسه, والنفس أمانة عند الإنسان فلا بد أن يحملها على طاعة الله وترك معصيته واتباع أوامره.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن الإنسان عليه أن يكون ناصحًا, سواءً كان لله أو لكتابه أو لرسوله أو لأئمة المسلمين أو عامتهم.

والنصيحة فرض كفاية, لا بد أن يكون في الناس من ينصح لله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤], فالله عَزَّ وَجلَّ أمر بأن يكون في الأمة من يدعوا إلى الله عَزَّ وَجلَّ ويأمر بالخير.

ومن الفوائد: أن النُصح لله عَزَّ وَجلَّ يكون بعبادته عَزَّ وَجلَّ وتعظيمه, وأن يصفه بما وصف به نفسه, وألا يُلحد في أسماء الله عَزَّ وَجلَّ ولا في صفاته, ولا يُشرك بالله عَزَّ وَجلَّ, وألا يضيف نِعم الله عَزَّ وَجلَّ لغيره.

فالنُصح لله باب واسع.

وأيضًا من الفوائد: أن الإنسان ينصح لكتاب الله, وذلك بحيث يحفظ القُرآن ويعمل بما فيه ويتلوه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار, فيقرأ القُرآن ولا يكون تاركًا للقرآن, لأن من ترك القُرآن فإنه ليس بناصح له.

ومن الفوائد: أن النُصح للرسول يكون باتباعه وتصديقه, واعتقاد أن ما جاء به حق, وأنه رسول, وأن يذُب عن سنته, إذا رأى أن أحدًا يبتدع في سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعليه أن يذُب عنه.

وأيضًا يُصلي عليه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم, فإذا ذُكر اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيُصلي عليه, فهذا من النُصح له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يكون ناصحًا لأئمة الدين وأئمة السلطة, فينصح لأئمة الدين.

وأئمة الدين العلماء: وذلك أن الإنسان بشر, قد يقع منه زلل أو خطأ فينصح لهم, إذا وقع العالم في خطأ غير مقصود فإنه يقول: يا أيها الشيخ هذا كذا, وكذا ويأتيه, بكلامن حسن ولا يُشهِّر به عند الناس ويقول: فَعَل العالم كذا, وهذا العالم حصل منه كذا.

وأيضًا يدعوا للعلماء, وذلك أنه جاء في الحَدِيث: أن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحوت في البحر, حتى النملة في الجُحر, فالعلماء ورثة الأنبياء, فعلى الإنسان أن يوقرهم التوقير الذي هو من حقهم.

وأيضًا ينصح لأئمة السلطة: أئمة السلطة هو الإمام الأعظم , ويدخل فيهم الوزراء والقضاة ونحو ذلك كل من ولاه الله عَزَّ وَجلَّ فينصح لهم, بحيث يعتقد إمامتهم, ويسمع ويطيع لهم في غير معصية الله.

فالسمع والطاعة هذا مما أمر الله عَزَّ وَجلَّ به: أمر أن يسمع الإنسان لأئمة السلطة في غير معصية, فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة, أما إذا أمروا بمعروف أو بما هو مباح فيه مصالح للناس فيجب على الإنسان أن يسمع ويطيع.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء: ٥٩], فالله عَزَّ وَجلَّ أمر.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله, ومن عصاني فقد عصى الله, ومن أطاع أميري فقد أطاعني, ومن عصى أميري فقد عصاني».

فأئمة السلطة يجب على المسلم أن يطيعهم في غير معصية الله, ولا يكن كأهل الجاهلية الذين لا يرون السمع والطاعة, لذلك أهل الجاهلية كانوا لا يرون السمع والطاعة, ويرون أن هذا من القهر لهم , وهذا ليس بصحيح, بل هذا فيه فوائد كثيرة, والله عَزَّ وَجلَّ من حكمته أن جعل إمامًا ومأمومًا, وجعل حاكمًا ومحكومًا, فيه مصالح كثيرة جدًا.

فالإنسان الناصح عليه أيضًا أن يدعوا لهم: أن الله يُصلحهم, وأن يُعينهم على ما قلدهم ونحو ذلك.

فهذا هو الإنسان الناصح.

أما الإنسان الذي يخرج على المنابر ويُشهِّر بولاة الأمر, ويقول: الحاكم حصل منه كذا, فيشحن قلوب الناس, هذا ليس بناصح, بل هو غاش للإمام وللرعية, وذلك أنه يغش الإمام بحيث أنه ما سمع ولا طاع له.

وأيضًا يغش الرعية, وذلك أن الناس إذا شُحنت قلوبهم خرجوا على الإمام فتقاتلوا ووقعت الفوضى ووقعت الدماء ووقع اختلال الأمن, ووقع تسلط الأعداء, فهذه أمور كبيرة لا يعرفها إلا من هداه الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن ينصح لإخوانه المسلمين, فيكون ناصحًا لهم, ويدعوا لهم, وإذا رأى من أخيه زللًا أن يوجهه ويقول: يا أخي وقع منك خطأ, وأن الطريق الذي سلكته غير صحيح, وأن يوجههم إلى الطاعة.

فالإنسان الذي يأمرك بمعروف وبطاعة وينهاك عن المعصية فهذا من أعظم النُصح لك.

فالذي يوجهك للطاعة ويقول: يا أخي أنت وقعت في معصية, يا أخي صلي مع المسلمين, يا أخي بر والديك, يا أخي أطع الله وأطع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فهذا من أعظم النُصح, فعليك أن تعتقد أنه ناصح لك.

وأيضًا النصيحة لعامة المسلمين : وعلى الإنسان أن يتَّبع الطريقة الصحيحة, بحيث أن يأخذ بيد أخيه ويقول: يا أخي وقع منك كذا وكذا, وأنا ما أردت لك إلا النُصح, ولا يُشهِّر به عند الناس, ويقول: فعل فلان كذا, أو يأتيه في مجلس فيقول: أنت الذي فعلت كذا , أو حصل منك كذا, فهذا من التشهير, ليس هذا من النُصح الصحيح.

فهذا الحَدِيث ترون أن فيه فوائد كثيرة, فعلى الإنسان أن يتدبر مثل هذه الأحاديث وأن يقرأها ويفهم معانيها.

الحَدِيث الثامن

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى»**, رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الشرح

هذا الحَدِيث فيه بيان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لَا إِلَه إِلَّا الله وحتى يقيموا الصلاة وحتى يؤتوا الزكاة, فإن فعلوا ذلك عصموا الدماء والأموال إلا بحق الإسلام, وحسابهم على الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أُمرتُ»: أي أمره الله عَزَّ وَجلَّ, فالآمِر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الله تعالى.

قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى»: الناس هنا عموم ومخصوص, يعني هنا عام ولكنه مخصوص بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩], وسيأتي إن شاء الله في الفوائد.

قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى»: حتى للغاية, أي حتى يصير منهم الإيمان, والغاية ما قبلها يخالف ما بعدها.

ويُحتمل أنها للتعليل يعني ليدخلوا في الإسلام.

وقوله: «أُقاتل»: المقاتلة هي الإلزام بالشيء وإن أدى إلى القتل.

«أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لَا إِلَه إِلَّا الله»: يشهدوا يعني يُقروا بقلوبهم ناطقين بألسنتهم أن لَا إِلَه إِلَّا الله يعني لا معبود بحق إلا الله.

«وأن محمدًا رسول الله»: أيضًا لا بد من الشهادة أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: «ويقيموا الصلاة»: يعني يأتوا بالصلاة بشروطها وواجباتها, فإقامة الصلاة: أن يأتي بها الإنسان كما شرعها الله عَزَّ وَجلَّ.

قال: «ويؤتوا الزكاة»: أي يؤدوا الزكاة المفروضة.

«فإذا فعلوا ذلك»: يعني فإذا حصل منهم هذا: شهدوا أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله, وأقاموا الصلاة, وآتوا الزكاة.

«فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم»: يعني صارت دماؤهم معصومة, «عصموا مني دماءهم وأموالهم»: فيُصبحون بعد ذلك قد عُصموا في دماءهم وأموالهم.

قال: «إلا بحق الإسلام»: يعني إذا فعله الإنسان فإنه يحل دمه كزنى بعد إحصان, أو ردة عن الإسلام ونحو ذلك.

قال: «وحسابهم على الله تعالى»: يعني الله عَزَّ وَجلَّ يتولى سرائرهم إذا نطقوا بالشهادتين وأدوا الصلاة وأدوا الزكاة, فإن فعلوا ذلك عصموا الدماء, والله عَزَّ وَجلَّ يتولى السرائر.

في هذا الحَدِيث فوائد كثيرة:

من فوائد هذا الحَدِيث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤمَر, والآمر له هو الله تعالى, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه واجبات, منها: تبليغ الرسالة, ومنها الصلاة المكتوبة والصوم, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له خصائص, قال الإمام أحمد: إن الله عَزَّ وَجلَّ خص نبيه بواجبات ومحرمات ومباحات وكرامات, هذا في خصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وفيه أمر عام يؤمَر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى جميع أمته.

فمثلا الواجب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أمته: الصلاة, فالصلوات المكتوبة واجبة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أمته.

أما الواجبات الخاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مثل قيام الليل, كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب عليه قيام الليل كما ذكر بعض العلماء.

وبعض العلماء قال: أيضًا من الواجبات على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السواك.

لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُص بواجبات ليست على الأمة ولكنها واجبة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره.

أيضًا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه محرمات خاصة مثل الغمز بالعين, فالغمز بالعين محرم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين».

أيضًا : النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختُص بمباحات, وأكثر ما يكون كما يقول العلماء في النكاح, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يباح له أن يتزوج أكثر من أربع, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أن يتزوج أربع خمس ست سبع ثماني أكثر, فمباح له.

ولذلك توفي عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام وهو عنده تسع من النسوة عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام ورضي الله عنهن, فهذا من خصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فيباح له ما لا يباح لغيره.

أيضًا يُختص بكرامات , هذا مما ذكره العلماء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له خصائص.

ومن الفوائد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمور بقتال الناس حتى يفعلوا أشياء, وهذه الأشياء أن يشهدوا أن لَا إِلَه إِلَّا الله ويدخلوا في الإسلام, فالقتال واجب, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أُمرت», فالله عَزَّ وَجلَّ أمره, فلا بد من التنفيذ.

وهنا مسألة قتال الكفار: هذا مشروع, بل إنه فرض كفاية يجب على الأمة أن يقاتلوا الكفار حسب الاستطاعة كما سيأتي إن شاء الله .

ولكن القتال فُرض على مراحل:

المرحلة الأولى: المنع, الله عَزَّ وَجلَّ منع أن يقاتل الكفار, وذلك لما كان في مكة, لما كان المسلمون فيهم ضعف, الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾[النساء: ٧٧].

الثاني: الإذن فيه, أُذن في القتال ولم يُؤمر به, قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[الحج: ٣٩].

المرحلة الثالثة: الأمر بقتال مَن يقاتل, من يقاتل فيقاتَل, ومن لا يقاتِل لا يقاتَل.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠].

الرابع وهو الأخير وهو الذي عليه الأمر الآن الأمر به ابتداء: بحيث أن الجهاد مطلوب وجهاد الكفار مطلوب, قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: ٥], فهذه هي المرحلة الأخيرة وهي الأمر بقتال الكفار ابتداء.

ومن الفوائد: أن هذا عموم, «أن أُقاتل الناس», ولكن اعلم أن العموم خُص, لذلك من الذين خُصوا بحيث يكون لهم حكم آخر أهل الكتاب, خُصوا بأنهم يقاتَلون أو يدخلوا في الإسلام أو يدفعوا الجزية, ترى أنه لا يوجد في هذا الحَدِيث دفع الجزية, ولكن هذا الحَدِيث مخصوص بأهل الكتاب أنهم إذا دفعوا الجزية فإنهم يُقرون على ما هم عليه.

لذلك الله عَزَّ وَجَلَّ يقول:﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩], فإذا دفعوا الجزية فإنه يُكف عنهم.

والعلماء اختلفوا في غير أهل الكتاب يعني من عبدة الأوثان ومن غيرهم, فهل هم يقاتَلون حتى يدخلوا في الإسلام؟ أو أنهم يدفعون الجزية؟ فيه خلاف: أكثر العلماء على أنهم ليس لهم إلا السيف أوالإسلام, لأنه قال: «أُمرت أن أقاتل الناس», فالناس هنا عام, فالله عَزَّ وَجَلَّ خص أهل الكتاب.

واعلم أخي المسلم أن الجهاد له شروط لا بد أن تتحقق, ليس الجهاد أن يخرج الإنسان ويقاتل الناس, لا, الجهاد له راية وله إمام وله شروط, لا بد من شرطه ومن أمهما القدرة, فإذا كان الناس ليست بهم قدرة فلا يجب عليهم القتال.

أناس قليلون لا يجب عليهم أن يقاتلوا أناس كثيرين معهم قوة ومنعة, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كان في مكة نهاهم عن القتال, أتاه أحد الصحابة وهو خباب بن الأرت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله ألا ترى ما نحن فيه؟ فأمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر, فإذا كان الناس فيهم ضعف فمن الخطأ أن يخرج الناس إلى أُناس أكثر منهم عددًا وأقوى عدة, لكن إذا قوي المسلمون فيجب عليهم الجهاد .

ومن الفوائد: أن الكافر إذا نطق بالشهادتين فيجب أن يُكفَ عنه, إذا قال لَا إِلَه إِلَّا الله فتكف عنه, يُعصم دمه وماله.

ومن الفوائد: أن الكافر لا بد أن يشهد أن محمدًا رسول الله, فلو أن كافرًا من الكفار قال: أنا أُوحد الله, أقول: لا معبود بحق إلا الله, ولكن محمد لا أقول أنه رسول, نقول: لن تدخل الجنة, فأنت ما زلت على الكفر, لا بد أن تشهد أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله.

لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «حتى يشهدوا أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله».

ومن الفوائد: أهمية الصلاة, فالصلاة لها شأنٌ عظيم, وهي مهمة جدًا في حياة الإنسان, فيجب على المسلم أن يؤدي الصلاة, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أُمرت أن أقاتل الناس», وذكر منها: «ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة».

وأيضًا أهمية الزكاة, والزكاة حق المال, يجب على الإنسان أن يخرجه لله.

ومن الفوائد: أن الكافر غير معصوم الدم, وذلك أنه قال: «إذا قالوا هذه عصموا مني دماءهم».

ولكن اعلم أن الكفار أنواع: منهم معاهَدون, ومنهم مستأمنون, ومنهم ذمي, ومنهم حربي, فهم أربعة أنواع.

فالذي فيه هذا الحَدِيث هو الحربي فقط, أما المعاهد والمستأمن والذمي: فهؤلاء لا يجوز قتلهم, ولا يجوز أن يعتدى عليهم لا في مال ولا في النفس, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من قتل معاهَدًا لم يرح رائحة الجنة».

فمن الخطأ أن بعض الناس يخرج الآن ويقتل أي كافر أمامه, حتى لو كان بين المسلمين وبينه عهده, يقتله يظن يجوز قتله, والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَن قتل معاهَدًا لم يرح رائحة الجنة».

وأيضًا المستأمن, لذلك أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَمَّنت رجلًا, فقالت: يا رسول الله إن ابن أم أي أخيها علي : زعم أنه قاتل مَن أجرتُ؟ قال: «قد أجرنا مَن أجرت يا أم هانئ», يعني المستأمن يطلب الأمان فتؤمِّنه فلا يجوز للمسلم أن يعتدي عليه لا في مال ولا في عِرض.

وأيضًا الذي دخل لتجارة ونحو ذلك في بلاد المسلمين, فلا يجوز الاعتداء عليه, فالكفار أنواع.

أما الذي ليس بيننا وبينه عهد ولا أمان ولا ذمة فهذا حلال الدم حلال المال.

ومن الفوائد: أن الإسلام له حقوق لا بد أن يأتي بها الإنسان, حقوق الإسلام: الشهادتين وإقام الصلاة, وإيتاء الزكاة.

وأيضًا من حقوق الإسلام: ألا يفعل الموبقات والمحرمات.

وقوله: «إلا بحق الإسلام»: فيه فائدة: أن الإنسان قد يفعل أفعالًا فيحل دمه, مثل الزنا نسأل الله العافية بعد إحصان.

رجل عقد بنكاح صحيح ثم يزني, فهذا يُصبح حلال الدم, لذلك جاء في الحَدِيث الآخر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني, والنفس بالنفس, والتارك لدينه المفارق للجماعة».

أيضًا فارق الجماعة وبغى على المسلمين و ارتد عن الدين فيجوز قتله.

وأيضًا إذا زنى بعد إحصان , أو إذا قتل مسلم, فيُصبح حلال الدم, يجوز للولي أن يأخذ بثأره, فيكون حلال الدم لأنه قتل النفس, الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾[الإسراء: ٣٣].

ومن الفوائد: أن حساب الخلق على الله عَزَّ وَجلَّ, فالناس ليس لهم إلا الظاهر, فإذا رأيت الإنسان على إسلام وعلى طاعة فأنت لك الظاهر, والله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[الغاشية: ٢٥، ٢٦], فحساب الخلق على الله.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وحسابهم على الله», فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: الخلق حسابهم على الله, فمن باب أولى باقي الناس وباقي الأمة, فالله يحاسب الخلق.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يحاسب نفسه في هذه الدنيا, لأن الله سيحاسبه يوم القيامة, فينظر هل أعماله تُرضي الله عَزَّ وَجلَّ أم أنه على سيئات ومعاصي؟ فيحاسِب نفسه, لذلك العاقل يحاسب نفسه قبل أن يحاسَب.

ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يقول: الأفضل أن الإنسان ينام على توبة, يعني إذا جاء وقت الليل يحاسب نفسه, ما هي الذنوب التي فعلتها؟ فيستغفر ويتوب, والله عَزَّ وَجلَّ رحيم, إذا تاب العبد تاب الله عليه, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار, ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

فرحمة الله واسعة, لكن بعض الخلق ينسى التوبة, التوبة واجبة, فالإنسان عليه أن يحاسِب نفسه.

الحَدِيث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الذي ذكر فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أمر باجتناب المنهي عنه, وأمر بفعل ما استطاع الإنسان به من المعروف.

قال عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عبد الرحمن بن صخر هو اسمه لأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ, وهذا أقرب الأقوال فيما قيل في اسمه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه»: يعني الذي نهيتكم عنه فاجتنبوه, يعني اتركوه وابتعدوا عنه, فالاجتناب هو الابتعاد وترك الشيء ببُعد.

قال: «وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»: ما أمرتكم به يعني ما أمر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, يعني الذي أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم, يعني الذي تقدرون عليه.

قال: «فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم»: يعني كثرة الأسئلة, والسؤال هو الاستفهام عن الشيء, «كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»: يعني خالفوا الأنبياء من حيث عصوا الأنبياء ونحو ذلك.

في هذا الحَدِيث فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن المنهي عنه يجب اجتنابه بلا توقف يعني مطلقًا, فالمنهي عنه يجب على الإنسان أن يجتنبه مطلقًا, ولا يجتنب ما استطاع, بل يجتنب الكل, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه».

أي يكون الإنسان في حيز بعيد عن هذا المحرم والمنهي عنه.

والنهي الأصل فيه أنه يجب اجتنابه, وهو على التحريم, الأصل أن المنهي عنه محرم, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا نهى عن شيء فالأصل فيه أنه محرم, إلا أن يأتي دليل على أنه مكروه.

وأيضا : يجب على الإنسان أن يجتنب المحرم بالكلية, فمثلًا الآن الخمر منهي عنه, لا نقول لإنسان: اترك من الخمر ما استطعت, يعني اشرب شيء منه واترك الباقي, لا, بل

يجب عليه أن يجتنبه نهائيًا, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فاجتنبوه», والاجتناب هو الابتعاد, يعني جنب الشيء بعُد عنه, فيكون فيه حيز بعيد.

ومن الفوائد: أن النهي يدل على التحريم, هذا الأصل في النهي, لذلك إذا نهى الله عَزَّ وَجلَّ أو رسوله عن شيء فالأصل فيه أنه محرم, إلا أن يدل الدليل أنه للكراهة.

فمثلًا الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾[الإسراء: ٣٢], لا يأتي إنسان ويقول بأن قربان الزنا مكروه, نقول: الله عَزَّ وَجلَّ نهى عنه, فيدل على أنه محرم, وذلك أنه لم يأتي صارف يصرف التحريم إلى الكراهة.

وأيضًا لو نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء ثم جاء صارف, يعني صارف لهذا النهي فإنه يدل على الكراهة وليس على التحريم, فمثلًا نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشُرب قائم, «من شرب قائمًا فليتقيأ», يعني يُخرِج ما في بطنه, ثم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرب من ماء زمزم قائمًا, فهذا يدل على أنه للكراهة وليس للتحريم.

ولكن انتبه: في حق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن, لأنه مبيِّن للشرع عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبين شرع الله أن هذا الأمر ليس للتحريم وإنما هو للكراهة, فمن حيث فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسنة لأنه يبين شرع الله, أما من حيث فعلنا نحن فمكروه, إذا شربنا قائمين فمكروه أن نفعل ذلك, وإن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عنه, يدل على أنه للكراهة.

أيضًا من الفوائد: أن الأمر على قدر الاستطاعة, فمثلًا أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة قائمًا, فالإنسان على حسب استطاعته, فإذا كان يستطيع القيام فيجب عليه أن يقوم, لذلك لما جاء عمران بن الحصين فقال: إن بي بواسير, فقال: «صل قائمًا», فأمره بالصلاة قائمًا, قال: «فإن لم تستطع فقاعدًا, فإن لم تستطع فعلى جنب», فدل على أن المأمور به على قدر الاستطاعة.

وهذا من رحمة الله عَزَّ وَجلَّ, وذلك أن الكف عن الشيء أهون على الإنسان من الفعل, فالفعل طلب إيجاد شيء, فيحتاج إلى قدرة واستطاعة, ولكن الكف تنتهي عن شيء

فهو يسير, لا تشرب الخمر, يسر أن تترك الخمر, لا تقرب الزنا يسير, لا تقرب الزنا, لا تفعل كذا يسير.

ولكن مثلًا: صل قائمًا, قد يكون الإنسان مشلولًا كيف يصلي قائمًا؟ فهذا من رحمة الله أنه على قدر الاستطاعة.

وأيضًا صُم رمضان: إنسان مثلًا عنده فشل كلوي, كيف يصوم؟ لا يستطيع, فهو على قدر الاستطاعة.

لذلك يقول: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم», وقوله ما استطعتم يعني يأتي ما استطاع, فقد يكون الإنسان يستطيع بعض الشيء, وهذا الشيء عبادة فيجب أن يأتي به.

فمثلًا إنسان يستطيع أن يركع ويسجد ولكن لا يستطيع أن يقف, فنقول: يجب عليك أن تركع وتسجد, ولا يجب عليك أن تقف, فيأتي ما استطاع.

أيضًا إنسان عنده زكاة الفطر يستطيع نصف صاع ولا يستطيع إكمال الصاع , نقول: عليك نصف صاع, فأنت استطعت النصف, وما لا تستطيع لا يجب عليك.

ومن الفوائد: أن سبب هلاك الأمم الماضية هو كثرة المسائل والاختلاف على الأنبياء.

والسؤال نوعان: سؤال مذموم, وسؤال ممدوح, سؤال مذموم يعني منهي عنه خطأ, وسؤال ممدوح حسن, ينبغي أن تسأل عنه.

فالسؤال المذموم: كأن يسأل الإنسان عن أشياء غيَّبها الله عَزَّ وَجلَّ عنه, يسأل مثلًا عن , كيفية صفات الله, أو يسأل عن كيفية أشياء غيَّبها الله عَزَّ وَجلَّ عنا, هذا مذموم, لأن الله عَزَّ وَجلَّ إذا غيَّب الشيء فيجب عليك أن تؤمن به, تؤمن أنه موجود, وأن على الكيفية التي يعلمها الله وأنت ما تعلم الكيفية.

أيضًا من الأسئلة المذمومة: أن يسأل الإنسان عن أشياء ما تنبغي, يترك المهم عنده ويسأل عن أشياء ما تنبغي, يقول: لو خرجنا إلى القمر هل نتيمم على سطح القمر؟ هل يصح التيمم على سطح القمر؟ هذا مذموم.

أيضًا من الأسئلة المذمومة: أن يسأل الإنسان وقت نزول الوحي, وقت نزول الوحي يسأل: هل هذا واجب؟ هل هذا محرم؟ هل هذا مكروه؟ لذلك هذا سبب الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال: «إن الله كتب عليكم الحج فحُجوا», فقال: أكل عامٍ يا رسول الله؟ فسكت, حتى قالها الرجل ثلاثًا, قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو قلت نعم لوجبت, ولما استطعتم, الحج مرة», ثم ذكر هذا الحَدِيث, قال: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه, وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

السؤال المحمود: فهناك سؤال محمود, والدليل أن الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما رزقني الله عَزَّ وَجلَّ العلم: أني كنت صاحب لسان سؤول وقلب عقول, يعني أسأل وأعقِل ما يقال لي.

فمن الأسئلة المحمودة أن يسأل الإنسان عن أحكام تهمه في حياته اليومية, يعني عن أحكام الطهارة, عن أحكام الزكاة, إنسان عنده مال فيسأل عن أحكام الزكاة, يقول: يا شيخ مثلًا أنا عندي مال قدره كذا وكذا, فكيف أزكي؟ من هم أصناف الزكاة؟

عن الصلاة مثلًا: يقول: لبست الخف, فمتى يبدأ المسح؟ هذه أسئلة ينبغي للمسلم أن يسأل عنها.

حتى يسأل عن الأشياء التي يُستحيا منها: فيقول مثلًا: أنا احتلمت بالليل, هل يجب عليَّ الغُسل؟ لذلك عائشة رضي الله عنها تقول: رحم الله نساء الأنصار, لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

وجاءت امرأة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله, هل على المرأة من غُسل إذا هي احتلمت؟ حتى أن أم سلمة كانت عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغطت وجهها من الحياء, فأخبرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قال: «نعم, إذا رأت الماء», ما أنكر عليها عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام لأن هذا في الدين, ينبغي للإنسان أن يسأل عن الأشياء حتى لو كانت دقيقة.

حتى لو يسأل عن جماع أهله, يقول: هل إذا جامعت أهلي ولم أُنزل هل عليَّ غُسل؟ وقد سأل رجلٌ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فينبغي للإنسان أن يسأل.

ويسأل أيضًا عن أمور العقيدة التي تهمه, فيقول مثلًا: هل من شروط لَا إِلَه إِلَّا الله العلم؟ هل هذا من نواقض الإسلام إذا وقع الإنسان في كذا وكذا؟ فيكون هذا سؤال محمود صحيح.

ومن الفوائد: أن الاختلاف على الأنبياء سبب في الهلاك , لذلك قال: «فإنما أهلك الذين من قبلكم», الذين قبلنا من الأمم السابقة أهلكهم كثرة المسائل, يعني يسألون الأنبياء, وأيضًا الاختلاف: يأمرهم النبي بكذا فيخالفون, فهذا سبب الهلاك.

لو قال قائل مثلًا: ورد في بعض النصوص: أن ما أهلك الذين من قبلكم كذا, وجاء في بعض النصوص أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد, وإذا سرق فيهم الشريف تركوه», وهذا الحَدِيث يقول: «أهلكهم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم».

فالجواب والله أعلم: أن كل شيء في باب, يعني أهلك الذين من قبل أنهم كانوا في باب الحدود لا يُطبقون على الحد على الشريف, وفي باب الدين والعصيان يكون الهلاك سببه الاختلاف على الأنبياء, وهكذا يكون الشيء في بابه.

يعني من ناحية عدم تطبيق الحدود سبب الهلاك أن الشريف لا يُقام عليه الحد, وسبب الهلاك في الدين كثرة الأسئلة والاختلاف على الأنبياء, وهكذا, فيكون كل شيء في بابه.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يتَّبع النبي الذي أُرسل إليه, وأنه سبب الهداية, لأن مفهوم ذلك أن المتَّبع للنبي والمؤتمر بأمره أنه سبب في الهداية, وذلك أن الرسول مُرسل من الله يأمر بما أمر الله عَزَّ وَجلَّ به وينهى عما نهى الله, فإذا اتبعت الرسول فأنت فائز بإذن الله.

ومن الفوائد أيضًا: أن فيه فرق بين النهي والأمر: النهي يجب على الإنسان أن يكُف عنه, والأمر يأتي منه ما استطاع, فأيهما أفضل: ترك المنهي عنه أو فعل الطاعة؟

الظاهر والله أعلم: أن الأصل أن الطاعة أفضل وأحسن, هذا بحسب العموم, وإن كان في بعض الناس يكون ترك المعصية أفضل في حقه, ولكن من حيث العموم أن فعل الطاعة أفضل, وذلك أن الطاعة فيها عزيمة على النفس, ومخالفة للهوى, فمثلًا الإنسان الآن وقت الشتاء ووقت مطر وبرد, ويقوم لصلاة الفجر وقت النوم والراحة, فيترك الفراش ولذة النوم, فيقوم يُصلي ويتوضأ في شدة البرد: هذا يحتاج بعد إعانة الله عَزَّ وَجلَّ لصبر.

أما اجتناب النهي فهو مجرد ترك, حتى أن بعض الناس لا تطرأ عليه المعصية, لا تهمه, بعض الناس الآن ما يطرأ على باله أن يشرب الخمر أو يسرق, لا يهمه, هذا من حيث العموم, وبعض الناس قد يكون في حقه فعل المعصية أشد, كما لو كان إنسان مثلًا عرضت له شهوة وتيسرت له أسباب المعصية, وكان في شدة فعل المعصية يريدها: فهنا نقول: الأفضل ترك المعصية.

لذا جاء في الحَدِيث أن الله عَزَّ وَجلَّ يقول: «**إذا ترك السيئة فاكتبوها له حسنة, فإنما تركها من جرائي**», الإنسان إذا ترك المعصية لله فهو يؤجر, فمثلًا الإنسان عرضت له معصية وحده, لا يراه إلا الله عَزَّ وَجلَّ, وكانت نفسه تائقة إلى هذه المعصية وتيسرت عليه المعصية مجرد أن يفعلها, ولكن تذكَّر قدرة الله عَزَّ وَجلَّ وعظمته, وأن عذابه شديد, فقال: لا والله, سأترك هذه المعصية لله, فهذا يؤجر, فعله هذا حسن, بل يكون من أسباب دخول الجنة, وقد يكون من أسباب إعلاء درجته في الجنة, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦], جاء عن بعض المفسرين أنه: الرجل تعرض له المعصية فيخاف الله عَزَّ وَجلَّ والوقوف بين يديه فيتركها, لأن الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦].

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة, لكن المراد الاختصار.

الحَدِيث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾, ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟», رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا, وأن الله عَزَّ وَجلَّ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين, وأن الله عَزَّ وَجلَّ ذكر حال الرجل يطيل السفر وفيه حاله شعثٌ وغَبَر, ويمد يديه يدعوا الله عَزَّ وَجلَّ وهو يأكل الحرام ويشرب الحرام, فلا يُستجاب له.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله طيبٌ»: يعني أن الله عَزَّ وَجلَّ طيبٌ في ذاته عَزَّ وَجلَّ وفي أسمائه وفي أفعاله.

والطيب هو المنزه عن كل نقص, وهو قريب من معنى القدوس.

قال: «لا يقبل إلا طيبًا»: يعني لا يقبل من الأعمال والأقوال إلا الطيب.

«وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين, الله عَزَّ وَجلَّ أمر المؤمنين بأوامر كما أمر المرسلين, الله عَزَّ وَجلَّ يأمر وينهى.

«فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾»: هذا نداءٌ من الله عَزَّ وَجلَّ للرُسل, والرُسل هم بَشَرٌ بعثهم الله عَزَّ وَجلَّ برسالة إلى قومٍ كُفار يدعونهم إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

قال: ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾: يعني كلوا من المستلذات من المطاعم.

قال: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾: أي اعملوا الأعمال الصالحة, فهذا أمرٌ من الله عَزَّ وَجلَّ للمرسلين.

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾»: هذا نداء من الله عَزَّ وَجلَّ للذين آمنوا, يعني آمنوا بقلوبهم وبجوارحهم وبألسنتهم, فالإيمان يشمل أمورًا ثلاثة: القلب والعمل واللسان, فالإيمان يشمل هذه الأمور الثلاثة, يشمل القول والعمل والاعتقاد.

قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: يعني من المستلذات من المآكل, ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: الذي رزقناكم إياه, أي أن الرزق من الله عَزَّ وَجلَّ.

«ثم ذكر الرجل»: الرجل نكرة هنا فيدخل فيه جنس الرجال, وأيضًا هذا للغالب, لو كانت امرأة أيضًا فهي داخلة في الحَدِيث.

قال: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر»: السفر من الاسفرار وهو الظهور والبروز, والمراد أنه يبرز ويبعُد عن مكان الإقامة الذي هو فيه.

«يطيل السفر أشعث»: أشعث يعني متلبد الرأس متغير الرأس, قد دخل شعر رأسه بعضه في بعض.

«أغبر»: يعني قد ظهر الغبار على قدميه وشعره ونحو ذلك.

«يمُد يديه إلى السماء»: يعني يدعوا الله عَزَّ وَجلَّ, وذلك أن الله عَزَّ وَجلَّ في العلو, فيمد يديه إليه يدعوه عَزَّ وَجلَّ.

«يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب»: يعني يدعوا وينادي الله عَزَّ وَجلَّ لأنه ربه الذي خلقه وهو الذي يرزقه, فيدعوا الله عَزَّ وَجلَّ أن يعطيه سؤله.

قال: «ومطعمه حرام»: يعني الطعام الذي يأكله حرام ومحرم, وقد يكون محرم لذاته, وقد يكون محرمًا لكسبه.

محرم لذاته: مثل أكل الخنزير.

وقد يكون محرمًا لكسبه: كالأكل من المال المسروق أو من مال ربا, فهذا داخل في قوله: «ومطعمه حرام»: يعني الطعام الذي يأكله محرم.

«ومشربه حرام»: أيضًا المشرب, يشمل ما هو محرم لجنسه ولذاته, ومحرم لكسبه.

محرم لذاته مثل الخمر, يشرب الخمر هذا داخل في قوله: «ومشربه حرام».

وأيضًا لكسبه: كأن يكون مثلًا يسرق أموال الناس ويشرب بها مشروبات, ويسرق ماءً ويشربه.

«وملبسه حرام»: الملبس هو ما يُغطي به الإنسان البدن, فيلبس المحرم, ملبسه أي ما يلامس جسمه وبدنه محرم.

«وغُذي بالحرام»: يعني تغذى, بالمطاعم والمشارب,وكل غذاؤه محرم.

«فأنى يُستجاب له؟»: يعني كيف يُستجاب لمن هذا حاله؟

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن الله عَزَّ وَجلَّ من أسمائه الطيب, لأنه قال: «إن الله طيب», والطيب هو المنزه عن كل نقص, فهو عَزَّ وَجلَّ طيب, وهو طيب في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ لا يقبل إلا ما كان طيبًا من الأقوال والأعمال, وأيضًا من الصدقات والزكوات ونحو ذلك, فلو تصدق إنسان مثلًا بمال مسروق, سرق مالًا فتصدق به لا يُقبل منه, لأنه غير طيب, لا يقبل إلا طيبًا.

أيضًا لو عمل الإنسان عملًا على غير السُنَّة أو هو مشرك فيه بالله: فعمله غير طيب, فلا يقبله الله عَزَّ وَجلَّ بل هو مردود.

لذلك لو عمل الإنسان بالبدعة مثلًا, فعمله غير طيب, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد», أي مردود.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ أمر المرسلين, الله عَزَّ وَجلَّ أمر الرسل فكلفهم بأعمال, فالرسل مكلفون, والتكاليف مثل أمر اللهِ عَزَّ وَجلَّ للرسل أن يعملوا صالحًا, وأيضًا مكلفين بالرسالة, لأن الله ناداهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾[المؤمنون: ٥١], فإن الله عَزَّ وَجلَّ أرسل الرسل وأمرهم أن يبلغوا, فالرسل مُرسلون من الله عَزَّ وَجلَّ.

والرسول: مَن أُوحي إليه بشرع وأُمر بالتبليغ.

والنبي: مَن أُوحي إليه وأُمر بتبليغه لقومٍ مؤمنين, هذا الفرق بين الرسول والنبي.

فالرسول يكون مُرسل إلى قوم كافرين, والنبي يكون مُرسل لقومٍ مؤمنين.

والرسول يأتي بشرع جديد, وأما النبي فيكون على شرع الرسول الذي قبله.

ومن الفوائد: أن من المطاعم ما يكون طيبًا, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال:﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[المؤمنون: ٥١], والطيب هو المباح, كل ما أباحه الله فهو طيب, مثل أنواع اللحوم وأنواع المشارب ونحو ذلك فهذه طيبة, فيجوز للإنسان أن يأكل مما أحله الله عَزَّ وَجلَّ.

والحلال لا حصر له, لذلك الحلال كثير جدًا, ومن الخطأ أن يتعدى الإنسان هذا الحلال الذي يَعُم الأرض ويخرج إلى المحرم, هذا غير صحيح.

ومن الفوائد: أن الرسل يعملون, كما تقدم, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال:﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[المؤمنون: ٥١].

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين, من حيث أن يأكلوا من الطيب وأن يعملوا الصالحات, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين».

ومن الفوائد: أن الرزق من الله عَزَّ وَجلَّ, لذلك قال:﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة: ١٧٢].

ورِزق الله عَزَّ وَجلَّ نوعان: رزق بدن ورزق روح :

فالبدن يحتاج إلى رزق فالأكل والشُرب ونحو ذلك, هذا رزق البدن, يتغذى البدن به , فيرزقه الله عَزَّ وَجلَّ.

أيضًا رزق الروح: الروح التي في بدن الإنسان تحتاج إلى رزق, يهديها الله عَزَّ وَجلَّ ويوفقها ويجعل النفس مطمئنة, ويجعلها قابلة للخير ويرزقها العلم, هذا رزق.

لذلك إذا أنت قلت: اللّهم ارزقني, فلا تنسى نفسك من رزق العلم ورزق الهداية, فهذا رزق من الله عَزَّ وَجلَّ للعبد.

وإن شئت أن تقول: رزق بدن ورزق ديدن , فإذا الإنسان هداه الله عَزَّ وَجلَّ هذا رزق من الله.

ومن الفوائد: أن الرجل قد يصاب بموانع تمنع من استجابة الدعاء, يعني يكون العبد يتسبب في نفسه بأن يفعل شيئًا يكون سببًا في عدم إجابة دعائه, مثل ماذا؟

مثل الأكل المحرم, يأكل من الربا, يعني يرابي, يشرب المحرمات, يأكل المحرمات, فيكون سببًا في منع استجابة الدعاء.

ومن الفوائد: أن الدعاء له أسباب إجابة وأوقات إجابة:

أسباب الإجابة: أن يدع الإنسان ربه وهو موقن بالاستجابة, لذلك جاء في الحَدِيث الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل, يقول: دعوت ودعوت فلم أرى يستجب لي**», فعلى الإنسان إذا دعا أن يوقِن أن الله عَزَّ وَجلَّ يجيبه ويعطيه.

لذلك جاء في الحَدِيث أن الله عَزَّ وَجلَّ قال: «**أنا عند ظن عبدي بي**», فيدعوا الإنسان ربه ويوقِن أن الله عَزَّ وَجلَّ يعطيه, فهذا من أسباب الإجابة.

واعلم أن الإنسان إذا دعا الله عَزَّ وَجلَّ فهو له واحد من أمور ثلاثة:

إما أن تُعجَّل له دعوته, وإما أن يُدخر له في الآخرة, وإما أن يُصرف عنه من السوء مثل الذي دعا.

لذلك لما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحَدِيث, قال الصحابة: إذًا نُكثر, قال: «الله أكثر».

ومن أسباب إجابة الدعوة: طيب المأكل والمشرب والملبس, لذلك مفهوم الحَدِيث أنه إذا أطاب أكله وأطاب مشربه وأطاب ملبسه فإن هذا من استجابة الدعاء.

لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لسعد: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة», فكان سعد لا يأكل إلا الحلال, وكان مُجاب الدعوة.

وأيضًا من أسباب إجابة الدعاء: أن يتضرع الإنسان وينكسر بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ, لذلك الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦], ويقول تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل: ٦٢], فيكون الإنسان منكسرًا مضطرًا يدعوا الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن أسباب إجابة الدعاء: الإخلاص, لذلك الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[غافر: ١٤], يدع الله وهو مُخلص له في الدعاء, فهذا من أسباب إجابة الدعاء.

ومن أسباب إجابة الدعاء: أن يكون الإنسان على طهارة, يتطهر من الحدث الأكبر والأصغر, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أراد أن يدعوا لبعض الصحابة توضأ عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام ثم دعا.

ومن أسباب إجابة الدعاء: أن يرفع الإنسان يديه, لذلك جاء في حديث سلمان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله حيي كريم, يستحيي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صِفرًا».

أيضًا استجابة الدعاء له أوقات:

من الأوقات التي يُستجاب فيها الدعاء: بين الأذان والإقامة, لذلك جاء في حديث أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة», رواه النسائي.

وأيضًا من أوقات إجابة الدعاء: جوف الليل, آخر الليل, الثُلث الآخر, لذلك جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إذا بقي ثُلث الليل الآخر يُنزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من داعٍ فيُستجاب له؟ هل من مستغفر فيُغفر له؟».

وجاء في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله عَزَّ وَجلَّ شيئًا من خيري الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله عَزَّ وَجلَّ إياه, وذلك كل ليلة».

في كل ليلة فيه وقت يُستجاب فيه الدعاء.

كذلك من أوقات استجابة الدعاء: ليلة القدر, لذلك عائشة رضي الله عنها سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت: يا رسول الله أرأيت إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر, ما أقول؟ قال: «قولي: اللّٰهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

ومن أوقات إجابة الدعاء: آخر ساعة من عصر الجمعة, على الأقرب والله أعلم أنها آخر ساعة من عصر الجمعة, هذا الذي جاء عن الصحابة, ورجح الإمام أحمد أنها آخر ساعة من يوم الجمعة.

لذلك جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الجمعة وقال: «فيها ساعة لا يوافقها عبد يصلي وهو قائم يسأل الله عَزَّ وَجلَّ شيئًا إلا أعطاه إياه», جاء في حديث جابر: «التمسوها آخر ساعة بعد العصر».

أيضًا من الهيئات أي الحالة التي يكون عليها الإنسان من أسباب استجابة الدعاء:

منها: السجود: إذا سجد الإنسان فليدعوا الله عَزَّ وَجلَّ, لذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء, فقمن أن يستجاب لكم», فقمن يعني جدير وحري أن يُستجاب لكم, والله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩], فيكون قريبًا من الله عَزَّ وَجلَّ فيدعوا الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الهيئات: أن يكون الإنسان منكسر القلب, لذلك موسى عليه السلام لما دعا الله قال: ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[القصص: ٢٤].

فأسباب إجابة الدعاء كثيرة.

وأيضًا من الفوائد: أن الإنسان يحرص على الأدعية الواردة في السُنَّة, فخير الدعاء ما دعا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الفوائد: أنه قد يوجد موانع لإجابة الدعاء, وهي قد تكون بسبب أكل حرام, من أسباب عدم إجابة الدعاء: الأكل الحرام, النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في الحَدِيث: «ومطعمه حرام, ومشربه حرام»: يعني يأكل من الحرام, ويشرب من الحرام, فالإنسان لا بد أن يأكل ويشرب ويلبس, وهذا إذا أطاب الإنسان المطعم والمشرب فإنه من أسباب إجابة الدعاء.

ومن موانع الدعاء: أن يعجَل الإنسان يقول: دعوت ودعوت فلم يُستجب لي, ويترك الدعاء.

ولذا جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل, يقول: دعوت ودعوت فلم يُستجب لي».

وأيضًا من أسباب عدم إجابة الدعاء: أن يدعوا الإنسان اللهَ جَلَّ وَعلا وهو غافل, يعني الإنسان يفكر, يكون قلبه بعيدًا عن الدعاء, يمد يديه وقلبه يُفكر في شيء آخر, فهذا لا يستجاب له لأن قلبه غافل, لذلك جاء في الحَدِيث أن الله لا يستجيب لقلب غافل إذا غفل صاحبه.

وأسباب عدم إجابة الدعاء كثيرة, ولكن اعلم أن الله عَزَّ وَجلَّ إذا دعاه العبد مهما بلغ من الشر ولكن كان موقن أن الله يجيبه وهو محتاج إلى هذا الشيء ومضطر فإن الله عَزَّ وَجلَّ يجيبه حتى لو كان كافرًا, حتى لو كان فاسقًا, بل إن الله عَزَّ وَجلَّ أجاب إبليس, إبليس سأل الله عَزَّ وَجلَّ فأعطاه الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾[الحجر: ٣٦ - ٣٨], فأنظر الله عَزَّ وَجلَّ إبليس.

وأيضًا الله عَزَّ وَجلَّ قال عن المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت: ٦٥], أي استجاب لهم.

ولكن اعلم أن إجابة الله لهم ليس محبةً فيهم, بل لأن الله عَزَّ وَجلَّ هو الرب الخالق المالك الرازق.

وأيضًا جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اتق دعوة المظلوم», وجاء في الحَدِيث الآخر أن الله يستجيب للرجل ولو كان فاسقًا, فإن فِسقه على نفسه.

أيضًا من الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ في السماء, وهذه عقيدة لا بد أن يعتقدها المسلم: أن الله عَزَّ وَجلَّ في السماء, لذلك قال: «يمُد يديه إلى السماء».

واعلم أن السماء هي العُلو, ليس السماء المبنية تعالى الله وتقدس, الله عَزَّ وَجلَّ أكبر من كل شيء, فالسماوات والأرض والخلق جميعًا في قبضة الرحمن يوم القيامة, يقبضها الله عَزَّ وَجلَّ يوم القيامة, فالسماء بالنسبة لله لا شيء, ولكن المراد أن الله عَزَّ وَجلَّ في العُلو, ولذلك أن كل ما علاه فهو سماء, الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾[البقرة: ٢٢], السماء يعني السحاب.

فالعلو سماء, وقد دل على علو الله عَزَّ وَجلَّ الكتاب والسُنة والإجماع والفطرة والعقل, أدلة خمسة على أن الله عَزَّ وَجلَّ في العلو:

أما الأدلة في القُرآن فكثيرة جدًا: قال الله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾[الملك: ١٦], والله قال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[الأعلى: ١], والأدلة كثيرة من القُرآن.

وأيضًا من السُنَّة: لما لطم معاوية بن الحكم جارية, لطمها يعني ضربها, فأراد أن يُعتقها, فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ائتني بها», فقال: «أين الله؟», قالت: في السماء, قال: «مَن أنا؟», قالت: أنت رسول الله, قال: «اعتقها فإنها مؤمنة», والأدلة كثيرة من السُنَّة أيضًا.

الإجماع: قد أجمع المسلمون أن الله عَزَّ وَجلَّ في السماء.

بل إنه حتى العجماوات حتى إن المخلوقات الأخرى تعرف أن الله عَزَّ وَجلَّ في السماء.

أيضًا الفطرة: الله عَزَّ وَجلَّ فطر الخلق على أنه في السماء, هذه فطرة يجدها الإنسان من نفسه, إذا دعا الله أين يتوجه قلبه؟ إلى السماء أي الى العلو.

ولذلك لما كان رجل يحدِّث وينفي علو الله عَزَّ وَجلَّ, قال له رجل: أخبرني عن هذه التي أجدها في قلبي إذا دعوت الله أني ألتفت إلى السماء؟

فضرب الرجل رأسه, قال: حيرني هذا الرجل!

أيضًا العجماوات أي المخلوقات: سليمان عليه السلام خرج يستسقي فوجد نملة مادة يديها إلى السماء تدعوا, فقال: ارجعوا فقد كُفيتم بهذه النملة.

أيضًا العقل: الإنسان العاقل يعرف أن العُلو صفة كمال, فالله عَزَّ وَجلَّ له صفة الكمال من جميع الوجوه, فلا بد أن يعتقد الإنسان أن الله عَزَّ وَجلَّ في العلو, وليس الله عَزَّ وَجلَّ في السماء تُقله أو تحمله, تعالى وتقدس, بل هو في العلو فوق سبع سماوات, فوق العرش, عال على خلقه, بائن, منهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْت مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْ مَا يُرِيبُك إلَى مَا لَا يُرِيبُك», رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى هذا الحَدِيث الذي ذكر فيه الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه حفظ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دع ما يريبك»: أي ما يُقلقك إلى ما لا يقلقك.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب: , الحسن هو الحسن بن علي بن أبي طالب, سِبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: سِبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السِبط هو ابن البنت.

وريحانته: أي رحيانة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يفرح به, والريحانة هي شجرة طيبة الرائحة أو زهرة طيبة الرائحة.

قال: رضي الله عنهما: عنهما الضمير عائد إلى الحسن وأبيه رضي الله عنهما, لأن أباه هو علي بن أبي طالب.

قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حفظت من الاستحفاظ, قد وعاه القلب.

قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دع ما يريبك»: دع يعني اترك, ما يريبك أي ما يقلقك ويحاك في قلبك.

والريب هو الشك الذي يقترن بقلق وعدم ارتياح لهذا الشيء.

«إلى ما لا يريبك»: أي إلى ما لا يقلقك ولا تشك فيه.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: أن الحسن بن علي هو من أحب الناس إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحسن هو سيد, كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن ابني هذا سيد, وسيُصلح الله به بين فئتين من المسلمين».

فقوله: ريحانته: أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحبه.

ومن الفوائد: أن الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد حفظ هذا الحَدِيث وقد وعاه قلبه, لأنه قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن فوائد الحَدِيث: أن الإنسان يترك ما يشك فيه ويُقلقه إلى ما لا يشك فيه ولا يُقلقه, فالريب هو القلق, ولذلك الإنسان إذا أراد أن يفعل شيئًا وحاك في قلبه هل هو مباح أو محرم, فليدعه, لأن هذا الحَدِيث قريب من ترك الشبهات الحديث الذي مضى معنا.

والريب هو الشك, بحيث أن الإنسان لا يعلم هذا الشيء هل هو مباح أو محرم, فيشتبه عنده الأمر, فالورع تركه.

ولا يرد على هذا كثير الشكوك, أو يكون مجرد وهم, لأن كثير الشكوك لا يلتفت لهذا, بعض الناس كلما أراد أن يفعل شيئًا شك فيه, هل هو مباح أو محرم؟ فيُصبح في قلق, وهذا لا ينظر إلى هذا الشك, لأنه كثير الشكوك.

وأيضًا إذا ارتاب الإنسان من عمل قد عمله وذهب, فالأصل أنه فعل العمل على ما هو عليه, أو يكون مجرد وهم, يعني يقلق هل هذا كذا؟ هل هذا كذا؟ وهمٌ, هل سبحت في السجود؟ هل ركعت ركعة أو ركعتين؟ مجرد وهم وهمه, فهذا لا ينظر إليه.

فإذا كان الإنسان كثير الشكوك أو كان مجرد وهم, أو كان بعد الفعل فإن الإنسان لا ينظر إلى الشك, الشك لا ينظر إليه.

لذلك الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين يقول:

والشك في الفعل لا يؤثِّر ... وهكذا إذا الشكوكُ تكثُر
أو تك وهمًا مثل وسواس فدع ... لكل وسواس يجيء به لُكع

***

ففيه صور لا يُنظر إلى الريب والشك, والشك هو أن يكون الإنسان بين أمرين لا راجح بينهما, فهذا هو الشك.

وأيضًا من فوائد الحَدِيث: أن الإنسان عليه أن يعمل بالورع, والورع هو ترك ما يضر في الآخِرة, فإذا أراد الإنسان أن يفعل شيئًا فشك فيه: هل هو مباح أو محرم؟ فالورع أن يتركه, مثل الآن تصوير الجوال إذا كان لغير حاجة فشك الإنسان: هل هو مباح؟ هل هو محرم؟ فالورع أن يتركه, «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

فالورع أن يترك التصوير, وإن كان الإنسان عنده علم بأنه مباح فلا بأس.

ومن الفوائد: أن الشيء الذي لا يشك فيه الإنسان فعليه أن يعمله, فإذا أراد الإنسان أن يفعل شيئًا وليس في قلبه ريب, يعني يعرف أنه مباح مثل أكل الخُبز: يعرف أنه مباح فيفعل ولا حرج.

الحَدِيث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ», حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابن ماجه.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»: الإنسان الكامل في إسلامه هو أن يترك ما لا يفيده لا في دينه ولا في دنياه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حُسن إسلام المرء»: الحُسن هو الشيء الحسن والطيب والكمال ونحو ذلك من ألفاظ.

والإسلام يعني استسلام الشخص وطاعته لله عَزَّ وَجَلَّ.

والمرء هو الإنسان .

«تركُه ما لا يعنيه»: أي ليس الأمر موجهًا إليه, يعني لشخص غيره ليس له, فإذا تركه فهذا من حُسن إسلام المرء.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: أن المسلمين في الإسلام على قسمين: مُحسن ومسيء, قد يكون الإنسان مسيئًا في الإسلام, فالمُحسن هو الذي أتى بما أُمر به وترك ما نُهي عنه, فقد حسُن إسلامه, فمن فعل الواجبات وترك المنهيات فقد حسن إسلامه.

والمسيء: هو من وقعت منه معصية أو ترك واجب فقد أساء, وإن كان على الإسلام.

ومن الفوائد: أن الناس في الإسلام يتفاوتون, الناس في الإسلام ليسوا على حد سواء, فمن الناس من فعل الواجبات وأتى بالمستحبات وترك المنهيات وترك المكروهات, فهذا في أعلى ما يكون في إسلامه.

الثاني: مَن فعل معصية كبيرة أو أصر على صغيرة أو قصر في واجب: فهذا مسلم ولكن عنده ضعفٌ في إسلامه.

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله, هذا الإسلام بمعناه العام.

والإسلام والإيمان من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت, وإذا افترقت اجتمعت, فإذا اجتمعت فالإسلام هو الأعمال الظاهرة مثل الصلاة والصوم كما مر معنا في حديث جبريل, والإيمان هو الأعمال الباطنة, مثل الإِيمَان بالله واليوم الآخر ونحو ذلك من أركان الإيمان.

وإذا افترقت دخل الإسلام في الإِيمَان, فتقول: هذا مسلم وتقول: هذا مؤمن.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يترك ما لا يعنيه, وما لا يعني الإنسان من الأقوال ومن الأفعال ونحو ذلك.

الحَدِيث الثالث عشر

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن الإنسان لا يصل إلى كمال الإيمَان حتى يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه, سواءً أمر دنيوي أو ديني, هذا الحَدِيث من حيث الإجمال.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أبي حمزة أنس بن مالك خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنس بن مالك خدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين, يقول أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خدمت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين, فما قال لي لِمَ لم تفعل هذا؟ ولم يقل لم فعلت هذا؟ فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن الخُلق صلوات الله وسلامه عليه.

فأنس خدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وقد أتت به أمه وهو صغير, فقالت: يا رسول الله هذا خويدمك أنس, أو كما جاء في الأثر.

قال: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن أحدكم»: نفي الإيمَان هنا أي كماله وليس نفي أصل الإيمَان, يعني لا يصل الإنسان منكم إلى كمال الإيمَان, قال: «حتى يحب لأخيه»: حتى للغاية, حتى يصل إلى هذه الدرجة, حتى يحب: والمحبة معروفة في القلب.

يحب لأخيه: الأخوة هنا أُخوة الدين, لأخيه في الإسلام, وليس أخوه في النسب, بل أخيه في الدين.

قال: «يحب لأخيه ما يحب لنفسه»: ما يحب لنفسه يعني ما يحب لذاته, فالإنسان معلوم أنه يحب لنفسه الحسن سواءً كان أمرًا دنيويًا أو ديني.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: أن الشيء قد يُنفى ويُراد به كماله وليس أصله, انظر هنا قال: «لا يؤمن أحدكم», وهذا العمل لا يدل أن الإنسان خرج من الدين, بل يدل على أن الإنسان لم يكمُل إيمانه, لذلك قال: «لا يؤمن أحدكم»: فالنفي هنا نفيٌ للكمال وليس نفيًا للأصل.

ونفي الإيمان يأتي على درجتين: الدرجة الأولى: نفي الوجود: يعني ما يكون مؤمنًا نهائيًا بحيث يكون كافرًا خارج عن الإسلام, والأمثلة في الكتاب كثيرة على ذلك.

الثاني: نفي كمال الإيمَان, ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال: ٢], فالنفي يكون نفي أصل ونفي كمال.

وعلى هذا الإنسان قد يكون مؤمنًا ولكن ناقص الإيمَان.

وقد يقال بعبارة أخرى: أن الإيمَان على درجتين:

الأول: كمال الإيمَان, إيمان كامل, ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال: ٢], يعني المؤمنين كاملي الإيمَان.

الثاني: أصل الإيمَان أو مطلق الإيمَان, يعني الإيمَان الناقص, ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[النساء: ٩٢], هذا يدخل فيه حتى المؤمن الفاسق وهو المؤمن الذي عنده تقصير.

ومن الفوائد: أن الإيمَان يزيد وينقص, وهذه عقيدة أهل السُنَّة والجماعة: أن الإيمَان يزيد وينقص: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والإيمان لغة هو التصديق.

وأما شرعًا: فهو قولٌ باللسان, واعتقاد بالجنان, وعملٌ بالجوارح, يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان, هذا هو الإيمَان في الشرع, لذلك الإيمَان يزيد وينقص, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن»: النفي هنا ليس نفي أصل الإيمَان بل هو نفي كمال الإيمَان.

ومن أسباب زيادة الإيمَان:

التقوى: فعل الطاعة وترك المعصية, فإذا فعل الإنسان الطاعة وترك المعصية فإنه سبب لزيادة الإيمَان.

ومن أسباب زيادة الإيمان: التفكر في آيات الله الكونية والشرعية, فإذا تفكر الإنسان في آيات الله الكونية وآيات الله الشرعية فإنه سبب لزيادة الإيمان, والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

أيضًا التفكر في آيات الله الشرعية, كيف أن الله عَزَّ وَجَلَّ بعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الدين وأظهره على الدين كله, وأصبح الإسلام منتشرًا في جميع الأرض, وهذا القُرآن الذي يقرأه المسلمون بين أيديهم حَفِظه الله عَزَّ وَجَلَّ منذ بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فإذا تفكر الإنسان في هذه الأمور فإن هذا من أسباب زيادة الإيمان.

والإيمان له أيضًا أسباب للنقص: من أسباب نقص الإيمان:

المعصية: فإذا فعل الإنسان معصية فإن الإيمان ينقص: سرق أو شرب الخمر أو زنى فإن الإيمان ينقص, ولذلك جاء في الحَدِيث: أن الرجل إذا زنى خرج الإيمان فأصبح فوقه كالظل, فإذا نزع عاد إليه الإيمان, هذا يدل على أن المعاصي تُنقص الإيمان.

والآيات في هذا كثيرة, والأدلة في هذا كثيرة.

وأيضًا من أسباب نقصان الإيمان: ترك الواجب, فإن الإيمان ينقص, إذا ترك الإنسان الواجب مثلًا ترك الزكاة الواجبة, أو ترك الصيام الواجب فإنه ينقص الإيمان.

ومن أسباب نقصان الإيمان: الغفلة عن التفكر في آيات الله الكونية والشرعية, فلا يتفكر, فيُصبح الإنسان في غفلة, لذلك الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨], فأصبح غافلًا, فإذا غفل الإنسان عن التفكر في آيات الله الكونية الشمس والقمر والليل والنهار فإن هذا من أسباب نقصان الإيمان.

وأيضًا الغفلة عن التفكر في الشرع: التفكر في آيات الله الشرعية فإن هذا يُنقص الإيمان إذا لم يتفكر.

واعلم أن نقصان الإيمان قد يكون نقصًا واجبًا, وقد يكون نقصًا ما ينبغي , النقص الواجب إذا فعل معصية أو ترك واجبًا فينقص ويُلام عليه الشخص.

الثاني: نقص لا يُلام عليه الإنسان ولكن يلام عليه ملامة خفيفة إذا ترك المستحبات, إذا ترك قيام الليل, إذا ترك السنن الرواتب, إذا ترك الصيام, المستحب فالإيمان يضعف, ولكن يكون غير ملام لأن هذه مستحبات.

وقد ينقص الإيمان بسبب من غير فِعل الإنسان وهو لا يلام عليه, مثل المرأة إذا حاضت, فالمرأة إذا حاضت لا تُصلي ولا تصوم, فينقص الإيمان, عندها ولكن هذا النقص غير ملامة عليه, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«ما رأيت من ناقصات عقل ودين»**: نقصان الدين هنا قال: **«أليس إذا حاضت لم تُصل ولم تصم؟ فهذا من نقصان دينها»**, ولكنها لا تُلام عليه, لأن هذا أمرٌ قدَّره الله عَزَّ وَجلَّ على بنات آدم.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يُحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه, وهذا هو كامل الإيمان.

وهل يمكن أن يُحب الإنسان لأخية كمثل ما يحب نفسه؟

الظاهر والله تعالى أن هذه محبة الخير للغير, مثلًا إذا كنت ذا مال فتحب أن يكون أخاك الآخر ذا مال, إذا كنت صاحب طاعة تُحب أن أخاك يصبح ذا دين, وهكذا, وليس المقصود والله أعلم المساواة, لأن الإنسان من عادته أنه يحب أن يكون من أفضل الناس, ولكن تحب لأخيك الآخر أن يكون من أفضل الناس أيضًا, فإذا أحببت هذا فتكون إن شاء الله قد حققت الإيمان كما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا المسلم الحق يحب لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه: إذا رزقه الله مثلًا دين فيحب للناس أن يكونوا مثله, فيحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه, فالإنسان يسعى بنفسه لأن يحب لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه.

لأن الذي أعطاك هذا ومنَّ عليك بهذا العطاء هو الله, فعليك أن تسأل الله لغيرك أن يُعطى مثلما أُعطيت.

أيضًا من الفوائد: أن المؤمن أخ للمؤمن الآخر, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يحب لأخيه», وعلى هذا لا يجوز أن يقال للكافر أخ, لا يقول أخي الكافر, لا يجوز هذا, الكافر ليس بأخٍ للمؤمن, لأن الأُخوة هي الأُخوة في الدين, فيكون المؤمن أخٌ للمؤمن, أما الكافر ليس بأخ للمسلم.

ومن الفوائد: أن العادة أن الإنسان يحب لنفسه الخير, وهذا لا يضر الإنسان, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما يحب لنفسه», العادة أن يحب الخير لنفسه, هذا ما تلام عليه, ولكن الأفضل أن تسعى أن أخاك يكون مثلك في الخير.

فهذا فيه فوائد كثيرة, وعلى الإنسان أن يستشعر أنه إذا أحب لإخوانه المسلمين الخير أنه يكون كامل الإيمان.

الحَدِيث الرابع عشر

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ».رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يبين فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن دم الرجل المسلم محرم إلا إذا فعل واحدًا من أمور ثلاثة: أن يزني وهو ثيب, أو أن يقتل نفسًا مسلمة, أو أن يرتد عن دينه ويفارق الجماعة, هذا الحَدِيث من حيث الإجمال.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يحل»: يعني يحرم, فمنع الحل يدل على أن هذا محرم.

«لا يحل دم امرئ»: يعني لا يُصبح حلالًا.

«دم امرئ مسلم»: المرء هو الرجل.

«دم امرئ مسلم يشهد أن لَا إِلَه إِلَّا الله»: يعني يوحِّد الله عَزَّ وَجَلَّ.

«وأني رسول الله»: يعتقد أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولُ الله.

قال: «إلا بإحدى ثلاث»: يعني لا يجوز ولا يحل قتل الرجل المسلم إلا بواحد من أمور ثلاثة.

قال: «إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني»: الثيب هو الرجل الذي نكح في نكاح صحيح فهو ثيب, ويدخل فيه الرجل والمرأة, من زنى وهو قد نكح نكاحًا صحيحًا فهو ثيب.

قال: «الثيب الزاني, والنفس بالنفس»: النفس المسلمة إذا قتلت نفسًا مسلمة, إذا مؤمن قتل مؤمنًا, لذلك قال: «والنفس بالنفس».

قال: «والتارك لدينه»: التارك لدينه هو الذي ارتد ورجع عن الإسلام, المفارق لجماعة المسلمين.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن الأصل في دم المسلم الحرمة, وقتل الأنفس المسلمة من كبائر الذنوب ومن العظائم ومن الموبقات, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم».

والدم عبارة عن القتل, لأن الإنسان يجري في بدنه الدم, فإذا خرج هذا الدم وانتشر مات, إذا خرج جميع الدم مات, فهو دليل على أنه لا يحل هذا الدم, لا يقتل هذا المسلم إلا إذا فعل إحدى الثلاث, وهذا يدل على حرمة دماء المسلمين.

والقتل من كبائر الذنوب, بل هو من الموبقات, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كما في صحيح البخاري: «لا يزال الرجل في فُسحة من دينه ما لم يُصب دمًا حرامًا»,

والمعنى أنه مفسوح له, يعمل الصالحات ويتوب ويستغفر, ما لم يقتل مسلمًا أو دمًا حرامًا, فإذا فعل ذلك ضاقت عليه الوسعة وضاقت عليه نفسه.

لذلك قتل المسلم من كبائر الذنوب, والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يأتي المقتول يوم القيامة رأسه في يده, والدم يشخب, فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟», دليل على أن القتل كبيرة من كبائر الذنوب وخطير جدًا, فلا يحل هذا الدم.

قال: «يشهد أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأني رسول الله»: فإذا شهد الإنسان أنه لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله فنأخذ بالظاهر, وليس علينا أن نطلب بما في قلبه, إذا نطق بهذه الشهادة نكف عنه.

لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأني رسول الله, ويقيموا الصلاة, ويؤتوا الزكاة, فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم, إلا بحق الإسلام, وحسابهم على الله تعالى».

ومن الفوائد: أن الرجل المسلم قد يحل دمه, لذلك قال: «لا يحل إلا بإحدى ثلاث», فإذا فعل واحدة من هذه الثلاث حل دمه, هذا يدل على أن هذه الأمور كبيرة, تُحِل الدم, فيكون الإنسان حلال الدم.

ولكن اعلم أنه إذا حل دم امرئ مسلم, فالذي يقيم عليه الحد هو الإمام, ليس لأحد الناس أن يأتي إلى رجل حلال الدم فيقتله, هذا من خصائص الإمام, يقوم بها الإمام أو مَن يقوم مقامه من المحاكم ونحو ذلك.

ومن الفوائد: عِظم الزنا, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الثيب الزاني», أنه يُقتل, وهذا الذي يزني وهو مُحصن يُقتل شر قِتلة, نسأل الله العافية, يُرجم بالحجارة حتى يموت, ما يُترك إلا بعد أن تنقضي أنفاسه.

فهذا يدلك على عظيم جُرم الزنا, والزنا من كبائر الذنوب, ومن الذنوب الخطيرة جدًا, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الرؤيا ورؤيا الأنبياء حق, يقول: «انطلقنا على مثل التنور», في حديث طويل في البخاري من حديث سمرة قال: «فأتينا على رجال ونساء

عُراة, فتأتيهم النار من تحتهم في مثل التنور», مثل الفرن الذي يوضع فيه الخبز, قال: «ضيق الرأس من الأعلى وواسع من الأسفل, فإذا أتاهم النار من تحت ضوضو»: يعني صاحوا وخرجت أصواتهم ويريدون الخروج من فوق, قال: «قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني», فهذا عذابهم في البرزخ نسأل الله العافية.

ولذلك في سنن أبي داوود : «إذا زنا العبد خرج الإيمان من قلبه حتى يكون فوق رأسه مثل الظُلة, فإذا نزع عاد إليه الإيمان», هذا يدلك على أن هذه كبيرة من كبائر الذنوب.

وأيضًا يُحل الدم يُقتل, والرجم يُرجم بالحجارة حتى يموت, والرجم ثابت في الكتاب والسنة: في السُنَّة: كان في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقرأ آية فيها الرجم, فنُسخت وبقي الحكم, وثبت في السُنَّة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجم خمسة: رجم اليهوديين, ورجم ماعز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ, ورجم الغامدية رضي الله عنها, ورجم امرأة العسيب في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في الصحيح نهى أن يطُول على الناس العهد فيقولون: لا نجد رجمًا في كتاب الله, وقد رجم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجمنا بعده, فيُرجم هذا المحصن حتى يموت.

والذي يقيم عليه الحد مَن؟ الإمام أو من يقوم مقامه, هذا يدلك على عظيم جُرم الزنا.

ومن الفوائد: أن الإنسان المؤمن إذا قتل مؤمنًا آخر فإنه يُقتل, إذا كان عمدًا.

والقتل يقع على وجوه ثلاثة:

الأول: العمد, وهو أن يقصد معصوم الدم فيقتله بما يغلب على الظن موته به , مثل أن يأخذ حجرًا كبيرًا ويضربه في رأسه, أو يأخذ السكين ويضربه في قلبه, فغالبًا يموت.

الثاني: شِبه العمد, وهو أن يقصد الجناية ولا يقصد القتل, ويُعرف ذلك بالآية: كما لو ضرب مثلًا بقبضة يده فمات, هذا ما قصد القتل, هذا شِبه عمد, أو ضربه بعصا صغيرة.

الثالث: الخطأ, والخطأ مثل أن يرمي الصيد, فتقع في قلب رجل فيموت, هذا قتل خطأ.

فإذا قتل مؤمنًا متعمدًا فإنه يُقتل به, لأن الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[المائدة: ٤٥], فمن قتل مؤمنًا فإنه يُقتل به.

ولكن يُخيَّر الأولياء في ثلاثة أمور:

إما أن يأخذوا به ويُقتل, وإما أن يأخذوا الدية, وإما أن يعفوا مجانًا.

ومن الفوائد: عِظم قتل النفس المؤمنة.

لو قال قائل: هل يُقتل المسلم بالكافر؟ لا يُقتل المسلم بالكافر, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ولا يُقتل مؤمنٌ بكافر», إذا قتل المؤمن كافرًا حتى لو كان معاهَدًا لم يُقتل به, ولكن يُعزَّر ويؤخذ على يديه.

وليس المقصود من ذلك أنه يجوز قتل المعاهد , لا بل المعاهد والمستأمن والذمي لا يجوز قتلهم, النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَن قتل معاهَدًا لم يرح رائحة الجنة», ولكن المقصود أنه ما يُقتَل به.

ومن الفوائد: عِظم قتل النفس المسلمة, والقتل كما تقدم أنه من الكبائر.

ومن الفوائد: أن الذي يترك دينه ويرتد يُقتل, فإذا كفر الإنسان بعد الإسلام فإنه يُقتل, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح البخاري قال: «من بدل دينه فاقتلوه», فإذا خرج من الإسلام فإنه يُقتل.

ومن الفوائد: أن الباغي على الإمام يريد أن ينازع الإمام أو ينازع المسلمين يبغي ويخرج على الإمام فإنه يُقاتَل حتى لو أدى إلى قلته, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «المفارق للجماعة», يقول العلماء: فيدخل فيهم البغاة.

والبغاة هم قومٌ لهم شوكة, يعني مجموعة من الناس ولهم قوة, يخرجون على الإمام, بتأويل سائغ, يعني عندهم تأويل شُبهة, فالإمام يأخذ معهم طُرق: يراسلهم, ما الذي خرج بكم؟ ثم إذا كانوا ادعوا شُبهة يكشفها لهم, فإن أبوا إلا القتال قاتلهم, ويجب على الناس أن يقاتلوا مع الإمام, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من خرج على أمةٍ وهم جمع, فاقتلوه كائنًا مَن كان».

لو قال قائل: هل ورد حِل القتل في غير هذه الأشياء؟

نعم, ورد في الساحر, وورد فيمن فعل فِعل قوم لوط ونحو ذلك.

ولكن يجاوب عن هذا الحَدِيث والله أعلم بواحد من أمرين:

إما أن تكون باقي الأمور ترجع إلى هذه الأشياء, فالساحر ترك دينه وارتد, الغالب على الساحر أنه يكفر, لأنه إما أن يهين القُرآن أو يتذلل للشيطان ونحو ذلك, فالغالب أنه يكفر, فيعود إلى التارك لدينه لأنه تارك للجماعة.

وأيضًا اللوطي قريب من الزنا, لذلك العلماء يقولون: أن من فعل فعل قوم لوط أنه إذا كان ثيبًا يُرجم بالحجارة, والظاهر والله أعلم أن الذي يفعل فعل قوم لوط أشد وأشنع, وإنه يُقتل, سواءً كان محصنًا أو غير محصن.

لذلك العلماء يقولون: أن الصحابة لم يختلفوا في أن من فعل فعل قوم لوط يُقتل, ولكن اختلفوا كيف يُقتل:

بعضهم قال: بالإحراق بالنار, وبعضهم قال: يُرمى من جبل ويُتبع بالحجارة, وبعضهم قال: يُضرب بالسيف, فاختلفوا في طريقة القتل, ولكن أجمعوا على قتله, نقل الإجماع شيخ الإسلام وابن القيم, لأن اللواط أشد حرمة من الزنا, لأنه يفعل جُرمًا كبيرًا, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: ٨٣], لما رُجم قوم لوط قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: ٨٣].

بعض العلماء يقول في التفسير: من يفعل فعل قوم لوط فالحجارة قريبة منه, قد تسقط عليه حجارة من السماء فيهلك, فهي ذنبٌ كبير.

فلعله يرجع إلى واحد من هذه الأمور.

الجواب الثاني: أن يقال: أن هذا الحصر إضافي وليس حصرًا عامًا بل حصر إضافي, كما في حديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في سبب إهلاك الذين من قبلكم: **«إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد, وإذا سرق فيهم الشريف تركوه»**, فأسباب هلاك الأمم الماضية كثيرة, فيكون الحصر إضافي وليس حصرًا عامًا.

الحَدِيث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن خصال: أن من فعل هذه الخصال أنه من كمال الإِيمَان, وهي: أن يقول خيرًا أو يصمت, وأن يُكرم جاره من خصال كمال الإِيمَان, وأيضًا يكرم ضيفه, هذا الحَدِيث من حيث الإجمال.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر»: من كان يؤمن يعني من كان كامل الإِيمَان.

يؤمن بالله: يعني بوجود الله عَزَّ وَجَلَّ وبربيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

واليوم الآخر: اليوم الآخر: هو كل ما يكون بعد الموت مما يحصل على الإنسان من خروج الروح وفتنة القبر وعرصات يوم القيامة والجنة والنار والصراط ونحو ذلك, هذا كله داخل في اليوم الآخر.

قال: «فليقل خيرًا أو ليصمت»: خيرًا يعني كلام خير: مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وقراءة القُرآن والذكر, فهذا كله خير.

أو ليصمت: أي ليسكت, فالصمت هو السكوت, يعني يمسك عن الكلام.

قال: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»: يعني من كان كامل الإِيمَان, وهذا فيه حث وإغراء, «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»: فليكرم يعني من الكرم وهو أداء حق الجار من حُسن الجوار ونحو ذلك, جاره: أي القريب من بيته.

«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»: والضيف هو القاصد إليك من بلد, خارج البلد التي أنت فيها, هذا هو الضيف.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن الأعمال الصالحة من كمال الإِيمَان, فالإنسان المؤمن كامل الإِيمَان ما يدع الأعمال الصالحة, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر», ثم ذكر خصالًا أن هذه من خصال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

ومن الفوائد: أن الإنسان المؤمن بالله عَزَّ وَجلَّ وباليوم الآخر يعمل الصالحات, لأنه يرجوا الله عَزَّ وَجلَّ ويخاف ما يكون بعد الموت, ويرجوا أيضًا الله عَزَّ وَجلَّ, يرجوا الجنة ويخاف أن يُدخل النار, فلذلك يعمل الصالحات.

ومن الفوائد: أن الكلام منه خير ومنه شر ومنه مباح, فالكلام أقسام:

الأول: خير: مثل قراءة القُرآن والذكر والتسبيح والتهليل, فكل هذا لا شك أنه خير.

الثاني: شر: مثل الغيبة والنميمة والشتم واللعن والكذب, كل هذا شرٌ محض.

الثالث: مباح: لا خير ولا شر, فهذا مباح مثل قول: الشمس حارة, الليلة نحُس بالبرد, الجو مغيم, فكل هذا كلام مباح.

الرابع: كلام مستحب يقود إلى خير: مثل إيناس الضيف, ومثل الحَدِيث مع الأهل لإدخال السرور عليهم.

الخامس: كلام مكروه: مثل الكلام بعد العشاء لغير فائدة, يسهر ويتكلم بدون فائدة, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكره الحَدِيث بعد العشاء, فالكلام أقسام.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا كان الكلام يكسب به خيرًا فالأفضل أن يتكلم, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فليقل خيرًا», يُسبح يهلل يُكثر من الذكر, يأمر بالمعروف

وينهى عن المنكر ويقرأ القُرآن, لذلك قال: «فليقل خيرًا», فإذا لم يحصل هذا قال: «أو ليصمت»: إذا كان لم يتكلم بالخير فليصمت فهو خيرٌ له.

ومن الفوائد: أن الصمت فيه نجاة, لذلك السكوت والصمت فيه فائدة, فالإنسان إذا سكت سلم, لذلك ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: والله الذي لَا إِلَه غيره ما أحق في الدنيا من سجن من اللسان, يعني أفضل شيء يسجنه الإنسان هو اللسان, إن سجن اللسان سلم, لذلك يصمت.

ومن الفوائد: أن الكلام منه محرم, والكلام المحرم كثير: منه الغيبة والنميمة والسب والشتم واللعن, ولذلك الإنسان عليه أن يحرص على الكلمات التي تخرج من اللسان, قبل أن تخرج هذه الكلمة زِن هذه الكلمة في عقلك: هل هي خير فتتكلم أم شر فتسكت؟

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا كان الكلام مباحًا فخير منه الصمت, لذلك إذا صمت الإنسان سلم, حتى لو كان الكلام مباحًا, لذلك عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: من كثر كلامه كثر سقطه, ومن كثر سقطه فالنار أولى به كما جاء في الأثر.

يعني الإنسان الكثير الكلام يتكلم كثيرًا لا يسكت, هذا قد يقع في محرم.

ومن الفوائد: أن الإنسان ينبغي له أن يُكرم جاره, ومَن هو الجار؟

قيل أنه أربعين بيتًا من هنا أربعين بيتًا, ومن هنا أربعين بيتًا, ومن هنا أربعين بيتًا, ومن هنا أربعين بيتًا.

وقيل إلى سبعة أبيات: سبعة من هنا, وسبعة من هنا, وسبعة من هنا.

والظاهر والله أعلم أنه يرجع إلى العُرف, فما عده الناس جارًا فهو جار, يعني إذا قال أحد الناس فلان جاري فهو جار, فيرجع إلى العُرف, والأفضل كلما قرب الجار فإكرامه أفضل.

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي ذر: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك», فينبغي للمسلم أن يُكرم جاره.

وإكرام الجار قد يكون بالفعل, وقد يكون بالقول, وقد يكون بكف الأذى, إذا كففت الأذى عنه فهذا من إكرامه.

بالفعل: كأن تدعوه إلى وليمة, أن تحثه على الطاعة, تقول له: يا فلان تعالى صل مع المسلمين, فهذا من إكرامه.

أيضًا من إكرامه: بالقول, إذا رأيته تحثه على الطاعة فتُكرمه ولا تقع في عِرضه, ولا تتكلم فيه عند الناس مثلًا, فهذا من إكرامه.

أيضًا من إكرام الجار: كف الأذى عنه, والأذى القولي والفعلي وفي عِرضه ونحو ذلك, فيدخل هذا كله.

كف الأذى الفعلي: كما لو كان لك جار ما تضع الأذى عند بابه ولا الأشواك عند بابه, ولا توقف السيارة عند بابه, فتكون مؤذيًا له.

أيضًا تكف الأذى القولي عنه, لا تكون في المجالس وتقول: فلان فعل كذا وحصل من فلان كذا, وفلان وقع منه كذا, فهذا أذى, فمن إكرام الجار أن تكف الأذى عنه.

أيضًا الكف عن عِرضه يعني عِرض الجار: كما لو خرجت نساء فتكف البصر عنهم.

ولذلك حتى أهل الجاهلية كان منهم من يغض الطرف عن الجار, ولذلك يقول القائل:

إني لأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مثواها

***

يقول: أغض بصري إذا خرجت, وهم على غير الإسلام, لإكرام جاره.

والجيران أربعة أنواع:

الأول: جار قريب مسلم: هذا له ثلاثة حقوق: حق الإسلام وحق الجوار وحق القرابة.

مثلًا لو كان لك أخ وهو جار ومسلم: فله ثلاثة حقوق: حق الجار, وحق الأخوة, وحق الإسلام.

الثاني: جار مسلم غير قريب: فهذا له حقان: حق الإسلام وحق الجوار.

الثالث: جار كافر قريب: فله حقان: حق الجوار وحق القرابة, وليس له حق الإسلام لأنه كافر.

الرابع: جار كافر بعيد: له حق الجوار فقط.

لذلك حتى لو كان جارك كافرًا تحسن اليه, ولكن لا تحبه لأنه على الكفر وأنه على باطل, بل تبغضه في الله ولكن لا تؤذيه, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زار جارًا له كافرًا يهودي, وزاره عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام, فلما زاره قال: «أسلم», كان صبيًا صغيرًا يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فمرض هذا الصبي فزاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فلما زاره قال: «أسلم», فنظر الصبي إلى أبيه, كأنه يستشيره, فقال: أطع أبا القاسم, قال: لَا إِلَه إِلَّا الله, هذا اليهودي نطق الشهادة, فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار».

فإذا كان الجار كافرًا وفي زيارته فائدة, لا تزوره من باب التمتع لا, تدعوه إلى الله, تُحسن إليه لعله يدخل الإسلام فهذا جيد.

إكرام الجار واجب, وكف الأذى عنه واجب, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والله لا يؤمن, والله لا يؤمن, والله لا يؤمن», قالوا: مَن يا رسول الله؟ قال: «مَن لا يأمن جارُه بوائقه», بوائقه مثل غدراته وفجراته عليه وإيذائه, هذا لا يدخل في الإيمَان الكامل.

وأيضًا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»: أي سيكون من الورثة من شدة الاهتمام بالجار.

فلذلك الإسلام دين كامل من جميع الوجوه, فتجد أن الإسلام يأمر بالإحسان ونحو ذلك.

ومن الفوائد: أن إكرام الضيف من خصال الإيمَان.

ومن هو الضيف؟ هل هو الذي يسكن معك في البلد؟ لا, الضيف هو الذي يكون قاصدًا لك من بلد, يعني يخرج من بلد غير البلد التي أنت فيها, يقصد لك, يقول: استضفتُ فلانًا, فهذا هو الضيف.

أما الذي يسكن معك في البلد فهذا يسمى زائرًا, يعني الذي معك في القرية هذا يسمى زائرًا, لا يسمى ضيفًا, ولكن يستحب أيضًا إكرام الزائر, هذا من الإحسان والشيء الطيب.

لكن الضيف يجب إكرامه.

والمذهب مذهب الحنابلة يقولون: يجب إكرام الضيف إذا كان الإنسان يسكن في قرية, يعني ليس فيها فنادق ولا مطاعم ولا مسجد يسكن فيه, على كلامهم الآن قليل الذي تجد أنه يجب إكرامه, لأن الإنسان إذا جاء قرية يجد مسجدًا ينام فيه, ويجد مطعمًا يأكل فيه, ويسجد مكانًا يسكن فيه, على هذا لا يجب إكرامه.

فالظاهر والله أعلم أنه يجب إكرام الضيف إذا قصد إليك من بلد حتى لو كان مهيئًا يجد مطاعم ويجد ما ينام فيه, فيجب أن يُكرم.

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه جائزته», قالوا: يا رسول الله وما جائزته؟ قال: «يوم وليلة», والضيافة ثلاثة أيام.

فالضيافة يوم وليلة واجب, يجب على الإنسان أن يضيِّف ضيفه يومًا وليلة, والثلاثة أيام مستحبة, ما زاد على ذلك ثلاثة أيام فمستحب.

وإذا زاد فيُستحب للإنسان ألا يبقى, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيما معناه: لا يؤثِّم من استضافه, يعني لا يبقى عنده الضيف حتى يأثم بسبب بقائه.

والضيف واجب إكرامه كما تقدم, وهو من خصال الإيمان.

وإكرام الضيف يكون إكرام حسي وإكرام معنوي: حسي: تقدم له مثلًا طعام وقهوة وشاي على حسب عادة الناس في هذا البلد.

بعض البلاد تقدم قهوة وشاي, وبعض البلاد تقدم عصيرًا على حسب ما يعرفه ويعتاده الناس.

أيضًا إكرام معنوي: وهو أن تُظهر له البشاشة والترحيب, ولا تكن مثلًا تقابله بوجه مقفهر وينظر إليك كأنك لا تريده, هذا خطأ, بل تبتسم في وجهه, ويرى منك الترحيب, فهذا معنوي.

وأيضًا إذا قدمت له الطعام تكون بأسلوب تقول له: تفضل, لذلك إبراهيم عليه السلام قال: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات: ٢٧], لم يقل كلوا, قال: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات: ٢٧].

وعلى الضيف ألا يُحرج من استضافه, إذا رأى أن الإنسان لا يريد الاستضافة له فعليه أن يقول: أنا مشغول أو كذا, إذا كان آتيًا من بلد, إذا رأى أن الإنسان الذي أضافه قليل اليد.

وأيضًا الضيف إذا قدم له الطعام يأكل إكرامًا لمن استضافه, لا يقول: أنا تعشيت وانتهيت, لا, ما دام قدم لك الوليمة فكُل, حتى لو شيء قليل.

فهذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة, لكن لعدم الإطالة نقتصر على هذا.

الحَدِيث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَوْصِنِي, قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الشرح

في هذا الحَدِيث أن رجلًا أتى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأراد منه الوصية, فأوصاه عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم بالحذر من الغضب.

قال: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رجلًا: رجلا , غير معروف, وقيل أنه أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه, والله أعلم.

قال: أن رجلًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصني: والوصية أي اعهد إليَّ بأمرٍ هام أتمسك به, لأن الوصية هي العهد بأمرٍ هام.

قال: «لا تغضب»: أي ابتعد عن الغضب, والغضب معروف, يعني ابتعد عن الغضب بحيث لا تتعرض لأسبابه, وإن وقعت في الغضب فلا تُنفذ غضبك, هذا معنى لا تغضب.

فردد مرارًا, فقال: «لا تغضب», رواه البخاري.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أنه قد يُذكر في الحَدِيث من لا يُذكر اسمه, قال رجل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, أو سمعنا رجلًا يقول للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, أو جاء رجلٌ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيه فوائد: وهو أن الحكم لا يتغير , سواءً ذُكر هذا الشخص أو لم يُذكر .

ومنها أيضًا: أنه قد يكون راوي الحَدِيث عرف هذا الرجل ثم نسيه فقال: رجل, حتى لا يقول فلان أو فلان وهو غير متأكد.

ومنها أيضًا: أنه قد يكون المراد السِتر عليه, قد يراد به الستر عليه, كما لو قال مثلًا: فعل رجل كذا, فعل رجل كذا, يعني من باب الستر عليه.

ومن الفوائد: همة الصحابة رضي الله عنهم, لذلك أتى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: أوصني, فهذا يدلك على حِرص الصحابة رضي الله عنهم على النصيحة.

ومن الفوائد: حُسن تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, بحيث أوصاه بكلمة واحدة جامعة لكثير من الخصال, بل هي فيها خير كثير, كلمة واحدة جامعة, فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى هذا الرجل بكلمة, وهذه الكلمة فيها فوائد كثيرة.

ومن فوائد الحَدِيث: فضل الابتعاد عن الغضب, وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تغضب», ليس المقصود لا يقع في قلبك صفة الغضب, لأن هذا من صفات البشر, لا يستطيع الإنسان أن يُلغي شيئًا خلقه الله عَزَّ وَجلَّ في قلبه, الغضب صفة من صفات الإنسان يخلقها الله عَزَّ وَجلَّ في قلب العبد, هذه الصفة لا يستطيع الإنسان أن يُلغيها ويُذهبها من قلبه, ولكن المراد ألا تتعرَّض لإثارة هذا الغضب, لا تتعرض لما يُثير عليك هذا الغضب, بحيث لو علمت أن هذا الشخص سببًا في أن يثير غضبك فلا تتحدث معه ولا تناقشه.

أو أنك رأيت أنك إذا جلست في هذا المجلس فهذا سبب في إثارة غضبك, فلا تجلس, وهكذا, يعني لا تتعرض لأسبابه.

وأيضًا إذا وقعت في الغضب فلا تُنفذه, غضبك بحيث إذا غضبت فلا تلعن وتشتم وتضرب وتسب, لا, بل عليك بالحلم والصبر, فهذا معنى لا تغضب.

ومن الفوائد: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردد عليه مرارًا قال: «لا تغضب», والغضب هو معنى صفة تكون في قلب الإنسان, ويقول العلماء: أنه جمرة يلقيها الشيطان في قلب العبد فيغلي منها دمه, فيريد الانتقام.

ولذلك إذا غضب الإنسان احمر وجهه وعلا صوته وانتفخت أوداجه, بحيث يتغير الإنسان, هذه صفة في الإنسان, وهذا بالنسبة للمخلوق هو فوران دم القلب لأجل الانتقام.

والغضب صفة من صفات الإنسان, وهذا الغضب منه غضب محمود ومنه غضب مذموم.

الغضب المحمود: هو أن يغضب إذا انتُهكت حرمات الله, إذا رأى أن الله عَزَّ وَجلَّ يُعصى. فيغضب, لكن يغضب غضب حكمة, لا يقوده إلى وقوع الخطأ, بل يغضب غضب حكمة, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا انتهكت حُرمات الله غضب عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم.

الغضب المذموم: أن يغضب لأجل الدنيا, يغضب لأجل نفسه أو مثلًا لأشياء في الدنيا, فهذا مذموم.

والغضب له أسباب في وقوعه, وله أسباب في رفعه إذا وقع.

من أسباب وقوع الغضب: أن لا يعرِّض نفسه لأسباب الغضب, مثلًا يكون يركز على الأشياء التي تثير غضبه, هذا يسبب إثارة الغضب, كما لو كان شخص يركز على كل كلمة, إذا جلس في مجلس وركز على كل كلمة, هذا خطأ, لا بد أن الإنسان يتغاضى عن كثير من الكلام, وأيضًا يركز على كل ما يجد في البيت: ينظر ها هنا وينظر ها هنا فيتسبب في إثارة غضب نفسه.

وأيضًا مثلا إذا وقف في إشارة مرور وفتحت الإشارة وما تحرك الذي أمامه غضب, لا, قد يكون الذي أمامك عنده شيء, فانتظر وعليك بالحِلم.

هذا يسبب إثارة الغضب بسبب الإنسان: أنه يركز على أشياء عادية.

والغضب إذا وقع وغضب الإنسان فله أسباب في رفعه بإذن الله, إذا وقع في قلبه فله أسباب:

من أسباب رفع الغضبِ: الاستعاذة بالله من الشيطان.

ولذلك جاء في صحيح مسلم عن سليمان بن صُرد: أن رجلان استابا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وأحدهما قد غضب واحمر وجهه وانتفخت أوداجه, فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إني لأعلم كلمة لو قالها لأذهب الله عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»**, فإذا وقع في قلب الإنسان الغضب فعليه أن يستعيذ بالله, لأنه جمرة يُلقيها الشيطان في قلب العبد.

وأيضًا من أسباب رفع الغضب: أن يغيِّر الإنسان حالته, إذا كان قائمًا يجلس, وإذا كان جالسًا يضطجع, ولذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس, وإذا كان جالسًا فليضطجع», لأنه تتغير حالة الإنسان.

ومن أسباب رفع الغضب بعد وقوعه: أن يسكت الإنسان, إذا غضب الإنسان يسكت, لأن الإنسان إذا سكت سلم.

وأيضًا: يهدأ, ولذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من صمت نجا», فإذا صمت شيئًا فشيئًا يذهب الغضب بإذن الله, وأيضًا تسلم, من السب واللعن والشتم وغير ذلك.

وأيضًا من الأسباب: أن ينظر الإنسان إلى فضل كظم الغيظ والغضب, فيه فضائل إذا كظم الإنسان غيظه وهو قادر على أن ينفذه فهذا فيه من الفضل العظيم, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[آل عمران: ١٣٤].

وجاء عند الترمذي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن يُنفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور العين شاء», فهذا فيه فضل عظيم.

فهذا من أسباب رفع الغضب بعد وقوعه.

والغضب له آثار سيئة, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى الرجل ألا يغضب, لأن له آثارًا سيئة: من آثاره أن الإنسان قد يقتل شخصًا بسبب غضبه: كم من وقائع قتل حصلت بسبب غضبة غضبها الإنسان, فلما ذهب الغضب بدأ يلوم نفسه يقول: كيف قتلتُ هذا؟ بسبب غضبه.

وأيضًا من آثار الغضب: أنه قد يُطلق زوجته, كم من إنسان غضب فطلق زوجته.

وأيضًا قد يقع الإنسان في كُفر, فكم من إنسان غضب فسب الدين, نسأل الله العافية, فلذلك الغضب له آثار سيئة.

وقد يضر الإنسان نفسه, يغضب الإنسان فيلقي بنفسه من السيارة بسبب الغضب, أو من مكان شاهق وينزل على الأرض, آثارًا سيئة

وهنا مسألة: إذا طلق الإنسان في حال الغضب:

الغضب يقول العلماء: أنه على أقسام ثلاثة:

غضب مُطبق: بمعنى أن الإنسان لا يعي ما يقول, أصبح مثل المجنون, لا يدري هل هو في ليل أو في نهار أو مسجد أو في بيت, لا يدري أين هو, لا يعلم عن أي شيء شيئًا: فهذا لا يقع طلاقه, لأنه أصبح الآن مثل المجنون.

لذلك بعض الناس يغضب حتى يذهب عقله, فإذا رجع عقله له قلت له: يا أخي أنت قلت كذا وحصل كذا, يقول: والله لا أعرف, فهذا لا يترتب عليه شيء, فيُصبح مثل المجنون, والعقل مدار التكليف, فهذا لا يترتب عليه شيء.

الثاني: أن يكون عقله معه, ولكن يحال بينه وبين النية, بحيث أنه يُدفع إلى الطلاق دفعًا: فهذا فيه خلاف: بين العلماء منهم من قال يقع, لأن الإنسان عقله معه الآن.

وبعضهم قال: لا يقع, لأنه الآن أصبح مُلجأً إلى هذا الشيء, ولذلك يُصبح كأنه مُكره, فالإنسان إذا أُكره على شيء لا يؤاخَذ عليه, وفيه خلاف, والله أعلم.

الثالث: أن يكون الغضب في بدايته, الإنسان يشعر بنفسه ويملك نفسه, فهذا يقع طلاقه, ليس فيه إشكال, لذلك العلماء يقولون: لا يمكن للإنسان أن يطلق وهو يضحك, لا بد أن يكون فيه شيء من الغضب.

فلذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ألا يغضب.

ومن الفوائد: أن من صفات المخلوق الغضب, وأيضًا من صفات الخالق عَزَّ وَجَلَّ الغضب, ولكن اعلم أنه لا يُمكن أن يماثل أحدًا الله عَزَّ وَجَلَّ في صفاته, لله عَزَّ وَجَلَّ صفات تختص به, وللعبد صفات تختص به, ولا يدور في ذهنك أن غضب الله كغضب

العبد, ولكن الله عَزَّ وَجلَّ جعل هذه المعاني في قلب العبد حتى يعلم ما معنى الغضب, فلو لم يكن عندنا الغضب ما علمنا عن الغضب شيئًا.

الله عَزَّ وَجلَّ خاطبنا بما نعلم, فهذا فيه فوائد أن الإنسان يحرص على ألا يغضب, وتقدم معنى ألا يغضب أي ألا يُعرِّض نفسه لأسباب الغضب, وأنه إذا وقع في الغضب فعليه أن يكبت نفسه

الحَدِيث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ», رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن الله عَزَّ وَجلَّ شرع الإحسان على كل شيء يعني في كل شيء, فأمر بإحسان القِتلة وإحسان الذِبحة, هذا من حيث الإجمال.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي يعلى شداد بن أوس عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله كتب الإحسان»: كتب بمعنى شرع, وهو قد يكون على الإيجاب وقد يكون على الاستحباب, والإحسان هو الإتقان, أي إتقان العمل وتصفيته, وإيقاعه على الوجه المطلوب.

الإحسان على كل شيء أي في كل شيء, وشيء هنا نكرة فيدخل فيها كل شيء أمر عَزَّ وَجلَّ بالإحسان فيه.

قال: «فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة»: قتلتم ما يُقتل, يعني ما أذن الشارع في أن يُقتل, مثل قتل الحية والعقرب وقتل المرتد ونحو ذلك.

قال: «فأحسنوا القِتلة»: يعني أزهقوا الروح بأسرع طريقة وأخفها وأحسنها, «فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة, وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة»: يعني إذا ذبحتم ما يُذبح كبهيمة الأنعام وما أذن الشارع في أن يُذبح, كبهيمة الأنعام ونحو ذلك.

فأحسنوا الذِبحة: أي أزهقوا الروح بأقرب طريقة لا تؤذي البهيمة ونحو ذلك.

قال: «وليُحد أحدكم شفرته»: ليحد شفرته أي سكينه, وليحدها يعني يقويها حتى تكون حادة, قال: يُحد أحدكم شفرته: أي سكينته.

«وليُرح ذبيحته»: بحيث لا يُتعبها, بل يريحها, فإذا أزهق الروح يدعها تموت ولا يمسكها ويثبت أقدامها لأن هذا غير مناسب.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن الله عَزَّ وَجلَّ كتب الإحسان, والإحسان هو الإتقان وإيقاع العمل على الوجه المطلوب.

والإحسان أنواع:

الأول: الإحسان مع الخالق عَزَّ وَجلَّ.

الثاني: الإحسان مع البشر.

الثالث: الإحسان مع النفس.

الرابع: الإحسان مع البهائم ونحو ذلك.

فأما الإحسان مع الله عَزَّ وَجلَّ فهو كما بيَّنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَدِيث: «أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك», هذا هو الإحسان مع الله عَزَّ وَجلَّ بحيث تؤدي العبادات ,وتستشعر أن الله عَزَّ وَجلَّ يراك, فتؤدي العبادة بإخلاص وصدقٍ

واتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وتترك المعصية حبًا لله وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً: فهذا هو الإحسان مع الله عَزَّ وَجلَّ, «أن تعبد الله كأنك تراه, فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

الثاني: الإحسان مع الخلق, والإحسان مع الخلق: يشمل الإحسان مع القريب والبعيد ونحو ذلك, وهو كما قال بعض العلماء: بذل الندى, وكف الأذى, وطلاقة الوجه.

بذل الندى: أي بذل المال ونحو ذلك.

وكف الأذى: أي الأذى القولي والفعلي, فلا تشتم أحدًا, ولا تقتل أحدًا بغير حق, هذا فِعلي, ولا تضرب أحدًا بغير حقٍ ونحو ذلك.

وطلاقة الوجه: طلاقة الوجه بحيث تلاقِي أخيك المسلم بوجه مبتسم, فهذا من الإحسان إلى الخلق, ولذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة», فهذا من الإحسان إلى الخلق.

الثالث: الإحسان مع النفس, وذلك بأن يقيها سخط الله عَزَّ وَجلَّ, بحيث يؤدي أوامر الله عَزَّ وَجلَّ ويجتنب نواهيه, فهذا هو المحسن لنفسه.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾[الإسراء: ٧], فالإنسان إذا عمل بطاعة الله فهو محسنٌ لنفسه, وإن عصى الله عَزَّ وَجلَّ فهو ظالمٌ لنفسه.

فلذلك الإنسان إذا عصى الله فهو ظالم لنفسه ومسيء لها, فإذا أطاع الله فقد أحسن لنفسه.

الرابع: الإحسان إلى البهائم ونحوها مما يُذبح, وهو أن يذبحها على ما جاء في الشرع, بحيث يذبح بهيمة الأنعام إذا أراد أن يذبحها على ما جاء في الشرع, بحيث يقطع الودجين والحلقوم والمريء, وأن تكون السكين حادة, ويدع البهيمة حتى تموت, ولا يأخذ جلدها قبل أن تبرد, وأيضًا أن يواري عنها الشفرة أي السكين, فهذا من الإحسان للبهائم, وعلى هذا فقس.

وأيضًا ما يُقتل من الحيوانات فإنه يُحسن إليها, مثل العقرب ومثل الحية, فلا يأخذ عقربًا مثلًا ويقطع يديها ورجليها ويدعها حية, هذا غير إحسان, هذا لا يجوز, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فليُحسن القِتلة».

وأيضًا لو أخذ ثعبانًا وسلخ جلده وهو حي هذا لا يجوز , ولذلك بعض الناس الآن يضع الشباك أو يضع مثلًا ما يوضع للفئران, فيأتي الفأر فيقع في هذا الفخ فيدعه, يمر عليه ويراه حيًا, ويدعه حتى يموت, هذا لا يجوز, لذلك يجب على الإنسان أن يقتله مباشرة, لأن الله عَزَّ وَجلَّ كتب الإحسان على كل شيء .

وأيضًا من الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ كريم واسع الفضل, وأحكام الله عَزَّ وَجلَّ الكونية والشرعية مبنية على العدل والفضل.

الله عَزَّ وَجلَّ عدلٌ يعامِل الخلق إما بالعدل وإما بالفضل: فإذا عذَّب الكافر فهو عادلٌ معه عَزَّ وَجلَّ, وإذا أنعم على المؤمن فهو متفضل عليه, الله عَزَّ وَجلَّ يعامِل الخلق إما بالفضل وإما بالعدل.

فالله عَزَّ وَجلَّ لا يظلم أحدًا, فهو كتب الإحسان على كل شيء, فالله عَزَّ وَجلَّ واسع العطاء والإحسان.

ومن الفوائد: أن فيه من المخلوقات ما يُقتل, وفيه من المخلوقات ما يُذبح, وهل بينهما فرق؟ نعم بينهما فرق:

الفرق بينهما: أن القتل لِما أُمر بقتله, والغالب أنه لا يؤكل, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اقتلوا الأسودان الحية والعقرب», الحية والعقرب لا تؤكل.

وأيضًا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن بدل دينه فاقتلوه», هذا الإنسان محرم لحمه ونحو ذلك.

أيضًا الذي يُذبح غالبًا فيما يؤكل, مثل بهيمة الأنعام, لذلك بهيمة الأنعام يقول الشخص: ذبحت الشاة, ولا يقول قتلت الشاة, بل يقول: ذبحت الشاة.

ومن الفوائد: أنه ينبغي للمسلم أن يُحد السكين قبل ذبح البهيمة, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وليُحد», واللام للأمر, «وليُحد أحدكم شفرته»: والشفرة هي السكين, فينبغي للمسلم أن يُحد هذه السكين.

وهنا يُنبه على أن الإنسان إذا أراد أن يذبح البهيمة فإنه ثمة أمور ينبغي أن يتنبه لها:

منها: أن يُحد هذه السكين: هذا الأول.

ومنها: أن يواري السكين عن البهيمة, يعني يخفيها, لذلك جمهور العلماء قالوا: أنه من الآداب أنه ينبغي للإنسان أن يواري الشفرة عن هذه البهيمة, بحيث لا يضع السكين أمام عينها وتراها, بل يخفيها, حتى إذا أراد أن يذبحها فيذبحها.

وأيضًا منها: ألا يذبحها عند أخواتها, بحيث تكون الشياه حولها فيذبح هذه البهيمة وهن يرين, فهذا لا ينبغي, لأنه ليس من الإحسان.

ومنها: أن يُريح الإنسان البهيمة, والإراحة أنواع:

منها: ألا يسلخ الجلد حتى تموت, يعني إذا ذبح البهيمة فيتركها حتى تزهق الروح ثم يأخذ الجلد, من الخطأ أن الإنسان يأخذ الجلد والبهيمة حية, هذا غير إحسان.

ومنها: ألا يُثبِّت قدميها ويديها: بعض الناس الآن إذا ذبح البهيمة أمسك برجليها ويديها حتى لا تتحرك, هذا خطأ, لذلك هذه الحركة هي سبب في تخفيف ألم خروج الروح عن هذه البهيمة, فاتركها حتى تحرك يديها وقدميها فيخف عليها الموت.

ومن الفوائد: أن دين الإسلام دين الإحسان, ولذلك الله عَزَّ وَجَلَّ كتب الإحسان على كل شيء, شيء هنا نكرة, فيشمل كل شيء, حتى المأمور بقتله مثل الكافر الآن: إذا مسلم ارتد فيُقتل قتل إحسان, بحيث تُقطع رقبته بالسيف ولا يُمثل به, لا تُجدع أنفه وتُقطع عينه ويُكسر سنه وتُقطع أُذنه, هذا خطأ, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن بدل دينه فاقتلوه», فهذا هو المأمور به, أما أن نأخذه ونحرقه بالنار أو نضع عليه كذا وكذا, فهذا تعزير لا يصح.

لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة», فدين الإسلام إحسان.

أيضًا دين الإسلام إحسان للبهائم, البهيمة يُحسن إليها, فدين الإسلام مبني على الإحسان, النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: على كل شيء, فإذا ذبحتم, والذبح غالبًا أنه فيما يُذبح مثل الشاة والبعير ومثل البقرة, فيذبحها بأحسن طريقة تُزهق الروح.

فلو مثلًا إنسان عقل البهيمة فقطع اليد وهي حية, نقول: هذا لا يجوز.

لو أخذ البهيمة فجدع أنفها أو حرقها: هذا لا يجوز, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا يُعذِّب بالنار إلا رب النار».

فلذلك دين الإسلام مبني على الإحسان.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة, ولكن لعلنا نقتصر على ذلك.

الحَدِيث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ», رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ, وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى هذا الحَدِيث الذي فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر فيه بتقوى الله عَزَّ وَجلَّ, وحث فيه على إتباع السيئة الحسنة, وحث فيه على مخالقة الناس بخُلقٍ حسن, هذا الحَدِيث من حيث الإجمال.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي ذر جُندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اتق الله حيثما كنت»: اتق الله أي اجعل بينك وبين عذاب الله وقاية, بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وقوله: «حيثما كنت»: حيثما ظرف, أي في أي مكان كنت, سواءً كنت في بلدك أو غير بلدك, أو في السوق أو في البيت, فاتق الله حيثما كنت, في أي مكان كنت.

«وأتبع السيئة الحسنة تمحها»: أتبِع أي اجعلها تتبعها, السيئة هي ما يسوء الإنسان, وكل ما نهى الله ورسوله عنه.

وهذه السيئة أتبعها الحسنة, والحسنة هي كل ما أمر به الله عَزَّ وَجلَّ ورسوله فهو حسن.

قال: تمحها: أي تمحوا هذه السيئة.

قال: «وخالِق الناس بخلُقٍ حسن»: خالق الناس يعني عاملهم بالحسنى وكف الأذى ونحو ذلك.

الناس هنا لفظ عام أي جميع الناس بخلق حسن.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: الوصية بتقوى الله عَزَّ وَجلَّ, وتقوى الله هي كما فسرها بعض العلماء هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وقيل أن التقوى هي أن تعبد الله على نورٍ من الله, ترجو ثواب الله, وأن تترك معصية الله, على نور من الله, تخشى عقاب الله.

وقد قال بعضهم:

خـــل الـــذنوب صـــغيرها وكبيرهـــا ذاك التقـــى

واصـــنع كـــماشٍ فـــوق أرض الشـــوك يحـــذر مـــا يـــرى
لا تحقـــــــرن صـــــــغيرة إن الجبـــــال مـــــن الحصى

***

فالتقوى هي وصية الله عَزَّ وَجلَّ للأولين والآخرين, وأوصى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, الله عَزَّ وَجلَّ أوصى بالتقوى, قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء: ١٣١], فهي وصية الله عَزَّ وَجلَّ للأولين والآخرين.

وأيضًا وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «اتق الله», والتقوى هي جامعة لخيري الدنيا والآخرة, فما نجا إنسان من عذاب الله وفاز بجنته إلا بتقوى الله عَزَّ وَجلَّ, فالتقوى نجاة في الدنيا والآخرة.

ولذلك الإنسان يتقي الله, فالتقوى هي من جماع الخير, ولذلك التقوى لها فوائد كثيرة:

من فوائد التقوى: أنها سبب لمحبة الله عَزَّ وَجلَّ للعبد, فإذا اتقى الله عَزَّ وَجلَّ فإن هذا من أسباب محبة الله للعبد.

وأيضًا من فوائد التقوى: أن الإنسان إذا اتقى الله عَزَّ وَجلَّ فإن الله عَزَّ وَجلَّ يجعل له فرقانًا, يفرِّق بين الحق والباطل.

ومن فوائد التقوى: أنها سبب في تكفير السيئات.

ومن فوائد التقوى: أنها سبب أن يقبل الله عَزَّ وَجلَّ عمل الإنسان, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧].

ومن فوائد التقوى: أنها سبب للرزق.

ومن الفوائد: أن الإنسان يتقي الله عَزَّ وَجلَّ في كل مكان, سواءً كان أمام أنظار الناس أو كان مختفيًا في مكانه لا يراه إلا الله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك الإنسان يتقي الله عَزَّ وَجلَّ في كل مكان, بحيث يكون السر والعلانية في تقوى الله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك يقول القائل:

وإذا خلـــــــوت بريبـــــــةٍ والـــنفس داعيـــة إلى العصـــيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

***

ولذلك الإنسان يتقي الله عَزَّ وَجلَّ سواءً كان خاليًا أو ظاهرًا أمام الناس.

وقد جاء عند ابن ماجه: أنه يأتي يوم القيامة أُناس بحسنات أمثال الجبال, فيجعلها الله عَزَّ وَجلَّ هباءً منثورًا, نسأل الله العافية, فسُئل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنهم؟ فقال: **«هم قوم يقومون بالليل ويصومون النهار, ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»**, يعني إذا خلا عن الناس انتهك المحارم.

ولذلك الإنسان يتقي الله في أي مكان.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا فعل سيئة فعليه أن يُتبعها بالحسنة, إذا وقع الإنسان في معصية أو سيئة أو ذنب فعليه أن يُتبعها الحسنة , ومن أعظم الحسنات التي يُتبعها السيئة التوبة, فإذا تاب الإنسان تاب الله عَزَّ وَجلَّ عليه.

وهي من أعظم الحسنات التي تُكفِّر السيئات, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥], فقد يقع الإنسان في معصية وذنب, ولكنه يتوب فيتوب الله عَزَّ وَجلَّ عليه, فإذا أتبع السيئة التوبة فإنها تُكفَّر بإذن الله.

الثانية: الحسنات, فيفعل الإنسان الحسنة التي ضد هذه المعصية, فمثلًا إنسان عق والديه, وقع في عقوق والديه, فعليه أن يبر بهم ويستغفر ويبر والديه.

أيضًا إذا إنسان آذى جاره فعليه أن يعتذر له, أيضًا لو إنسان في ماضي من عمره ترك بعض الصلوات, فعليه الآن أن يُكثر من الصلاة النافلة وأيضًا قيام الليل.

إنسان ترك الصوم: فعليه الآن أن يقضي.ويُكثر من صوم النافلة, وهكذا, فيكون هذا يُتبع السيئة الحسنة.

وأيضًا فيما بينك وبين المخلوق: إذا أساء إليك إنسان فأحسن إليه فإنها تمحو هذه السيئة التي بدرت منه, لذلك إذا أحسنت إليه فإن هذا سبب في أن يذهب ما في قلبه عليك من حقد.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت: ٣٤], يعني الذي بينك وبينه عداوة إذا أحسنت إليه أصبح كأنك من أحب الناس إليه.

هنا مسألة: إذا وقع الإنسان في معصية كبيرة, ثم أتبعها حسنة, فهل تمحها؟

الجواب إذا كانت كبيرة فلا بد من توبة, إذا كان الإنسان وقع في كبيرة مثل سرقة أو شرب خمر أو كذب أو نميمة: فهذه لا بد من توبة, لأن هذه كبائر, والكبائر لا بد لها من توبة, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[النساء: ٣١].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الصلوات الخمس, والجمعة إلى الجمعة, ورمضان إلى رمضان: مكفرات لما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر»**, أخرجه مسلم.

فإذا ابتعد الإنسان عن الكبائر وفعل الحسنات فإنها تُكفر السيئات الصغار إن شاء الله, أما الكبائر فلا بد لها من توبة.

ومن الفوائد: أن الإنسان يخالِق الناس بخُلق حسن, والخُلق الحسن هو الصورة الباطنة للإنسان, وذلك أن الإنسان له صورتان:

صورة ظاهرة يراها الناس: هذا الخلق يسمى الخلق.

الثاني: صورة باطنة وهي الأخلاق, مثل الكرم والشجاعة, فهذه صورة باطنة تكون في نفس الإنسان.

وهنا خالق الناس بخُلق حسن, والخُلق الحسن قد يكون جبليًا في الإنسان, جبله الله عَزَّ وَجلَّ على حُسن الخُلق, وقد يكون تخلُّقًا كما في هذا الحَدِيث, يتخلق بهذا الخُلق حتى يُصبح سجية له.

أما الطبيعة فهو أن الله عَزَّ وَجلَّ خلق الإنسان هذا حسَن الخُلق, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لبعض الصحابة: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة», وذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله جبل هذا الصحابي عليهما.

الثانية: التخلق: بحيث أن الإنسان يجاهِد نفسه على تحسين أخلاقه وبذل المعروف وكف الأذى, حتى يُصبح الإنسان حسن الخُلق.

وحُسن الخلق من أعظم ما يوضع في ميزان العبد.

وقد يقول قائل: ما هو حُسن الخُلق؟ حُسن الخُلق: هو بذل المعروف, شخص أراد منك جاه تعينه, شخص أراد منك مالًا تعطيه, وهكذا.

كف الأذى: بحيث أنك لا تؤذي أحدًا.

أيضًا طلاقة الوجه: طلاقة الوجه من حُسن الخُلق, بحيث أنك تلاقي المسلم بوجهٍ مبتسم ونحو ذلك.

فهذا حُسن الخلق, وحُسن الخُلق من أعظم ما يوضع في ميزان العبد, كما تقدم وقد جاء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيما معناه: أن أعظم ما يُدخل الناس الجنة تقوى الله وحُسن الخلق, وجاء في الحَدِيث الآخر: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخُلق».

فحُسن الخُلق قد يكون تخلُّقًا, فالإنسان يجاهد نفسه المرة والمرتين والثلاث حتى يصبح حُسن الخُلق سجية له.

فحسن الخُلق أن تبذل المعروف وتكف الأذى, وتبتسم في وجه إخوانك المسلمين وهكذا, فهذا حُسن الخُلق.

وهذا الحَدِيث كما ترون فيه فوائد كثيرة, ومن أعظم الفوائد: تقوى الله عَزَّ وَجلَّ كما تقدم.

الحَدِيث التاسع عشر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْت خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامِ! إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْك، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، إذَا سَأَلْت فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك؛ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ», رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ, وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: «احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامك، تَعَرَّفْ إلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُك فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَك، وَمَا أَصَابَك لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَك، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنْ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

الشرح

هذا الحَدِيث حديث جليل, وفيه وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس, فهذا الحَدِيث من الأحاديث التي جمعت المعاني الكثيرة, وقد أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباس بوصية مهمة.

قال: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يعني مرادف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يومًا: أي في يوم من الأيام.

فقال: «يا غلام»: وهذا نداء من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس وقد كان غلامًا, والغلام هو ما قبل البلوغ, يُطلق عليه غلام.

قال: «إني أُعلمك كلمات»: أُحدِّثك بكلمات وليست كثيرة, وهذا فيه تشويق.

قال: «احفظ الله يحفظك»: احفظ الله بمعنى أن تحفظ أوامره بأن تؤديها, وتحفظ نواهيه بألا تعملها, فهذا حفظ الله عَزَّ وَجلَّ بمعنى أن تؤدي الأوامر وتجتنب النواهي.

«احفظ الله يحفظك»: يعني يحفظك الله عَزَّ وَجلَّ في دينك ودنياك, الله عَزَّ وَجلَّ يحفظ العبد إذا حفظ أمره في دينه ودنياه.

قال: «احفظ الله يحفظك, احفظ الله تجده تجاهك»: أي تجده أمامك, بمعنى أنه يوفقك ويسددك , وهذه المعية الخاصة, فإن الله عَزَّ وَجلَّ يوفقك ويُصلحك ونحو ذلك.

قال: «إذا سألت فاسأل الله»: يعني إذا سألت أمرًا من الأمور فلا تسأل إلا الله عَزَّ وَجلَّ.

«وإذا استعنت فاستعن بالله»: يعني إذا طلبت العون فاطلبه من الله عَزَّ وَجلَّ.

«واعلم أن الأمة»: الأمة يعني الخلق, والعلم تيقن أن الأمة يعني الخلق, «لو اجتمعوا»: يعني لو اجتمعوا جميعًا, «على أن ينفعوك بشيء»: شيء نكرة, فيشمل أي شيء, ينفعوك بشيء, «لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك»:

يعني هؤلاء الخلق لو اجتمعوا جميعًا على أن ينفعوك بأمرٍ واحد لم ينفعوك إلا وهذا الشيء قد كتبه الله لك.

«وإن اجتمعوا»: يعني جميع الخلق, «على أن يضروك»: يعني يوصِلوا إليك الضرر, والضرر ما يكون في البدن , أو في المال أو في الولد .

«يضروك بشيء»: نكرة تشمل جميع الأشياء, «لم يضروك»: يعني الخلق لو اجتمعوا جميعًا على أن يضروك بشيء, «لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»: يعني لم يصلوا إليك إلا بأمر قدَّر الله عَزَّ وَجلَّ أن يصلوا.

قال: «رُفعت الأقلام وجفت الصحف»: رُفعت الأقلام يعني عن الكتابة, وجفت الصحف يعني ثبت ما فيها ولن يتغير.

قال: وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك»: أي احفظ أوامر الله أيضًا تجده أمامك, يعني يسددك ونحو ذلك.

«تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»: أي تعرَّف إلى الله عَزَّ وَجلَّ في حال السعة ولين العيش يعرفك في الشدة, أي في الضيق .

«واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك»: ما أخطأك هو ما لم يقع عليك لا يمكن أن يصيبك لأن الله عَزَّ وَجلَّ كتب ألا يصيبك, فلا يمكن أن يصيبك, كل شيء لم يقع عليك أراد الله عَزَّ وَجلَّ ألا يقع, فلا يمكن أن يوقعه أحد عليك.

قال: «وما أصابك لم يكن ليخطئك»: أي الشيء الذي أصابك لم يكن ليُخطئك, لا بد أن يقع عليك, لأن الله عَزَّ وَجلَّ قدَّره وسيقع عليك, وقد وقع عليك لأن الله قدَّر.

قال: «واعلم أن النصر مع الصبر»: النصر هو الظَفَر, أي أن النصر مقرون بالصبر, فلا بد للإنسان أن يحبس نفسه على أوامر الله, عند ذلك يكون النصر.

وهذا على النفس وعلى الأعداء, على العدو الداخلي وعلى العدو الخارجي.

قال: «وأن الفَرَجَ مع الكرب»: الفَرَج هو الانبساط والسعة, والكرب هو الضَنَك والشدة.

«وأن مع العسر يسرًا»: العُسر هو الضيق, والضنك معه يُسرة وسهولة وبسطة في العيش ونحو ذلك.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة, ولو أخذنا كل الفوائد لطال الوقت, ولك لعلنا نأخذ بعض الفوائد المهمة فيه:

من فوائد الحَدِيث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُردِف على الدابة معه غيره, ولذلك أردف ابن عباس, وقد أردف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير واحد من الصحابة, وهذا فيه فائدة: أنك إذا أردفت على الدابة كالحمار أو البغل فلا بأس بشرط أن يكون يُطيق ذلك.

ومن الفوائد: حُسن تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف علَّم هذا الغلام الصحابي الجليل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في هذه الكلمات, فهذا فيه فائدة أن الإنسان لا يفرط في المعروف أبدًا حتى لو يجد إنسانًا صغيرًا في السن فيوصيه.

ومن الفوائد: حفظ ابن عباس وفهمه رضي الله عنهما, فقد حفظ وهو دون البلوغ, حفظ هذا الحَدِيث وأداه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يحفظ الله عَزَّ وَجلَّ في أوامره بحيث يؤديها, ويحفظ الصلاة فلا يضيعها, ويحفظ الصيام فلا يتركه, ويحفظ الحج فيؤديه, ويحفظ أوامر الله عَزَّ وَجلَّ جميعًا: بر الوالدين, وصلة الرحم وغير ذلك من أوامر الله.

وقد أمر الله عَزَّ وَجلَّ بأوامر أن تُحفظ في القُرآن: منها الصلاة, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة: ٢٣٨], وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[المؤمنون: ٥], وقال تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[المائدة: ٨٩], فأمور كثيرة أمر الله عَزَّ وَجلَّ أن تُحفظ.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن يضمن لي ما بين فخذيه وما بين لَحييه أضمن له الجنة», وفي لفظ: «من يحفظ ما بين لحييه», فهذه أوامر يحفظها الإنسان.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا حفظ أوامر الله فإن الله عَزَّ وَجلَّ يحفظه, والجزاء من جنس العمل.

وحفظ الله للعبد نوعان: حفظٌ في الدين, وحفظٌ في الدنيا: حفظٌ في الدين بمعنى أن الله عَزَّ وَجلَّ يحفظك من الشُبهات والشهوات.

الشُبهات إذا طرأت على الإنسان فإن الله يحفظه منها, بحيث يبين الله له الحق حتى يلتزم به, ويبين له الباطل حتى يتبعد عنه.

والشهوات: بحيث أن الله عَزَّ وَجلَّ يعصم العبد, من المعاصي, فيحُولُ الله عَزَّ وَجلَّ بينه وبين المعصية, إذا أراد أن يفعل المعصية فإن الله عَزَّ وَجلَّ يحفظه منها, فإذا كاد أن يقع فيها فإن الله عَزَّ وَجلَّ يحفظه, وقد قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ

وَقَلْبِهِ ﴾[الأنفال: ٢٤], يقول العلماء: أن الله عَزَّ وَجلَّ يَحُولُ بين المرء وقلبه حتى لا يعلم ما يفعل .

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ, وسؤال الله يكون بلسان الحال ولسان المقال: بلسان المقال: كأن تقول: يا الله اغفر لي, يا رب وفقني للإيمان, وهكذا بلسان الحال.

ولسان الحال كأن تصلي وترجوا في قلبك أن الله عَزَّ وَجلَّ يغفر لك, أو أن تصوم أو أن تصل رحمك, أو أن تتصدق وفي قلبك أن الله عَزَّ وَجلَّ يعطيك, فهذا يسمى سؤال بالحال.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يستعين بالله, والاستعانة بالله عَزَّ وَجلَّ هي طلب العون, فالإنسان يستعين بالله على الأمور الدينية والدنيوية.

في الأمور الدينية تستعين بالله: إذا أردت أن تقوم بالليل, فتستعين بالله وتقول: يا رب أعني, يا رب وفقني, وأيضًا إذا أردت أن تؤدي صلاة الفجر فتستعين بالله, وإذا أردت أن تتصدق فتستعين بالله, وهكذا, هذا في الأمور الدينية.

في الأمور الدنيوية: بحيث إذا أردت أن تتزوج تقول: الله أعني, إذا أردت أن تعمل عملًا معينًا من الأعمال الدنيوية فتقول: اللّهم أعني, ولذلك جاء عن السلف: أنهم كانوا يسألون الله عَزَّ وَجلَّ حتى مِلح الطعام, كان أحدهم يسأل حتى مِلح الطعام, وبعضهم يسأل حتى شراك النعل, فلا تنسى أن تسأل الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: أن الخلق لو اجتمعوا على أن يُوصلوا إليك فائدة لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا, إلا إن قدَّر الله عَزَّ وَجلَّ ذلك , فلا يمكن أن يصل إليك شيء من الخلق وما أراده الله, لا يمكن ذلك.

فلذلك قال: «واعلم أن الأمة»: الأمة أي جميع الأمة, «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء»: شيء نكرة, فيشمل أي شيء, لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك,

هنا استثناء, إلا الشيء الذي أراد الله عَزَّ وَجلَّ أن يصل إليك فيصل, فالله عَزَّ وَجلَّ إذا قدَّر أن يصل إليك هذا الشيء من خلال الخلق فإنه يصل.

ومن الفوائد: أن الخلق جميعًا لو اجتمعوا على أن يصلوا إليك الضرر بقتل أو ضرب أو قطع مال وظيفة وغير ذلك, فلا يستطيعون جميعًا لو اجتمعوا, إلا بشيء قد قدَّر الله أن يصل إليك, لا بد أن يكون هذا في ذهنك: أن الخلق جميعًا لو اجتمعوا جميعًا على أن يوقعوا بك ضررًا فلن يصلوا إلى ذلك, إلا أن يريد الله عَزَّ وَجلَّ ذلك ويقدِّره.

ومن الفوائد: أن الأمور قد كُتبت وفُرغ منها, ولذلك يقول: «رُفعت الأقلام»: هذه كناية أن ما كُتب لا يتغير, قال: «رُفعت الأقلام وجفت الصُحف»: الصحف كناية عما كُتب على الخلق أنه قد فُرغ منه وسيقع على ما هو عليه, ولا يتغير.

ولذلك الكتابة التي في اللوح المحفوظ لا تتغير, فما وقع عليك وما سيقع عليك وما لم يقع كل ذلك مكتوب, يعني لا يتغير, لا يمكن أن يتغير, فعليك أن تأخذ بهذا.

ولذلك جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة», فالأمور مكتوبة, وستقع على ما أراد الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: أن ما أصاب الإنسان لا يمكن أن يُخطئه, فما وقع عليه من مصيبة سواء دينية أو دنيوية فهذا مكتوب ولن يتغير ولن يتعداه, بمعنى أن الإنسان ما أصابه في دينه أو دنياه محتوم عليه:

فمثلًا: في الدين من وُفق لطلب العلم, أو من وُفق لقيام الليل, أو من وُفق لصيام النهار: فهذا مُقدَّر, لا يمكن أن يخطئه.

وأيضًا في دنياه: إنسان فُقعت عينه, إنسان سقط من على الجدار فانكسرت قدمه, إنسان مات له ولد, إنسان ذهب ماله: هذا مكتوب, لا يمكن أن يُخطئه, لا بد أن يقع, لأنه قال: «واعلم»: أي اجزِم, ويؤتى بها للتنبيه على : أن ما بعدها سيقع, «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك».

ومن الفوائد: أن ما أخطأ الإنسان لا يمكن أن يصيبه, سواءً كان في الدين أو في الدنيا, إنسان مثلًا عرض له فتنًا في الدنيا فصرفها الله عَزَّ وَجلَّ عنه, فلا يمكن أن تصيبه, لأن الله عَزَّ وَجلَّ قدَّر ألا تصيبه, وهكذا في الدين.

فما أخطأك لم يكن ليصيبك: في الدنيا: إنسان خرج على سيارته فكاد في الطريق أن يصطدم بسيارة أخرى فنجى منها: هذا ما كتب الله له أن يصيبه, لا يمكن أن يصيبه.

إنسان مثلًا مشى, فوجد عقربًا في الطريق, فوطئ عليها برجله وتعداها وما أصابته بشي: هذا لم يكن أن يصيبه, لأن الله عَزَّ وَجلَّ قدَّر ألا يصيبه, والأمثلة كثيرة جدًا.

ومن الفوائد: أن النصر- وهو الظَفَر والفوز مقترن بالصبر: فالإنسان إذا صبر فإنه يظفر, وهذا في العدو الخارجي, فالكفار إذا صبرت على جهادهم فإن الله عَزَّ وَجلَّ ينصرك عليهم بأذن الله .

وأيضًا العدو الداخلي نفس الإنسان: فإذا صبرت وتركت المعاصي وحبست نفسك فإن الله عَزَّ وَجلَّ ينصرك على نفسك, بحيث أنك توفق لترك المعاصي.

مثلًا إنسان عرضت له معصية فحبس نفسه لله, فإن الله عَزَّ وَجلَّ ينصره على هذه النفس, وهذه النفس إذا أطلق الإنسان لها العَنان فإنها تُهلكه.

ولذلك النفس يقولون مثل الدابة: إذا قيدتها بطاعة الله فإنها تنقاد بإذن الله, وإذا تركتها فإنها تذهب بك إلى الشهوات والمعاصي والبدع.

ومن الفوائد: أن الفَرَج والسعة مع الكرب, فإذا ضاقت عليك الأمور فانتظر الفَرَج, ولذلك إذا رأيت من نفسك أنك وصلت إلى مراحل في الكَرب فاعلم أن الفرج قريب, هذه سنة الله عَزَّ وَجلَّ في خلقه.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾[يوسف: ١١٠]: يعني وصلوا إلى مراحل, فيأتي نصر الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: أن العُسر يتبعه اليُسر, فإذا تعسرت أمور المؤمن فإن الله عَزَّ وَجلَّ ييسر له في باقي حياته, ولذلك جاء في الحَدِيث: أن الرجل يكون من أشد الناس بؤسًا من أهل

الدنيا, يكون في بؤس شديد جدًا, ثم يُغمس في الجنة غمسة, فيقال له: هل رأيت بؤسًا قط؟ فيقول: لا, ذهب كل العُسر الذي مر عليه في الدنيا.

فإذا تعسرت أمور المؤمن فإن الله عَزَّ وَجلَّ يُتبعه باليُسر.

الحَدِيث العشرون

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره عقبة بن عمرو الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن مما توارثه الناس جيلًا عن جيل أن الذي لا يستحي أنه ينبعث في المعاصي, أو أن الشيء الذي لا يُستحيا منه فإنه يُفعل ولا حرج, هذا معنى الحَدِيث من حيث الإجمال.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن ابن مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري, قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»:

إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: يعني مما توارثه الناس جيلًا عن جيل.

وقوله: من كلام النبوة: يعني مما يتوارثه وجاء عن الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.

إذا لم تستح فاصنع ما شئت: الاستحياء هو الكف عما لا يُجمل.

وقوله: فاصنع ما شئت: أي افعل ما شئت, ما مالت نفسك له.

وقوله: إذا لم تستح فاصنع ما شئت: قد يراد به أن الشيء الذي لا يُستحيا منه لا من الله عَزَّ وَجلَّ ولا من خلقه فافعله ولا حرج, فيكون المعنى للإباحة, إذا لم تستح فاصنع ما شئت, يعني إذا كان هذا الشيء رأيت أنه لا يستحيا منه فاصنعه, لأنه لا حرج فيه, فهو جائز.

وقد يراد به أن الذي لا يستحي ونُزع الحياء من قلبه فإنه ينبعث في المعاصي, فيراد به هنا افعل ما شئت فإنك ستعاقب على ما فعلته, فيكون للتهديد وليس للإباحة, كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت: ٤٠], فهو للتهديد.

هذا الحَدِيث فيه فوائد: من فوائد الحَدِيث: أن الحياء مما أتى به الأنبياء السابقون, ولذلك قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى»: يعني توارثه الناس عن الأنبياء جيلًا عن جيل.

ومن الفوائد: أن ما جاء عن الذين قبلنا لا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يأتي في شرعنا تصديقه, فنصدِّق به, يعني جاء عن أهل الكتاب وجاء في شرعنا تصديقه فنصدق به.

الحالة الثانية: أن يأتي في شرعنا تكذيبه, فنكذب به, يعني يخالف الشرع فنكذب به.

الحالة الثالثة: أن يكون لم يأتي في شرعنا لا تصديقه ولا تكذيبه: فهذا نتوقف فيه, لا نصدق ولا نكذِّبه, كما جاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم».

لأنه قد يكون حق فنكذِّب به, وقد يكون باطلًا فنصدق, به فعلينا أن نتوقف.

ومن الفوائد: أن الذي يستحي ينكف عن المعاصي, لأن الحياء خُلق يمنع مما لا يُجمِّل, فيستحي الإنسان من ربه عَزَّ وَجلَّ, وأيضًا يستحي من الناس فلا يفعل المعاصي, فالحياء

خير, ولذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير», وفي الحَدِيث الآخر: «الحياء خيرٌ كله».

والحياء قد يكون حياء من الخالق وقد يكون حياءً من المخلوق:

الحياء من الخالق يعني من الله عَزَّ وَجلَّ: فتستحي من الله.

وكيف يكون ذلك؟ هو ألا يراك الله عَزَّ وَجلَّ في المكان الذي نهاك عنه, في المعاصي والذنوب لا يراك الله عَزَّ وَجلَّ فيها, بحيث أنك تبتعد عنها.

وأيضًا لا تترك الأماكن التي يريد الله عَزَّ وَجلَّ أن تكون فيها, فما تترك الطاعات, ولا تترك حضور الجماعات وهكذا, فتكون تأتي بالأمر وتنتهي عن النهي.

الثاني: الحياء من المخلوق, والحياء من المخلوق هو أن تترك خوارم المروءة, فلا يرى منك الناس خوارم المروءة, كالأكل في الأسواق والانبطاح في المجالس, فهذا مما يُستحيا منه فلا يفعله الإنسان ومن خوارم المروءة.

ومن الفوائد: أن الحياء كما تقدم يمنع من المعاصي, فإذا نُزع الحياء من القلب ينبعث الإنسان نسأل الله العافية في المعاصي.

والحياء قد يكون فطري في الإنسان: يعني فطر الله عَزَّ وَجلَّ هذا الإنسان على الحياء, وقد يكون مكتسب: بحيث أن الإنسان يجاهد نفسه, ويأخذ بالأسباب حتى يكون عنده حياء من الله عَزَّ وَجلَّ ومن خلقه.

فالحياء الفطري: هو أن الله عَزَّ وَجلَّ فطر الإنسان عليه, ولذلك جاء عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء من العذراء في خدرها, والعذراء هي المرأة , في خِدرها أي في بيتها, فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستحي عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم.

والحياء المكتسب: بحيث أن الإنسان يدرب نفسه ويجاهد نفسه ويعمل بالأسباب حتى يرزقه الله عَزَّ وَجلَّ الحياء, فيكون يستحي من الله عَزَّ وَجلَّ ومن خلقه.

والحياء هو ما يمنع من المحرمات وما يمنع من خوارم المروءة, وأما ما يمنع من فِعل الخير وترك الطاعة فهذا ليس بحياء, بل هو خور وجُبن ونحو ذلك.

ولذلك إذا كان الحياء يمنع من المعصية أو خوارم المروءة فهو محمود, فمثلًا إنسان أراد أن يترك الصلاة, فاستحيا من الله عَزَّ وَجلَّ فهذا حياء محمود.

أيضًا إنسان أراد أن يفعل شيئًا من خوارم المروءة التي لا يريد أن يفعلها أمام الناس, فتركها حياءً: فهذا محمود.

أما الحياء الذي يمنع من فِعل الطاعة أو ترك الواجب فهذا مذموم, مثال ذلك: إنسان أراد أن يأمر بالمعروف فاستحيا, نقول: هذا ليس بحياء بل هذا خَور وجُبن.

إنسان أراد أن يسأل عن أشياء تخص الجماع مع أهله, أو إنسان أراد أن يسأل عن الوضوء إذا خرج منه بول أو دم أو غائط فاستحيا, قال: كيف أسأل عن هذا؟ فنقول: هذا مذموم, ليس بالحياء بل هذا جُبن وخور, فيجب أن تسأل عن هذه الأشياء ولا تترك الواجب.

ولذلك : تقول عائشة رضي الله عنها: رحم الله نساء الأنصار, لم يمنعهن الحياء من أن يتفقهن في الدين.

وقالت أم سليم: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق, هل على المرأة غُسل إذا هي احتلمت؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم, إذا رأت الماء», فهذا لا بد من التفقة في الدين.

الحَدِيث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؟ قَالَ: «قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ», رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله قل لي قولًا: يعني قولًا جامعًا يجمع لي الشيء.

قل لي في الإسلام: أي في دين الإسلام.

قولًا لا أسأل عنه أحد غيرك: أي لا أحتاج إلى تفسير أحدٍ غيرك يا رسول الله.

قال له كلمتان, قال له: «قل: آمنت بالله, ثم استقم», فهما كلمتان ولكن جامعتان.

في هذا الحَدِيث قال: عن أبي عمرو وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله, قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولًا: قل لي: أي خُصني يا رسول الله.

في الإسلام: أي في دين الإسلام وفي شريعة الإسلام.

قولًا: أي كلمة تقال, لا أسأل عنه أحدًا غيرك: أي لا أحتاج إلى تفسير بعدك يا رسول الله.

قال: «قل: آمنت بالله»: بقلبك وبلسانك وبجوارحك.

«ثم استقم»: ثم للترتيب, إذا آمنت وعملت بجوارحك فاستقم على الأمر واترك النهي واجتنبه.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: حِرص الصحابة رضي الله عنهم عن السؤال عن الخير, لذلك قال: قل لي في الإسلام, يريد أمرًا مهمًا يحتاجه, يبقى عليه طِيلة حياته.

قال: قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك؟

ومن الفوائد: حُسن تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحُسن نُصحه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ, فقال له كلمتان, وهاتان الكلمتان جامعتان, لذلك قال: «قل: آمنت بالله, ثم استقم».

قل آمنت بالله: الإِيمَان يشتمل على ثلاثة أمور:

يشمل إقرار القلب, ونُطق اللسان, وعمل الجوارح, فقول: «قل: آمنت بالله»: أي آمِن بقلبك وبلسانك وبجوارحك, يعني تعمل وتصلي وتصوم وتحج وتؤمن بالله وملائكته واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره, وأيضًا تنطق شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله, فيكون الدين كله.

ثم استقم: استقم على فِعل الأمر وترك النهي.

والاستقامة هي الاعتدال والسير إلى الله عَزَّ وَجلَّ بدون اعوجاج, فيكون الإنسان سائرًا إلى الله فاعلًا للأمر وتاركًا للنهي, ويكون مستقيمًا ومستمرًا على هذه الطاعة.

فهذا فيه حُسن تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فأرشده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للخير الكثير, إذ أنه قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم».

والاستقامة هي الاعتدال على الطريق الموصل إلى الله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك قال: «استقم», فالاستقامة هي الاعتدال على السير إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة, فأعظم ما يُكرَم به الإنسان من ربه عَزَّ وَجلَّ أن يوفقه أن يستقيم على دين الله عَزَّ وَجلَّ فيكون مستقيمًا, فهذا أعظم ما يكون.

الحَدِيث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْت إذَا صَلَّيْت الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْت رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْت الْحَلَالَ، وَحَرَّمْت الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «نَعَم», رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله رجل عن أنه إذا فعل الحلال معتقدًا حِله, وترك الحرام معتقدًا حرمته, وأتى بالفرائض هل يدخل الجنة؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم», أي يدخل الجنة.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قوله أن رجلًا: رجلًا هنا لفظ منكر, لم يُذكر اسمه, وعدم ذِكر مَن حصل له الحادثة في الحَدِيث قد يكون لأمور, ستأتي إن شاء الله في الفوائد.

قال: أن رجلًا سأل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يعني هذا الرجل قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْت: أي أخبرني إذَا صَلَّيْت الْمَكْتُوبَاتِ: أي أديت الفرائض التي كتبها الله عَزَّ وَجَلَّ على عباده.

وَصُمْت رَمَضَانَ: يعني أمسكت في نهار رمضان, وصمت الشهر الذي افترضه الله عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَحْلَلْت الْحَلَالَ: أي فعلت الحلال معتقدًا حله, أو اعتقدت حِل الحلال وإن لم أفعله إذا كان مستحبًا.

وَحَرَّمْت الْحَرَامَ: أي تركته وابتعدتُ عنه معتقدًا حرمته.

وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا: لم أزد على ما تقدم شيء, أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَم»: أي نعم تدخل الجنة.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن مَن حدث له الحدث في الحديث قد لا يُذكر اسمه, وهو لأمور:

منها أن الحكم لا يتغير, سواءً ذُكر هذا الشخص أم لم يُذكر, الحكم لا يتغير.

ومنها أنه قد يكون المراد الستر على الشخص, فقد يكون من حدث له الحادثة ينبغي أن يُستر عليه, فيقول: فعَل رجل كذا, أو حصل منه كذا, فلا يُذكر اسمه.

ومنها أن يقال: أن الراوي نسي هذا الرجل, عَلِمه ثم نسي, فلئلا يُخطئ في الاسم قال: قال رجل, فلذلك هذا الرجل من الصحابة رضي الله عنهم سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يُذكر اسمه.

قال: أن رجلًا سأل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الفوائد: حِرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير, ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخير, وسيأتينا إن شاء الله حديث معاذ لما قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويباعدني من النار؟

ومن الفوائد: أهمية الصلوات المكتوبات, لأنه قال: أخبرني إذا صليت المكتوبات, والمكتوبات هي الصلوات الخمس التي كتبها الله عَزَّ وَجلَّ على العبد في اليوم والليلة, فهي مكتوبات, متحتمات على الإنسان أن يأتي بهن.

والصلوات الخمس في المحافظة عليها فضائل: منها: أنها سبب في دخول الجنة, ولذلك جاء عند أحمد من حديث عبادة بن الصامت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«خمس صلوات كتبهن الله على العبد في اليوم والليلة, من أتى بهن ولم يُنقص منهن شيئًا كان له عند الله عهدًا أن يُدخله الجنة, ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عند الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»**.

ومن فضائل المحافظة على الصلوات الخمس: تكفير السيئات, فقد جاء في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أرأيتم لو كان على باب أحدكم نهر يغتسل منه كل يوم خمس مرات, هل يبقى من درنه شيء؟»**, قالوا: لا يبقى من درنه شيء, فقال: **«فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا ويرفع بهن الدرجات»**.

ومن فضائل المحافظة على الصلوات الخمس: أن الإنسان يأتي بأعظم ركن بعد الشهادتين في الإسلام, ولذلك لما بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا إلى اليمن, قال: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب, فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله», وفي رواية: «إلى أن يشهدوا أن لَا إِلَه إِلَّا الله وأني رسول الله, فإن هم أطاعوا لك بذلك: فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة», فهذا يدل على فضل الصلوات الخمس.

وأيضًا من فضل الصلوات الخمس: أنها سبب في دخول الجنة, كما في هذا الحَدِيث, قال: إذا صليت المكتوبات.

ومن الفوائد: أهمية الصيام, ولذلك قال: إذا صمت رمضان, فصيام رمضان ركنٌ من أركان الإسلام, ولذلك جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بُني الإسلام على خمس», وذكر منها: «وصيام رمضان».

ومن فضائل الصيام: أنه تكفير للسيئات, ولذلك جاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

ومن فضائل الصوم: أن المحافظة على الصيام يدخل من باب الريان, وقد جاء في الحَدِيث الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان, يدخل منه الصائمون, فإذا دخلوا أُغلق فلا يدخل أحدٌ منه غيرهم», فيدلك على فضل الصوم.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يعتقد حل الحلال, فيجب على الإنسان أن يعتقد حِل الخُبز ويعتقد حِل الماء وهكذا, فالحلال يجب أن تعتقد أنه حلال, ولذلك قال: وأحللت الحلال, أي اعتقدت أنه حلال, فلا بد أن تعتقد أن الحلال حلال.

ومن الفوائد: أنه يجب على الإنسان أن يعتقد أن الحرام حرام, الذي حرمه الله عَزَّ وَجلَّ يعتقد أنه حرام, فلا بد أن يعتقد أنه حرام, ولذلك المسلم يجب عليه أن يعتقد أن الخمر حرام, ويعتقد أن الزنا حرام, ويعتقد أن قتل النفس بغير حق حرام, وهكذا, ولذلك قال: وحرمت الحرام, يعني اعتقدت حرمته وتركته.

ومن الفوائد: أن التحليل والتحريم إلى الله عَزَّ وَجلَّ وليس إلى الخلق منه شيء, فالله عَزَّ وَجلَّ هو الذي يجعل الشيء حلالًا وهو الذي يجعل الشيء حرامًا, وهذا من خصائص الله, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣١], قال عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم, قال: «**أليس يحللون الحرام ويحرمون الحلال فتتبعونهم؟**», قال: نعم يا رسول الله, قال: «**فتلك عبادتهم**».

وأيضًا لما نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أكل البصل, قال الصحابة رضي الله عنهم: حُرم البصل, قال: «**أيها الناس إنه ليس لي أن أُحرم ما أحل الله, ولكنها شجرة أكره ريحها, فمن أكلها فلا يقربن مسجدنا**», فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أنه ليس له عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام أن يحرم ما أحل الله, فالتحليل والتحريم من خصائص الله, وهو من مقتضى ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

ولذلك الصحابي يقول: وأحللت الحلال, أي اعتقدت حِله, وحرمت الحرام: أي اعتقدت تحريمه.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا أتى بالفرض على ما هو عليه دخل الجنة, إذا أتى الإنسان بما فرض الله عَزَّ وَجلَّ من الصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت وأداء الزكاة, وما افترضه الله عَزَّ وَجلَّ دخل الجنة, حتى لو لم يأتي بالمسنون, يعني ما أتى بالمستحبات ولكن أتى بالواجبات دخل الجنة, بشرط: أن يأتي الواجبات على ما هي عليه بدون نقص, فإن نقص منها شيء فإنه قد يؤاخَذ به.

ولذلك من رحمة الله عَزَّ وَجلَّ في خلقه أن شرع النوافل: نوافل الصوم, نوافل الصلاة, نوافل الزكاة والصدقة, لأنه يوم القيامة يكمَّل ما انتُقص من فرض العبد من نوافله, وقد جاء في حديث أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة, فإن صحت فقد أفلح وأنجح, وإن انتقص من فرضه شيء قال الله عَزَّ وَجلَّ للملائكة: انظروا هل لعبدي من تطوع فيُكمل به ما انتقص من فرضه؟ ثم يكون سائر العمل على ذلك**», فهذا من رحمة الله أن شرع النوافل.

فإذا أتى الإنسان بنوافل الصلاة ونوافل الصوم ونوافل الحج ونوافل العمرة ونحو ذلك فإنه بإذن الله تكون متممة للفرض.

فصوم رمضان واجب, وصوم الاثنين والخميس مستحب .

والصلوات الخمس واجبة, والسنن الرواتب قبلها وبعدها مستحبة, والمقصود أن النوافل متممه لفرض .

وهنا لم يذكر الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الحج ولا الزكاة, قد يقول قائل: أليس الحج والزكاة ركنان من أركان الإسلام؟

الجواب: بلى, ولكن الجواب عن هذا الإشكال من وجهين:

الوجه الأول: أن قوله: وحرمت الحرام, يدخل فيه ترك الحج وترك الزكاة, لأن من ترك الحج فقد وقع في حرام, ومن ترك الزكاة فقد وقع في حرام.

الوجه الثاني: أن يقال أن الزكاة لا تجب على هذا الشخص, عرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حال هذا الشخص أنه لا يجب عليه الزكاة, فما ذكرها له, والإنسان إذا لم يكن عنده مال فلا يجب عليه الزكاة, وأما الحج قد يقال: أن الحج لما تكلم بهذا السؤال لم يكن الحج مفروضًا, لأن الحج فُرض في السنة التاسعة من الهجرة, وهنا يزال الإشكال.

ومن الفوائد: قُرب الجنة من العبد, ولذلك لما قال: فعلت كذا وكذا أأدخل الجنة؟ قال: «نعم», فالجنة طريقها يسير على من يسره الله عَزَّ وَجَلَّ عليه, إنما تفعل الواجب وتؤدي ما كتب الله عَزَّ وَجَلَّ عليك وتنتهي عما حرم الله عليك تدخل الجنة بإذن الله, فطريق الجنة يسير.

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**والجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله, والنار مثل ذلك**», فالإنسان مجرد أن يأتي بالواجبات فهو يكون إن شاء الله من أهل الجنة.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة, لكن نقتصر على هذا.

الحَدِيث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ: تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَك أَوْ عَلَيْك، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه فوائد كثيرة, وهو من الأحاديث التي لها أهمية, ولذلك يقول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري, قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطهور شطر الإيمان»: الطهور بالضم هو الفِعل, فقد يراد به الطهور للصلاة.

وقوله: شطر: أي نصف الإيمَان, والإيمان المراد به الصلاة, لأن الصلاة يُطلق عليها إيمان, قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]: أي صلاتكم, هذا قول لبعض العلماء, وهو الأقرب والله أعلم.

وقيل: أن الطهور هو التطهر, المعنوي أي طهارة القلب من الشرك والحسد والغِل ونحو ذلك مما يعتريه القلب.

قال: شطر الإيمَان أي نصف الإيمَان, والإيمان الذي هو إيمان القلب, فيكون الإيمَان تخلية وتحلية, لأن الإنسان لا بد أن يُطهر قلبه ثم يؤمن بالله, لا بد أن يتبرأ من الشرك وأهله ثم يؤمن بالله, ويعتقد أنه لَا إِلَه إِلَّا الله, فيكون شطر الإيمَان أي نصفه, فلا يصح إيمان إنسان وهو لم يطهر قلبه من الشرك.

قال: «الطهور شطر الإيمان, والحمد لله تملأ الميزان»: الحمد هو وصف المحمود بالكمال حُبًا وتعظيمًا, فالله عَزَّ وَجلَّ يُحمد على أمرين:

الأول: على إنعامه, فتحمد الله عَزَّ وَجلَّ على نِعمه التي لا تُحصى.

الثاني: على عظيم صفاته, فأنت تحمد الله عَزَّ وَجلَّ على صفاته العظيمة, الله عَزَّ وَجلَّ له الصفات الكاملة من جميع الوجوه.

قال: الحمد لله: اللام للاستحقاق وللاختصاص, لأن الحمد الكامل من جميع الوجوه هو مختص لله عَزَّ وَجلَّ.

قال: «الحمد لله تملأ الميزان»: أي ميزان الأعمال, فقوله: الحمد لله تملأ الميزان أي ميزان العبد, هذا يدلك على عظيم فضل هذه الكلمة, تملأ الميزان, والميزان هو الذي توزن فيه الأعمال يوم القيامة.

قال: «وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السماء والأرض»: سبحان الله: سبحان مصدر, وهو تنزيه الله عَزَّ وَجلَّ عما لا يليق به سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فالله عَزَّ وَجلَّ يُنزه عن ثلاثة أمور:

الأول: عن صفات النقص مطلقًا.

الثاني: عن النقص في صفات الكمال.

الثالث: عن مشابهة أو مماثلة المخلوقين, فالله عَزَّ وَجلَّ يُنزه عن هذه الأمور الثلاثة.

سبحان الله: أي تنزيهًا لله, والله عَلَم على الرب عَزَّ وَجلَّ.

وسبحان الله والحمد لله تملأن: أي هاتين الكلمتين تملأن, أو تملأ: أي هاتين الكلمتين تملأ, ما بين السماء والأرض: يعني عظيم فضل هاتين الكلمتين أنهما تملأن ما بين السماء والأرض.

قال: «والصلاة نور»: الصلاة هي الصلاة ذات الأقوال والأفعال, المبتدأة بالتكبير المختتمة بالتسليم.

نور: أي نور في الوجه وفي القلب وفي القبر وعلى الصراط, فلذلك قال: الصلاة نور, ما قيدها بشيء بل جعلها مطلقة, فتكون نور من جوانب كثيرة.

قال: «والصدقة برهان»: الصدقة هي ما يُخرجه الإنسان لله عَزَّ وَجلَّ تقربًا إليه.

وقوله: برهان: دليل على صدق هذا المتصدق, فهي دليل على صِدق إيمانه, إذ أن المال محبوب للنفس, والإنسان لا يُخرج الشيء لله إلا وهو يقدم محبة الله عَزَّ وَجلَّ على المال, فهذا دليل على صدق الإيمَان.

وأيضًا لأن المنافق لا يتصدق, لأنه ما يرجوا ثوابًا, وأما المؤمن المصدق يرجوا ثواب الله عَزَّ وَجلَّ فيتصدق.

قال: «والصبر ضياء»: الصبر في اللغة هو الحبس, بحيث أن الإنسان يحبس نفسه على طاعة الله, ويحبس نفسه عن معصية الله, ويحبس نفسه عن التسخط على أقدار الله.

قال: «والصبر ضياء»: أي فيه نور, والضياء هو النور, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾[يونس: ٥]: أي نورًا.

قال: «والقرآن حُجة لك أو عليك»: القُرآن هو كلام الله عَزَّ وَجلَّ المنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الله عَزَّ وَجلَّ بدء وإليه يعود.

حجة لك أو عليك: حجة لك: إذا صدقت به, وآمنت به, وعملت به, فيكون حجة لك, إذا صدقت بالقرآن, وآمنت به بأنه كلام الله وأنه معجِز ونحو ذلك, وأيضًا عمِلت به فيكون حُجة لك.

قال: أو حجة عليك: حجة عليك إذا لم تؤمن به, أو لم تعمل به فيكون حُجة عليك, فالقرآن لا بد إما أن يكون حُجة لك أو عليك, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حُجة لك أو عليك», لا ثالث لهما.

قال: «كل الناس يغدو»: أي يخرج في الصباح, والخروج هو الغدو في أول النهار, كل الناس يغدو: «فبائع نفسه»: أي بائع نفسه لله عَزَّ وَجلَّ, «فمعتقها»: يعني معتقها من

عذاب الله عَزَّ وَجلَّ, مَن آمن بالله, وقام بعبادة الله حق عبادته وانتهى عن معصية الله فقد باع نفسه لله عَزَّ وَجلَّ, فينجو من عذاب الله.

قال: «أو موبقها»: أي مهلكها, فالإنسان لا يخلو من حالتين: إما أن يعمل بطاعة الله وينتهي عن معصية الله فيكون سببًا في إعتاق نفسه من عذاب الله, وإما أن يوبِق نفسه ويُهلكها بمعصية الله وترك الواجبات التي أمر الله بها.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث:

أن الطهور نصف الإِيمَان: فإن كان المراد الصلاة فإن الصلاة لا تصح إلا بطهور, فإذا لم يتطهر الإنسان فصلاته لا تصح, وإن أُريد به ترك الشرك فالإيمان لا يصح إلا بالتخلي عن الشرك, لا بد أن الإنسان إذا أراد أن يؤمن بالله لا بد أن يكفر بما يُعبَد من دون الله.

ولذلك جاء في صحيح مسلم: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من شهد أن لَا إِلَه إِلَّا الله, وكفر بما يُعبد من دون الله», لا بد أن يكفر بما يُعبد من دون الله.

فالإسلام تخلية: يكفر بما عُبد من دون الله ويؤمن بالله وحده لا شريك له.

ولذلك كلمة التوحيد لَا إِلَه إِلَّا الله فيها نفي وإثبات: نفي المعبودات الباطلة وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له.

ومن الفوائد: فضل قول الحمد لله, فضل هذه الكلمة, ولذلك قال: تملأ الميزان.

وقد جاء في الحَدِيث أن أفضل الذكر قول لَا إِلَه إِلَّا الله, وأفضل الدعاء قول الحمد لله, ولذلك هذه الكلمة لها فضل, فينبغي للمسلم أن يُكثر منها ويسبح يقول: الحمد لله, الحمد لله, فأنت تحمد الله عَزَّ وَجلَّ على عظيم صفاته, وأيضًا تحمده على جزيل هباته, فالله عَزَّ وَجلَّ هو الذي أنعم على الخلق, كل ما عند الخلق من نِعم فهي من الله, كل المخلوقات التي ترى فيها النِّعم فهي من الله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك الحمد لله.

ومن الفوائد: إثبات الميزان, الميزان الذي توزَن فيه الأعمال يوم القيامة, فالإنسان يوم القيامة توزَن أعماله, توضع الحسنات في كِفة والسيئات في كِفة, فإذا رجحت الحسنات أفلح, وإذا رجحت السيئات خسر, نسأل الله العافية, ولذلك يوم القيامة توزَن الأعمال.

وقد اختلف العلماء: ما هو الذي يوزَن؟ هل هو العمل أو الصحائف أو الإنسان نفسه؟ قيل هي الصحائف التي توزن, وقيل العمل, وقيل العامل نفسه, فالظاهر والله أعلم أن الثلاثة توزن, يوزَن العمل ويوزَن العامل نفسه وتوزن صحائف الأعمال, والكل لها أدلة.

ومن الفوائد: بُعد ما بين السماء والأرض, ولذلك قال: «تملأ ما بين السماء والأرض», وقد جاء في الحَدِيث أن ما بين كل سماء وسماء مسيرة خمس مائة عام, وهاتين الكلمتين تملأ هذا المكان كله.

قد يقول قائل: هذه الكلمات معنى ليست جسمًا حتى تملأ؟

الله عَزَّ وَجلَّ على كل شيءٍ قدير, لو شاء لجعلها أجسامًا فملأت ما بين السماء والأرض, ولذلك جاء في الحَدِيث أن الأعمال يوم القيامة توزَن, الله عَزَّ وَجلَّ يجعلها أجسامًا فتوزَن.

ومن الفوائد: أن الصلاة نور, وقوله نور مطلق, هل هي نور في القلب؟ أو نور في الوجه؟ أو نور في القبر؟ أو نور يوم القيامة؟ أو نور على الصراط؟ كل هذا مراد والله أعلم, فهي نور في القلب, فإذًا الإنسان الذي يصلي يكون في قلبه نورًا.

ونور في الوجه: بحيث أن الإنسان كثير الصلاة يظهر النور على وجهه, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[الفتح: ٢٩], والسيما هنا هي النور الذي في الوجه, فالذين يحافظون على الصلاة في وجوههم نور.

أيضًا نور في اللسان وفي القلب وفي القبر, وأيضًا نور يوم القيامة, فالناس يوم القيامة يُعطَون نورًا على قدر أعمالهم, فمن كان كثير الصلاة كان النور عنده أعظم, فالصلاة نور.

ومن الفوائد: أن الصدقة دليل على صِدق المتصدق, الذي يُنفق ويتصدق فهذا دليل على أن الرجل مؤمن, فإذا رأيت الرجل كثير الصدقة فهذا دليل وبرهان, على أن هذا الرجل عنده إيمان, ولذلك قال: «والصدقة برهان», تدل على أن هذا الرجل مؤمن بالله عَزَّ وَجلَّ.

ولذلك المنافق ما يُنفق لأنه لا يرجوا ثوابًا, لا يُصدِّق, أما المؤمن الذي يعلم أن ما عند الله خير وأن الله عَزَّ وَجلَّ يعوِّضه في الدنيا والآخرة فإنه يُنفق فيكون عنده إيمان.

ومن الفوائد: أن القُرآن قد يكون حُجة للإنسان, والحُجة هو ما يكون سببًا في نجاة الإنسان ونحو ذلك إذا عمل به وصدَّقه وقرأه وتلاه حق تلاوته وعرف معانيه, ولذلك جاء في الحَدِيث أن القُرآن يأتي يوم القيامة فيقول: منعته النوم بالليل, فشفعني فيه, فإذا كان الإنسان مصاحبًا للقرآن يقرأه ويعمل به ويفهم معانيه فإن هذا يكون حُجة له.

وأيضًا من الفوائد: أن القُرآن قد يكون حُجة على الإنسان بحيث يكون إذا لم يؤمن به سببًا في عقابه وسببًا في هلاكه, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ إذا أنزل آية زاد المنافقون ضلالًا والعياذ بالله لأنهم يكفرون بها ويزيد عذابهم ويزيد ضلالهم.

ومن الفوائد: أن الناس يخرجون وينتشرون, وهذه طبيعة البشر أن الناس ينتشرون, فما تجد إنسانًا إلا يخرج في الأرض, وقيل سمي الناس أناسًا من النوس وهي كثرة الحركة والانتشار في الأرض, فالإنسان خُلق ليذهب وليمشي وليتحرك ويصلي ويقعد.

ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قال: الإنسان خُلق ليعمل, فإن لم يعمل بطاعة جرته نفسه وتسببت عليه بفعل المعصية, فالإنسان لا بد أن يعمل, لا يجلس الإنسان هكذا, لا يمكن الإنسان يقعد في مكانه, ليس من طبيعة البشر, الله عَزَّ وَجلَّ خلق الإنسان ليتحرك, ولذلك قال: «يغدو».

ومن الفوائد: أن الإنسان قد يتسبب في نجاة نفسه من عذاب الله, وذلك بفعل أوامر الله عَزَّ وَجلَّ من صلاةٍ وصيام وزكاة وحج وما أشابه ذلك, وترك معصية الله من قتلٍ

وزنًا وخمرٍ ونحو ذلك, فإذا أتى الإنسان بطاعة الله وانتهى عن معصية الله فإنه سبب في نجاته من عذاب الله.

أيضًا من الفوائد: أن الإنسان قد يُهلِك نفسه بنفسه, هو الذي تسبب في ذلك, وذلك بترك الأوامر, لأن الإنسان في هذه الحياة خلقه الله عَزَّ وَجلَّ لعبادته, لا بد أن يعبد الله عَزَّ وَجلَّ, فالله عَزَّ وَجلَّ أوجب عليه أمورًا لا بد أن يؤديها, وأيضًا نهاه عن أشياء محرمة عليه لا بد أن يتركها, فإذا ترك الواجبات ترك الصلاة أو ترك الصوم أو ترك الحج فإنه سبب في أن يُهلك نفسه.

وأيضًا إذا ارتكب معصية الله: ارتكب الزنا أو شُرب الخمر أو قتل نفسه بغير حق أو ما أشبه ذلك فإنه يتسبب في هلاك نفسه, فهو الذي أهلك نفسه بنفسه.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة, لكن نختصر على ذلك.

الحَدِيث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا, يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْته، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ, يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ, يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْته، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ, يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي, يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا, يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ

قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا, يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ, يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إِلَّا نَفْسَهُ», رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

هذا الحَدِيث له شأنٌ عظيم, وذلك فيه أن الله عَزَّ وَجلَّ حرم الظلم على نفسه, وأنه جعله بين العباد محرمًا, وأن الله أخبر العباد أنه هو الهادي لهم, وأن العباد جياع إلا من أطعمه الله, وعطشى إلا من أسقاه الله, إلى آخر الحَدِيث, فهو حديث شأنه عظيم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قوله فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هذا يسمى الحَدِيث القدسي: أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدِّث به عن الله عَزَّ وَجلَّ, فالحديث القدسي من الله عَزَّ وَجلَّ لفظًا ومعنى: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ تكلم بهذا الحَدِيث, وبلَّغه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي**»: قوله: يا عبادي: هذا لجميع الخلق وهي العبودية العامة, لأن جميع الخلق عبيد لله بالمعنى العام وهي عبادة القهر والذُل, فجميع الخلق مقهورون مذللون لله عَزَّ وَجلَّ تجري عليهم أحكامه.

فقوله: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي: يعني منعت نفسي من الظلم, الله عَزَّ وَجلَّ حرم الظلم على نفسه, والتحريم هو المنع, بمعنى أن الله عَزَّ وَجلَّ منع نفسه أن يظلم أحدًا من خلقه.

قال: «وجعلته بينكم محرمًا»: أي منعتكم أن تظلموا بعضكم بعضًا, يعني جعل هذا الظلم محرم بين العباد, بحيث لا يجوز أن يظلم بعضهم بعضًا.

قال: «فلا تظالموا»: يعني نهاهم الله عَزَّ وَجلَّ عن الظلم قال: لا يظلم بعضكم بعضًا.

ثم قال: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته»: هذه أيضًا الهداية العامة, كلكم ضال أي مخطئ الطريق, إلا من هديته: أي إلا من وفقته وأرشدته إلى الطريق المستقيم وهديته إليه, «فاستهدوني أهدكم»: أي اطلبوا الهداية مني أهديكم وأُرشدكم وأوفقكم إلى سلوك الطريق المستقيم.

ثم قال: «كلكم جائع إلا من أطعمته»: أي كل العباد جياع إلا من أطعمه الله عَزَّ وَجلَّ, فقال: «فاستطعموني أُطعمكم»: أي اطلبوا مني أن أُطعمكم, اطلبوا الطعام من الله عَزَّ وَجلَّ.

ثم قال: «يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته»: كلكم عار البدن, إلا من كسوته: أي إلا من رزقته اللباس, ما يواري سوأته.

فقال: «فاستكسوني أكسكم»: أي اطلبوا مني هذه الكسوة أُعطيها إياكم.

ثم قال: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار»: أي تفعلون الخطايا, والخطايا هي الذنوب ونحو ذلك, بالليل والنهار: أي في الليل وفي النهار.

ثم قال: «وأنا أغفر الذنوب جميعًا»: يعني جميع الذنوب, أي أن الله يغفر جميع الذنوب, لأنه قال: أغفر الذنوب, ثم قال: جميعًا بلا استثناء.

«فاستغفروني أغفر لكم»: اطلبوا مني المغفرة أتجاوز عنكم وأستر عليكم وأتجاوز عنكم.

ثم قال: «إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني»: لن تستطيعوا أن تبلغوا ضُر الله عَزَّ وَجلَّ, لأن غني سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بذاته والخلق فقراء إليه, الخلق لا يمكن أن يلحقوا الله عَزَّ وَجلَّ بضُر, فهو الغني سُبْحَانَهُ وَتعَالَى والخلق فقراء إليه.

«ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»: أيضًا الخلق لن ينفعوا الله, لأن الله عَزَّ وَجلَّ هو الغني بذاته والخلق فقراء إليه, فهو لا يحتاج لأحد سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

«يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ منكم»: يعني لو أن الإنس بنو آدم جميعهم وجنهم, جميع الجن كانوا على أتقى قلب رجل واحد, يعني كلهم صلحاء, ما زاد في مُلك الله شيئًا, لأنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى هو الغني, لأن الخلق لن يزيدوا الله عَزَّ وَجلَّ بطاعتهم ولم ينقصوا الله عَزَّ وَجلَّ بمعصيتهم.

ثم قال:«يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ»: يعني في أرض مستوية واجتمع فيها الإنس والجن في صعيد واحد،«فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته»، كل مخلوق من هؤلاء سأل الله فأعطى الله عَزَّ وَجلَّ كل مخلوق مسألته, قال:«مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

فهذا لتقريب الفهم, الله عَزَّ وَجلَّ لا ينقص منه شيء لو أعطى جميع الخلق, لو أعطى جميع من في السماوات والأرض كلًا سؤله, ما نقص مما عند الله شيء, كما أنك إذا أدخلت المخيط في البحر فأخرجته فأخرج معه قطرات, هذه القطرات هل تنقص البحر؟ لا, كذلك الله عَزَّ وَجلَّ لو أعطى جميع الخلق ما نقص مما عنده شيء, لأنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى غنيٌ بذاته.

«يَا عِبَادِي! إنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ»: هذه التي أُحصيها لكم هي أعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

أحصيها لكم: أي أحيط لكم بها علمًا.

«ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا»: أي أوفيكم جزاء هذه الأعمال,«فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ»، لأن الله هو الذي وفقه لهذا العمل الصالح.

«وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إلَّا نَفْسَهُ»: يعني لا يُخرج اللوم إلا على نفسه, لأنه هو الذي تسبب في اقتراف هذه المعاصي وفعلها بنفسه, فإنما هو جزاء عمله.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن الله عَزَّ وَجلَّ حرم الظلم على نفسه, بمعنى أن الله عَزَّ وَجلَّ لا يمكن أن يظلم الخلق, الله عَزَّ وَجلَّ منع نفسه من الظلم, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾[يونس: ٤٤], وشيئًا نكرة تفيد العموم, فالله لا يظلم أحدٌ شيئًا.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ يحرم على نفسه ما شاء, ولا يحرم عليه الخلق ما أرادو سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فإذا شاء الله عَزَّ وَجلَّ حرم على نفسه ما يشاء, والخلق لا يحرمون على الله شيء, الله عَزَّ وَجلَّ حرَّم الظلم على نفسه تفضلًا منه وإنعامًا, وليس على الخلق أن يحرموا على الله عَزَّ وَجلَّ لأنه سبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

ومن الفوائد: أن الظلم بين المخلوقات محرم, لا يجوز لمخلوق أن يظلم الآخَر, ولذلك قال: «وجعلته بينكم محرمًا», ممنوع, فيأثم المخلوق إذا ظلم الآخَر.

قال: «فلا تظالموا»: أيضًا فيه نهي, والنهي هنا للتحريم, لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

ومن الفوائد: أن الخلق ضالون إلا من هدى الله, المخلوق ضال, سواء كان ضلال علمي أو ضلال عملي, فالإنسان ضال في علمه وعمله, إلا من هدى الله عَزَّ وَجلَّ, فإذا هدى الله عَزَّ وَجلَّ العبد فهو مهتدي.

ولذلك على الإنسان أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ الهداية بصدق, ولذلك يقول: «فاستهدوني»: السين والتاء تدل على الطلب, أي اطلبوا مني الهداية, «أهدكم».

ومن الفوائد: أن الخلق جياع إلا من أطعمه الله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك قال: «كلكم», وكل من صيغ العموم, تدل على العموم بمادتها, «كلكم جائع إلا من أطعمته, فاستطعموني أُطعمكم», فالإنسان يسأل الله عَزَّ وَجلَّ أن يرزقه وأن يُطعمه, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ هو الذي يرزق الخلق, قال: «فاستطعموني أطعمكم», والسين والتاء تدل على الطلب, فاطلبوا من الله أن يطعمكم.

ولذلك جاء عن بعض السلف أنه كان يسأل الله عَزَّ وَجلَّ حتى مِلح الطعام, يسأل الله ملح الطعام.

ومن الفوائد: أن كل الخلق عُراة إلا من كساه الله عَزَّ وَجلَّ ورزقه ما يستر به عورته, ولذلك قال: «كلكم», وكل كما تقدم من صيغ العموم, «كلكم عار إلا من كسوته», والكسوة هي ما يخفي به الإنسان سوأته, لأن الإنسان سوأته مكشوفة فيحتاج إلى أن يرزقه الله عَزَّ وَجلَّ ما يستر به هذه العورة.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ كسوة الباطن, وذلك أن اللباس نوعان: لباسٌ ظاهر يستر العورة.

ولباس باطن وهي التقوى, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف: ٢٦], فأنت تسأل الله عَزَّ وَجلَّ أن يرزقك التقوى, وأن يستر بدنك.

ومن الفوائد: أن الخلق يُخطئون, الإنس والجن قد يقع منهم أخطاء, ولذلك قال: «إنكم تخطئون بالليل والنهار», يعني في جميع الأوقات, لأن الخلق يأتي عليهم الليل والنهار, فيعصون بالليل والنهار.

وقد جاء في السنن بسند حسن أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كل بني آدم خطاء, وخير الخطائين التوابون», فالبشر, قد يقع منهم خطأ والله عَزَّ وَجلَّ يتوب على من تاب, ولذلك قال: «تخطئون بالليل والنهار».

ومن الفوائد: أن الإنسان يسأل الله عَزَّ وَجلَّ المغفرة مهما عظم ذنبه ومهما كبر فلا تستعظمه أمام مغفرة الله عَزَّ وَجلَّ, لأنه قال: «وأنا أغفر الذنوب جميعًا», فهنا فيها أل, وأل تدل على العموم, ثم أكد هذا العموم بجميعًا, وأنا أغفر الذنوب جميعًا.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٥٣].

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا أذنب فعليه أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ المغفرة, فلا يستمر على الذنب ويقول: الله عَزَّ وَجلَّ غفور رحيم, هذا خطأ, من الخطأ أن بعض الناس يستمر على الذنب ويقول: الله غفور رحيم, وهذا يقال له لا تنسى أيضًا أن الله عَزَّ وَجلَّ شديد العقاب.

بل إن بعض العلماء قال: إنه من سوء الظن أن يفعل الإنسان المعاصي ويستمر على الموبقات ويقول: سيُغفر لي, هذا من الغرور, بل على الإنسان إذا فعل معصية أن يبادر إلى التوبة ويبشر, لأن الله عَزَّ وَجلَّ يغفر الذنوب جميعًا.

ولذلك يقول: «فاستغفروني»: والسين والتاء تدل على الطلب, «أغفر لكم».

ومن الفوائد: أن الخلق لن يبلغوا ضُر الله عَزَّ وَجلَّ, والضُر هو الشيء الذي يصل إلى الشيء, ولله المثل الأعلى: إنسان ضرب آخر أو قطع يده, هذا يسمى ضرر, بخلاف الأذى, فالأذى قد يؤذي المخلوق الله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[الأحزاب: ٥٧], والأذى هو ما خفي ضرره وبعد, بحيث أنه لا يصل إلى الشيء.

مثال ذلك: إنسان أكل البصل وصلى إلى جانبك, هل تتأذى منه أو تتضرر؟ تتأذى, لا يأتيك ضرر ولكن يأتيك أذى, هذا يسمى أذى, ولله المثل الأعلى, ولذلك الخلق قد يؤذون الله عَزَّ وَجلَّ ولكن لا يضرونه.

ودليل الفرق بين الأذى والضرر: قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾[آل عمران: ١١١],فنفى الضرر وأثبت الأذى.

ومن الفوائد: أن الخلق لن يبلغوا نفع الله عَزَّ وَجلَّ, فالله عَزَّ وَجلَّ ما خلق المخلوقات ليتكاثر بهم من قلة سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ولايستنصر بهم من ضعف سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, بل خلقهم وهو غنيٌ عنهم, والغنى صفة ذاتية لله, لا يمكن أن تنفك عن الله أزلًا وأبدًا, والفقر صفة ذاتية لكل مخلوق, كل مخلوق فيه فقر, ذاتي لا تنفك عنه, بحيث أنه يحتاج إلى الله, والله عَزَّ وَجلَّ غنيٌ عنه, فلو كفر أهل الأرض جميعًا ما نقص من مُلك الله شيئًا.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: «لو كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا».

ولو أن أهل الأرض جميعًا آمنوا واتقوا الله ما زاد في مُلك الله شيئًا, فالله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى غنيٌ عنهم.

ومن الفوائد: سِعة عطاء الله وغناه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فلو أن المخلوقات من الإنس والجن قاموا في صعيد واحد, بمعنى أنهم قاموا في أرض مستوية واجتمعوا فيها, فسأل كل واحد شيئًا, قال هذا: اللّهم أعطني ولدًا, وقال الآخر: اللّهم أعطني مالًا, وقال الثالث كذا, كذا حتى سألوه كلهم, فالله أعطى جَلَّ وَعلا جميع هؤلاء ما نقص من ملك الله شيء, لا ينقص شيئًا أبدًا.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يحرص على عمله, لأنه قال: «إنما هي أعمالكم أحصيها لكم», فانظر هل العمل الذي تعمله يُرضي الله عَزَّ وَجلَّ؟ هل هو كثير ويُرضيك أن تراه إذا قَدِمت على الله؟ فيجب أن تحرص على عملك, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: «إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم»: أي أجمعها لكم, «ثم أُوفيكم إياها».

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا أنعم الله عَزَّ وَجلَّ بالطاعة ووُفِّق للعبادة فعليه أن يحمد الله, لأنه قال: «فمن وجد خيرًا فليحمد الله», الله عَزَّ وَجلَّ هو الذي وفقك للطاعة, ولولا أن الله عَزَّ وَجلَّ منَّ عليك لكنت من أضل الناس, ولكن الله عَزَّ وَجلَّ هداك, فعليك أن تحمد الله وتُثني عليه.

الفائدة الأخيرة: أن من وجد غير ذلك أي وجد عقابًا بسبب أعماله فلا يلوم إلا نفسه, لأنه هو سبب الوقوع في هذه المعاصي, وهو الذي اقترف هذه الذنوب, ولذلك قال: «فمن وجد غير ذلك»: يعني غير الجزاء الحسن, وجوزِي على أعماله السيئة فلا يلومن إلا نفسه, يعني لا يُظهر اللوم إلا على نفسه, وذلك أنه هو الذي عمل العمل السيء.

ما أحد عمل الأعمال وجعلها على ظهره, أنت الذي بنفسك عملت هذه الأعمال, فلُم نفسك, لا تلُم غيرك, فالإنسان يلوم نفسه ويحاسِب نفسه بنفسه, هو الذي عمل العمل ولم يعمله غيره ويضيفه إليه أبدًا, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: «فلا يلومن إلا نفسه».

الحَدِيث الخامس والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ», قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ»,رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن فقراء المهاجرين أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألوه, يريدون الأجر.

قال: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضًا: أيضًا رجوعًا على ما قبل, لأن الحَدِيث الذي قبله هو حديث أبي ذر, قال: عن أبي ذر أيضًا: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, هؤلاء هم المهاجرين كما جاء في رواية أخرى: أن فقراء المهاجرين أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ: يعني ذهب أهل الأموال بالأجور, الدثور جمع دثر وهو المال, بالأجور يعني بالحسنات الكثيرة.

قالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي: أي صلاتهم كصلاتنا, يأخذون من الصلاة كما نأخذ, قال: وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ: أي صيامهم كصيامنا, يأخذون من الصيام كما نأخذ, وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ: يعني يتصدقون بما زاد عن حاجتهم.

قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟»: أي قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله عَزَّ وَجلَّ جعل لكم ما تتصدقون به؟ ثم بيَّن ذلك, قال:

«إن بكل تسبيحة صدقة»: التسبيح أي تنزيه الله عَزَّ وَجلَّ, كقول: سبحان الله, هذه صدقة.

«وكل تكبيرة صدقة»: تكبير الله عَزَّ وَجلَّ صدقة, كقولك: الله أكبر, هذه صدقة.

«وكل تحميدة صدقة»: حمد الله عَزَّ وَجلَّ والثناء عليه, كقولك: الحمد لله, فهذه صدقة.

والحمد هو وصف المحمود بالكمال حبًا وتعظيمًا.

قال: «وكل تهليلة صدقة»: التهليل صدقة, كقول الإنسان: لَا إِلَه إِلَّا الله, هذه صدقة.

«وأمرٌ بالمعروف صدقة»: أيضًا الأمر بالمعروف صدقة, والأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء, هذا هو الأمر.

والمعروف: كل ما أمر الله عَزَّ وَجلَّ ورسوله به فهو معروف, أو يقال: هو كل ما عُرف حُسنه في الشرع فهو معروف.

قال: «ونهيٍ عن منكرٍ صدقة»: والنهي هو طلب الكف على وجه الاستعلاء.

والمنكر هو كل ما نهى الله عَزَّ وَجلَّ ورسوله عنه, أو يقال: هو كل ما هو قبيحٌ فعله في الدين, يقبح أن يفعله الإنسان.

قال: «وفي بضع أحدكم صدقته»: البضع هو الفرج, بضع أحدكم صدقة: أي أن الإنسان إذا أتى أهله يريد العفاف ويرد أن يعف أهله ويتمتع بما أباح الله عَزَّ وَجلَّ له فإن هذه صدقة.

قالوا: يا رسول الله, استشكل الصحابة رضي الله عنهم, كيف الإنسان يأتي شهوته مع زوجته ويكون له فيها أجر, قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته, ما يشتهيه لنفسه وتميل إليه نفسه ويكون له فيها أجر؟ يعني الصحابة رضي الله عنهم مصدقين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ولكن استشكلوا كيف يكون الإنسان يأتي شهوته مع أهله ويكون له أجر؟

قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام؟»: يعني لو وضع شهوته في الحرام, «أكان عليه وزر؟», الوزر أي الذنب, هل يكون إذا وضع هذه الشهوة في الحرام يكون عليه وزر؟ قالوا: نعم, قال: «فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»: يعني إذا جامع زوجته يريد العفاف ويريد أن يعف زوجته فإن له بها أجرًا, وهذا قياس المخالفة, قياس العكس كما يقول العلماء.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: حِرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير, ولذلك الصحابة أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريدون أن يدلهم على عمل يكونون به مع باقي صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, يعني يلحقوا بالمهاجرين, ولذلك قالوا: ذهب أهل الدثور: أي أهل الأموال.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا رزقه الله عَزَّ وَجلَّ بمال وأنفقه في مرضاة الله فإن له فضل, ولذلك يقول الصحابة: ذهب أهل الدثور بالأجور, لأنهم يتصدقون وينفقون ويزكون, فذهبوا بالأجر, فإذا رزق الله عَزَّ وَجلَّ الإنسان مالًا فأنفقه في الخير فإن هذا من أسباب الرِفعة, يرفعه الله عَزَّ وَجلَّ بما أنفقه في سبيل الله.

وذلك أن المال الذي في يد الإنسان هو من الله عَزَّ وَجلَّ, وقد جاء في صحيح مسلم: أن العبد يوم القيامة يُسأل: يُقال له: فيم فعلت في مال الله الذي آتاك؟ فالمال مال الله عَزَّ وَجلَّ, الذي بيدك هو مال الله, أنت تملكه ملك مقيد, ولذلك الإنسان لا يجوز له أن يحرق المال لأنه لا يملكه ملك مطلق, فالملك مُلك الله عَزَّ وَجلَّ, أنت ومالك مُلك لله, فإذا أنفقت فهذا من فضل الله أن يزيدك الله بهذا المال.

ومن الفوائد: أن الصحابة كانوا أصحاب صلاة, ولذلك يقولون: يصلون كما نصلي, فدل على أنهم يُصلون, يأخذون من الليل ويُصلون الصلوات الخمس ويصلون السنن الرواتب وأكثر من ذلك, لذلك لم يقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوموا الليل أو صلوا الضحى, فدل على أنهم يأخذون من الصلاة الكثير.

ومن الفوائد: أن الصحابة رضي الله عنهم أيضًا يُكثرون من الصيام, ولذلك يقولون: يصومون كما نصوم, ما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صوموا أكثر منهم, فدل على أنهم يُكثرون من الصيام.

وقد جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه كان يصوم يومًا ويُفطر يومًا, حتى أنه لما كبر في السن كان يصوم خمسة عشر يومًا, ويفطر خمسة عشر يومًا, فدل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصومون.

ومن الفوائد: أن فضل الله عَزَّ وَجلَّ يؤتيه من يشاء, ولذلك إذا أنعم الله عَزَّ وَجلَّ على عبد بمال فهذا فضل من الله, فلا تحسد هذا العبد على ما آتاه الله عَزَّ وَجلَّ فإنه فضلٌ من الله, ولذلك قال: ويتصدقون بفضول أموالهم, الله عَزَّ وَجلَّ تفضل عليهم وأعطاهم مالًا وزاد عن حاجتهم وكانوا يتصدقون به, فإذا تفضل الله عَزَّ وَجلَّ على عبد وأعطاه مالًا فلا تحسد هذا العبد فإنه نعمة من الله على من أنعم به عليه, ولكن اسأل الله من فضله, اسأل الله أن يؤتيك مثل ما آتى فلان, فالله عَزَّ وَجلَّ الذي أعطى فلانًا قادر على أن يعطيك, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[النساء: ٣٢], فلا تتمنين ما في يد الغير, ولكن اسأل الله عَزَّ وَجلَّ من فضله.

ومن الفوائد: أن باب الصدقة واسع, واعلم أن الصدقة تنقسم إلى قسمين:

الأول: صدقة خاصة, وهو المراد إذا أُطلق الصدقة, وهي التصدق بالمال, ويُطلق أيضًا على الزكاة, فالزكاة يُطلق عليها اسم الصدقة.

الثاني: المعنى العام للصدقة, وهو يدخل فيه أعمالًا كثيرة من الأعمال الصالحة, منها التبسم في وجه الأخ المسلم, ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة».

وأيضًا يدخل فيه التسبيح والتهليل والقول الذي يُرضي الله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك قال: «وكل تسبيحة صدقة, وكل تحميدة صدقة».

وأيضًا يدخل فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فهذا كله صدقات بالمعنى العام.

ومن الفوائد: فضل ذكر الله عَزَّ وَجلَّ, وذكر الله عَزَّ وَجلَّ من أفضل الأعمال وأيسرها.

والعجيب أن كثيرًا من الناس إلا من رحم الله عَزَّ وَجلَّ يفرِّط فيه مع أنه يسير, وله فوائد كثيرة:

منها: رِفعة الدرجات.

ومنها: أنه يُرضي الله عَزَّ وَجلَّ.

ومنها: أنه يطرد الشيطان, فالشيطان بعيد عن الذي يُكثر من ذِكر الله عَزَّ وَجلَّ.

ومنها: أنه ينشرح صدر الإنسان, يشعر بالطمأنينة.

ومنها: أنه سبب منجي من النفاق, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ لما ذكر المنافقين قال: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ١٤٢], فالذاكر لله كثيرًا لن يكون من المنافقين.

ومنها: أنه يُذهب الهم والحَزن.

ومنها: أنه سبب لمحبة الله للعبد.

ومنها: أنه سبب لأن يستجب الله عَزَّ وَجلَّ للعبد وقت الشدة.

والدليل على ذلك: قصة يونس عليه السلام لما وقع في بطن الحوت, فقال الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى:﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾[الصافات: ١٤٣], وهنا قد يكون المراد التسبيح أي الذكر أو الصلاة

ففوائد الذكر كثيرة, والأذكار أنواع: منها: ذكر مقيد وذكر مطلق.

الذكر المطلق: هو قول: سبحان الله والحمد لله, ولا إله إلا الله والله أكبر, ولا حول ولا قوة إلا بالله, فهو مطلق, في كل زمان ومكان.

الثاني: ذكر مقيد, مثل أذكار الصباح والمساء, مثل أذكار النوم, مثل أذكار دخول المسجد والخروج, مثل أذكار أدبار الصلوات, فهذه مقيدة بزمان أو مكان أو نحو ذلك,

ولذلك الإنسان إذا ذكر الله عَزَّ وَجلَّ وحافظ على الأذكار المقيدة والمطلقة فإنه يُكتب من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات, وقد أعد الله عَزَّ وَجلَّ لهم المغفرة والأجر العظيم, فيُكثر الإنسان من ذكر الله.

ولذلك لو قال الإنسان: سبحان الله مائة مرة كُتب له ألف حسنة, وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أصحابه فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة أو يُحط عنه ألف سيئة؟», قالوا: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: «يسبح الله مائة, فيكتب له ألف حسنة, أو يُحط عنه ألف خطيئة».

وأيضًا جاء في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لأن أقول: سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر, أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس», والشمس تطلع على جميع الأرض.

قيل إنها أحب إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن تكون له الأرض جميعًا فيتصدق بها, وقيل أحب إليه من الدنيا وما فيها, ولا شك أن هذا الذكر فيه فضل عظيم.

وأيضًا: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال: لَا إِلَه إِلَّا الله وحده لا شريك له, له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في اليوم مائة مرة: كتبت له مائة حسنة, وحُطت عنه مائة خطيئة, وكان كمن أعتق عشر رقاب, وكانت له حرزًا من الشيطان حتى يمسي», فهذا يدلك على فضل الذكر.

وأيضًا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده, غُرست له نخلة في الجنة».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلمتان خفيفتان على اللسان, ثقيلتان في الميزان, حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

فالذكر له فضل عظيم, وقد جاء أن موسى عليه السلام سأل الله عَزَّ وَجلَّ دعاءً وذكرًا يقوله, فقال له: قل: لَا إِلَه إِلَّا الله, فالذكر له فضل, والإنسان عليه أن يُكثر منه.

ومن الفوائد: أن الأمر بالمعروف له فضل, ولذلك مَن أمر بمعروف أو نهي عن منكر فإنه له فضلًا, بل إنه إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فإنه يكون داخلًا في عموم الفضل الذي ذكره الله عَزَّ وَجلَّ في هذه الأمة, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠], انظر للأسباب: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: ١١٠], فدل على أن الإنسان إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وآمن بالله فإنه يكون من أفضل الناس, خير أمة أُخرجت للناس, من أفضل الأمم.

ولذلك الإنسان إذا كان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر لا يدخل في هذه الآية.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا جامع أهله فإنه يُؤجر, ولكن لا بد من نية, كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما الأعمال بالنيات», وقال عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ: «وفي بضع أحدكم صدقة»: يعني في حاجة أحدكم صدقة أو في فرجه صدقة, يعني إذا جامع زوجته واحتسب الأجر فإنه تُكتب له حسنات, هذه من رحمة الله عَزَّ وَجلَّ: إنسان يقضي شهوته ويؤجر.

ولكن يقول العلماء: أن الإنسان يؤجر إذا نوى النية الحسنة, بمعنى أنه ينوي أن يُعف نفسه عن الحرام, فإذا أراد أن يأتي أهله حتى يبتعد عن الحرام فإنه يؤجَر.

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحَدِيث: «إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأتِ أهله, فإن معها مثل الذي معها», إذا أتى زوجته فإن هذه امرأة مثل هذه امرأة, فإن في هذا أسباب أن ينكسر ما في قلبه.

وأيضًا أن ينوي إعفاف زوجته, لأن المرأة تريد كما يريد الرجل, جعل الله عَزَّ وَجلَّ فيها شهوة كما أن الرجل فيه شهوة, فإذا أراد أن يكسر ما في زوجته فهذا طيب, ويؤجر عليه.

لذلك الإنسان عليه أن يحتسب, وقد قال العلماء: أن عبادات أهل الغفلة عادات, وعادات أهل العلم عبادات, بمعنى أن يجعل العادة عبادة.

كيف تكون العادة عبادة؟ مثلًا تنام حتى تقوم لصلاة الفجر فتؤجر, مثلًا تأكل حتى تتقوى على طاعة الله فتؤجر, هذا فضل, لذلك يأت الإنسان ما تشتهيه نفسه ويأخذ أجرًا, وهذا من فضل الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا فعل الحرام وقضى شهوته في الحرام فإنه يؤزر, لأنه قال: «لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟», فإذا وضع الإنسان شهوته في الحرام فإنه يأثم.

والحرام يختلف: قد يكون من الموبقات, فعلى الإنسان أن يحذر ويكون على حذر, لأن هذه الشهوة إذا ما غلب عقل الإنسان على شهوته فإنه قد يهلك بسبب هذه الشهوة, فالرجل العاقل هو الذي يضبط عقله ويقدمه على شهوته, بحيث إذا طرأت عليه الشهوة فيحكم العقل.

انظر قبل أن تُقدم على المعصية هل هي سبب في نجاتك من عذاب الله أو سبب في هلاكك؟ قد يغيب عقل بعض الناس نسأل الله العافية فيقع في الحرام بسبب هذه الشهوة.

ومن الفوائد: الدليل على قياس العكس, هناك قياس يسمى القياس العكسي, وهو المخالف للأمر: لأن الإنسان لو فعل الحرام فإنه يؤزر, وإذا جعل هذه الشهوة في حلال فإنه يؤجر.

الحَدِيث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن كثيرًا من أنواع الصدقات.

قال: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُل سلامى من الناس عليه صدقة»: السُلامى هي المِفصل والعضو في الإنسان, فالإنسان يتركب من ثلاث مائة وستون مفصلًا كما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

قوله: «عليه صدقة»: أي أنه يتصدق عن هذا العضو, فإنه إذا أصبح يتصدق عن هذا العضو شكرًا لله عَزَّ وَجلَّ على نِعَمِهِ.

قال: «كل يوم تطلع فيه الشمس»: يعني كل يوم يتصدق عن هذه المفاصل الثلاث مائة والستون, بحيث أنه يتصدق عنها, يعني كل يوم.

قال: «تعدل بين اثنين صدقة»: تعدل يعني تساوي بين الاثنين, يعني تجد اثنين متخاصمين فتُصلح بينهما, هذه صدقة, إذا وجدت رجلان متخاصمان فأصلحت بينهما فهذه صدقة, وأيضًا إذا وجدتِ امرأتان متخاصمتان فأصلحتِ بينهن فإن هذه صدقة.

قال: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها, أو ترفع له عليها متاعه صدقة»: أيضًا تعين الرجل بحيث أنك تساعده في دابته, بحيث تقربها منه أو نحو ذلك أو تنيخ البعير, فتحمله عليها: يعني تحمله على هذه الناقة مثلًا, ويدخل في ذلك السيارة, إذا وجدت إنسانًا مثلًا أعرج أو ضعيف المشي, فساعدته حتى صعد السيارة, فهذه صدقة.

قال: «أو ترفع له عليها متاعه صدقة»: أيضًا ترفع للرجل متاعه, وجدت رجلًا متاعه أسفل وهو أعلى فوق البعير مثلًا, ثم رفعت له المتاع: فهذه صدقة.

المتاع: ما يتمتع به الإنسان, وأيضًا يدخل في ذلك السيارة: وجدت رجلًا فوقفت وساعدته في حمل بعض الأشياء الثقيلة: فهذه صدقة.

قال: «والكلمة الطيبة صدقة»: أي الكلمة الحسنة, إحسان الكلام صدقة.

«وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة»: يعني كل خطوة.

والخُطى هي ما بين القدمين, هذه هي الخُطى, كل خطوة من هذه صدقة, يعني تجزئ عن صدقة.

«وتميط الأذى عن الطريق صدقة»: الإماطة هي الإزالة بحيث أنك تزيل الأذى, والأذى هو ما يتأذى به المارة, كالأشواك والحديد الذي يؤذي المارة, أو ما أشبه ذلك, فهذه إزالتها عن الطريق صدقة.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن كل سُلامى من الناس عليه صدقة, يعني كل مِفصل من الناس عليه صدقة يتصدق عنه, فينبغي للإنسان أن يتصدق عن هذه الأعضاء, لأن الله عَزَّ وَجلَّ أمر بالشُكر, الله عَزَّ وَجلَّ أنعم على الإنسان نعمًا دينية, ونعمًا بدنية ونعمًا دنيوية, فيشكر الله عَزَّ وَجلَّ على النِعم, فإذا أدى هذه العبادات وأتى بهذه الصدقات فقد شكر نِعمة هذه المفاصل.

الله عَزَّ وَجلَّ خلق للإنسان مفاصل, وجعلها تتحرك, ويجلس ويقوم, فيأخذ ويُعطي ويرفع الشيء إلى فِيه, , فهذه المفاصل ينبغي للإنسان أن يشكر الله عَزَّ وَجلَّ عليها.

ومن الفوائد: أن الشمس تطلع كل يوم, كل يوم تطلع فيه الشمس, وذلك أن الشمس تغرب كل يوم وتطلع كل يوم.

وقد جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي ذر: «أتدري أين تذهب الشمس؟», قال: الله ورسوله أعلم, فقال: «إنها تأتي حتى تسجد تحت العرش, فيأذن الله عَزَّ وَجلَّ لها أن تُشرق من المشرق», يعني من مطلعها, «حتى إذا كان يوم القيامة لم يأذن الله عَزَّ وَجلَّ, لها ثم يقول لها: عودي من حيث غربت», وهذا الحَدِيث في الصحيح.

ولذلك الشمس اليوم تطلع كل يوم, فينبغي للإنسان أن يغتنم هذه الليالي والأيام, لأن هذه الأيام والليالي هي التي تكون فيها الأعمال, وكل يوم يمضي فإن عمر الإنسان يمضي, حتى يلاقِي ربه عَزَّ وَجلَّ, ويخرج من هذه الدنيا.

ومن الفوائد: فضل الإصلاح بين الناس, وهذا من فضائل الأعمال أن يُصلح الإنسان بين متخاصمين, فإذا وجدت أُناسًا جماعة أو أفرادًا بينهم خصام فاسعى مخلصًا لله أن تُصلح بينهم فإن هذا من أفضل الأعمال.

لذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٤]: مَن يفعل ذلك يُصلح بين الناس ويسعى أن يُصلح بين اثنين أو جماعة أو رجل وامرأة أو ابن وأبيه أو قريب وقريبه, فيكون هو سببًا في الإصلاح بينهم فإن هذا فيه خيرٌ عظيم, ولذلك الإنسان يحرص على هذا, لأن هذا صدقة.

ومن الفوائد: فضل إعانة الأخ المسلم, فإذا وجدت أخًا مسلمًا واحتاج إلى مساعدة فأعنه, لأن هذه صدقة, حتى أن الإنسان إذا أخبر الإنسان بمكان الطريق فإن هذه حسنة إذا احتسب الأجر:في ذلك إذا سُئلت مثلًا, قيل لك: أين طريق كذا وكذا؟ فقلت: هذا هو الطريق, فهذا حسن فعله.

ولذلك يقول: **«وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها, أو ترفع له متاعه صدقة»**.

ومن الفوائد: فضل الكلام الطيب لأنه صدقة.

واعلم أن الكلام أربعة أقسام:

الأول: حسن لذاته, كالتسبيح والتهليل وقراءة القُرآن, هذا كلام حسن لذاته, يعني لو أشغل الإنسان جميع الوقت بهذا الكلام فهذا شيء طيب.

الثاني: كلام حسن بما يؤول إليه وما يُراد منه, كأن تلاطف ضيفك, تتكلم معه كلام مباح, ولكن تريد إدخال السرور عليه , أو ملاطفة الإنسان مع أمه أو أبيه, فيُدخل السرور

عليهم فإذا وجد عندهم شيء من الهم والغم, فتُدخل السرور عليهم: فهذا حسن, فهذا الكلام مباح ولكن ما يؤول إليه حسن حسب النية.

الثالث: الكلام المباح, فهذا لا يُكثر الإنسان منه, وتركه أولى, لأن الإنسان إذا أكثر من الكلام كثر سقطه, كما قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن الإنسان إذا أكثر كلامه كثر سقطه, ومن كثر سقطه فالنار أولى به.

الإنسان إذا أكثر من الكلام فإنه قد يقع في المحرم, فيقلل من الكلام المباح, والكلام المباح كقوله: الليلة ليلة باردة, أواليوم علينا مطر, وهكذا كلام مباح, ولكن لا يُكثر منه الإنسان.

الرابع: الكلام المحرم كالغيبة والنميمة, وهذا سيء في ذاته, وهو محرم, هذا يجب على المسلم أن يجتنبه ويحذر من كل كلمة محرمة.

وقد جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالًا, فيهوي بها أبعد ما بين المشرق والمغرب في النار**», كلمة واحدة لا يُلقي لها بالًا, يعني لا تهمه, سهلة عنده, فيسقط بسببها نسأل الله العافية سبعين خريفًا في النار, فلا يتساهل الإنسان في الكلام.

ومن الفوائد: فضل الخطى إلى المسجد, بحيث أن الإنسان يمشي إلى المسجد, فاحتسب الأجر في الذهاب والرجوع, وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الرجل إذا توضأ وأحسن الوضوء, ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة: لن يخطو خطوة إلا رُفعت له بها درجة, وحُط عنه بها خطيئة, وهذا من فضل الله .

وأيضًا كان رجل في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعيد عن المسجد, فقالوا: يا فلان ألا تشتري راحلة أو شيء تركب عليه من الحر والبرد؟ قال: إني أريد أن يكتب الله عَزَّ وَجلَّ لي ذهابي ورجوعي, فأُخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك, فقال: «**قد جعل الله ذلك له كله**», فأنت احتسب الأجر في الذهاب إلى المساجد.

وقد جاء في السنن أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بشر المشائين في الظُلَم بالنور التام يوم القيامة», فهذا من رحمة الله أن جعل الذهاب إلى المسجد حسنة.

وأيضًا الرجوع, لأن الرجوع متمم, الإنسان إذا ذهب إلى طاعة ثم رجع من هذه الطاعة فإنه يؤجر على الذهاب وعلى الرجوع, وقد جاء في الحَدِيث أن القفلة يعني الرجوع من الغزو كغزوه, يعني كأنه ذاهب يجاهد في سبيل الله ثم رجع يؤجر على الرجوع, هذا من فضل الله عَزَّ وَجلَّ, فيحتسب الإنسان الخُطى في الذهاب إلى المساجد.

ومن الفوائد: فضل إماطة الأذى عن الطريق, يعني تُزيل ما يؤذي المسلمين في الطريق, إذا وجدت حديدة أو حجر أو غير ذلك فإنك تزيله وتحتسب الأجر.

وقد جاء ففي صحيح مسلم أن رجلًا وجد غُصن شوك في الطريق, فقال: لأُزيلن هذا عن الطريق لا يؤذي المسلمين, فشكر الله له, فأدخله الجنة, بسبب هذا الذي أزاله عن الطريق.

لذلك المسلم يحتسب الأجر في أعماله اليومية.

ومن الفوائد: أن الإنسان ينبغي له أن يتصدق عن أعضائه, والأعضاء تقدم أنها ثلاث مائة وستون مفصلًا يعني عُضو, فيتحتم على الإنسان وينبغي أن يتصدق عن هذه الأعضاء, وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمل يقضي عن هذه الصدقات وهو يسير, فقد جاء في الحَدِيث عن أبي ذر: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى».

يعني إذا صلى ركعتين من الضحى فإنها تكفي عن شكر هذه الأعضاء, هذا فضل صلاة الضحى, فصلاة الضحى إذا صلاها الإنسان فإنه شكر لهذه الأعضاء.

ولذلك لأن نِعم الله عَزَّ وَجلَّ على العبد كثيرة, فعلى الإنسان يحرص على شُكر نعم الله.

الحَدِيث السابع والعشرون

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك، وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ», رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ؟», قُلْت: نَعَمْ, فقَالَ: «استفت قلبك، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاك النَّاسُ وَأَفْتَوْك», حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدَي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالدَّارِمِيّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن البر, وما هو البر.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن النواس بن سمعان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «البر»: البر هو كلمة جامعة للخير, ومنه البَر الذي يخرج إليه الناس لِسعته, ولذلك قال: «البر حسن الخلق»: وحسن الخُلق أي الأخلاق الحسنة, والأخلاق الحسنة تكون مع الله عَزَّ وَجلَّ ومع خلقه.

قال: «والإثم»: الإثم هو الذنب, قال: «ما حاك في صدرك»: يعني تحرك في صدرك ولم يطمئن القلب له.

قال: «وكرهت أن يطلع عليه الناس»: يعني كرهت أن يرى الناس هذا الشيء منكَ.

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْ الْبِرِّ؟», أتى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتيت تسأل عن البر؟ يعني عن الخير؟ قُلْت: نَعَمْ, فقَالَ: «استفت قلبك»: يعني اطلب الفتوى من قلبك, بمعنى انظر ماذا يطمئن إليه القلب؟

ثم قال: «البر ما اطمأنت إليه النفس»: يعني ارتاحت إليه النفس, والاطمئنان هو الهدوء إلى الشيء والراحة له.

«ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب»: أيضًا اطمأن إليه القلب.

«والإثم ما حاك في نفسك»: أي تحرك في قلبك وتردد, «وتردد في صدرك, وإن أفتاك الناس وأفتوك»: يعني أن الناس أفتوك بشيء فلم ترتاح له.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: فضل حُسن الخُلق, ولذلك لما بيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البر قال: هو حُسن الخلق.

وحُسن الخُلق كلمة جامعة للخير, ولذلك حُسن الخُلق يكون مع الله عَزَّ وَجلَّ ومع خلقه.

حُسن الخلق مع الله عَزَّ وَجلَّ بأن يعبد الإنسان ربه عَزَّ وَجلَّ بصدر منشرح, وأن يصبر على قضاء الله عَزَّ وَجلَّ وقدره, وألا يعترض على ما قدَّر الله عَزَّ وَجلَّ.

وأما حُسن الخُلق مع الناس فهو كما قال بعض أهل العلم: بذل الندى, وكف الأذى, وطلاقة الوجه.

بذل الندى: أن يبذل المعروف كالمال ونحو ذلك.

وكف الأذى: كف الأذى عن المسلمين سواءً كان أذى قولي أو فِعلي.

وطلاقة الوجه: يعني يتبسم في وجه المسلم, لذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة».

ومن الفوائد: أن الإثم قد يُعرف في القلب, قد يعرف الإنسان الإثم بقلبه, وذلك إذا لم يطمئن القلب للشيء, فإذا تحرك في قلبك شيء وكنت صادقًا في طلب الحق فتوقف فيه, ولذلك قال: «والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس», فإذا حاك في قلب الإنسان شيء فإنه يتوقف فيه حتى ينظر فيه هل هو حلال أو حرام.

ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والإثم ما حاك في صدرك», وقد جاء في الحَدِيث أن الصدق طمأنينة والكذب ريبة, ولذلك إذا حاك في قلب المسلم الصادق الطالب للحق الشيء فإنه قد يكون إثمًا فيتوقف فيه قبل أن يُقدِم عليه.

ولا يَرِدُ على هذا ما يفعل بعض الفُساق: فقد يفرح بالمعصية ولا يحاك في نفسه شيء, لأن المقصود بهذا الحَدِيث هو الصادق في طلب الحق, ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوابصة: «جئت تسأل عن البر», وابصة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يسأل عن البر, فإذا كان الإنسان طالبًا للحق وحاك في شيء فليتوقف.

أما إن كان الإنسان عنده شيء من أنواع المعاصي ومتبع للهوى فإنه قد يُقدم على الشيء ويكون إثمًا ولا يتردد في صدره.

ومن الفوائد: أن الإثم مكروه, لأن المؤمن الصادق يكره الإثم, ولذلك قال: «وكرهت أن يطلع عليه الناس», فالإثم مكروه للمسلم الصادق.

ومن الفوائد: أن الإنسان يكره أن يطلع الناس عليه وهو على معصية, فقد يقع في المعصية ويكره أن يراه الناس عليها, ولذلك قال: «وكرهت أن يطلع عليه الناس».

أما من لا يكره ذلك نسأل الله العافية ليس بخير, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون», فالمجاهر بالمعصية هذا ليس بمعافى.

ومن المجاهر بالمعصية أن يفعل الإنسان المعصية والناس ينظرون, أو يفعل المعصية ثم يُصبح فيُخبر الناس, فيقول: أنا عاصي وفعلت كذا وكذا, فهذا ليس بخير, نسأل الله العافية.

أما المسلم الصادق قد يقع في المعصية ولكن يكره أن ينظر الناس إليه, فهذا سرعان ما يتوب ويرجع إلى الله عَزَّ وَجلَّ لأنه لا يداوم على هذه المعصية.

ومن الفوائد : فضل الصحابي وابصة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه أتى يسأل عن البر, وهكذا المسلم عليه أن يسأل عن الخير, ولذلك وابصة أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل عن البر, يريد ما يدخل الجنة.

ومن الفوائد: عَلَمٌ من أعلام النبوة, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر وابصة أنه جاء يسأل عن البر قبل أن يقول يا رسول الله إني أتيت أسأل عن البر, فأخبره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما جاء يسأل عنه.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا أراد أن يفعل الشيء وهو فعليه أن يستفتي قلبه قبل أن يُقدِم, ولذلك المعصية يضطرب فيها قلب المؤمن الصادق, قال: «**استفت قلبك**», أي اطلب الفتوى من قلبك.

ومن الفوائد: أن البر طمأنينة, والطاعة طمأنينة, وما يُقرِّب من الله طمأنينة, وذكر الله طمأنينة, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الرعد: ٢٨], فذكر الله وما والاه طمأنينة.

ومن الفوائد: أن الإنسان قد يُفتى بفتوى وتكون غير صحيحة, ولذلك قال: «**وإن أفتاك الناس وأفتوك**», فقد يُفتى الإنسان بشيء يكون غير صحيح فلا يرتاح قلب الإنسان له, فعليه أن يتوقف, ولكن لا يَرِدُ على هذا الموسوس, لأن الموسوس قد يضطرب قلبه من كل شيء, حتى لو كان مباح فيضطرب قلبه منه.

يعني إذا أراد أن يفعل شيئًا اضطرب قلبه حتى لو كان مباحًا, فلا يرد على هذا الموسوس, ولكن إذا كان الإنسان أُفتي بفتوى, وكانت هذه الفتوى اضطرب قلبه فيها, وكان صادقا في طلب الحق فعليه أن يتوقف فيها, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وإن أفتاك الناس وأفتوك**», أفتوك مرة بعد مرة, فلذلك على الإنسان أن يتوقف.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة, لكن نكتفي بما قيل.

الحَدِيث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَة رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ:وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ», رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصنا يا رسول الله, فأوصاهم وصية ذرفت منها العيون وخافت منها القلوب.

قال: عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَة رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ:وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً: الوعظ: هو التذكير بما يرقق القلوب, تخويفًا أو ترهيبًا.

قال: وعظنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظة, وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ: أي خافت واضطربت خوفًا من هذا القول.

قال: وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ: أي سالت الدموع من العيون.

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ: أي هذه الموعظة التي وعظتنا إياها يا رسول الله كأنها موعظة مودع, يودِّع مَن هو عنده, فَأَوْصِنَا: أي اعهد إلينا يا رسول الله بوصية.

قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»: هذا أول وصية أوصى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تقوى الله, قال: «أوصيكم بتقوى الله»: وتقوى الله عَزَّ وَجلَّ: أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وقاية, بفعل أوامره واجتناب نواهيه, هذه هي التقوى.

لأن التقوى هي من وقي, بمعنى أن الإنسان يجعل بينه وبين الشيء وقاية, فهذه هي التقوى, ولذلك إذا فعل الإنسان أمر الله عَزَّ وَجلَّ وانتهى عن نهيه فقد اتقى الله عَزَّ وَجلَّ.

قال: «والسمع والطاعة»: , أي الطاعة لولاة أمور المسلمين.

قال عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام: «وإن تأمر عليكم عبد»: أي وإن أصبح عبد, والعبد هو المملوك أصبح أميرًا عليكم, فيجب أن تسمعوا وتطيعوا له.

قال: «فإنه من يعِش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا»: قوله: مَن يعش يعني من يطول به الزمان, فسيرى اختلافًا كثيرًا: اختلاف في الأقوال والأعمال ونحو ذلك, اختلافًا كثيرًا وليس قليلًا.

ثم قال: «فعليكم بسنتي»: أي عليكم بطريقتي وهديي.

«وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»: أيضًا عليكم بطريقة الخلفاء الراشدين المهديين, والخلفاء الراشدون هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي, وراشدون لأنهم عرفوا الحق وعملوا به, فهم راشدون.

والمهديين: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ هداهم ووفقهم لإصابة الحق.

قال: «عضوا عليها بالنواجذ»: أي تمسكوا بها, والنواجذ هي آخر الأسنان, فالمعنى أنكم تمسكوا بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين, كما يعض الإنسان على الشيء.

قال: «وإياكم»: أي احذروا.

«محدثات الأمور»: أي البدع, فحذَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البدعة, «فإن كل بدعة ضلالة»: والبدعة هي الا ختراع في الدين, ما لم يشرعه الله عَزَّ وَجلَّ, فإن كل بدعة ضلالة, يعني ضلال, والإنسان إذا عمل البدع تاه عن الطريق الموصل إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

: فجميع البدع ضلال.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: احتياج الإنسان للوعظ: أي أن الإنسان يحتاج إلى الوعظ والتذكير, ولذلك التذكير والوعظ ما ينبغي أن يطلبه الإنسان, والنبي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم كان يتخول أصحابه عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم بالموعظة, فالموعظة سبب لحياة القلب, لأن الإنسان إذا تذكر المصير وتذكر على ما هو مُقدِمٌ عليه انتبه.

ولذلك ابن مسعود رَضِي اللهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخولنا بالموعظة.

ومن الفوائد: فضل الصحابة رضي الله عنهم ورقة قلوبهم, ولذلك خافت قلوبهم, والقلب إذا كان حيًا فإنه يخاف, إذا كان القلب حيًا وعنده علم فإنه يخاف, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨], يعني العلماء العالمين بالله عَزَّ وَجلَّ هم الذين يخافون من الله حق خوفه, فلذلك إذا خاف القلب فهذا دليل على حياة القلب.

وأيضًا دمع العيون بحيث أن الإنسان يبكي من خشية الله عَزَّ وَجلَّ, فهذا دليل على فضل الصحابة رضي الله عنهم فهم كانوا أرقاء القلوب, ولذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا وعظ, الصحابة عند قبر كان كأن الطير على رؤوسهم, فيخشون الله عَزَّ وَجلَّ فذرفت العيون.

ومن الفوائد: أن القلب إذا خاف ذرفت العين, فالإنسان إذا خاف قلبه فإنه يتبعه دمع العين.

والبكاء من خشية الله هو من أفضل الأعمال, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله, وذكر منهم: «ورجلًا ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»: بكى من خشية الله, هذا من أسباب أن ينجو الإنسان من عذاب الله.

وقد جاء في الحَدِيث أيضًا: «عينان لا تمسهما النار: عينٌ بكت من خشية الله, وعينٌ سهرت تحرس في سبيل الله», فالبكاء من خشية الله له فضل, ولذلك الصحابة كانوا يبكون من خشية الله رضي الله عنهم.

ومن الفوائد: أن هذه الموعظة يعني موعظة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظةٌ بليغة, والبلوغ هو أن يبلغ الكلام إلى القلب, فيخاف الإنسان, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعظهم موعظة بليغة, وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خطب يوم الجمعة اشتد غضبه, واحمرت عيناه وعلا صوته, حتى كأنه يحذِّر قومًا, فيشتد غضبه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام.

لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمه ليس كعلم باقي أمته, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لو تعلمون ما أعلم: لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا», وقال: «لو علمتم ما أعلم لخرجتم إلى الصعداء تجأرون إلى الله تعالى», وقال: «لو تعلمون ما أعلم ما تلذذتم بالنساء على الفُرش», فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس علمه كعلم باقي أمته عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام, ولذلك عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام وعظهم.

ومن الفوائد: فضل تقوى الله ولزوم تقوى الله عَزَّ وَجلَّ, وأنه ينبغي أن يتمسك بها الإنسان, ولذلك التقوى هي وصية الله عَزَّ وَجلَّ للأولين والآخرين .

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء: ١٣١], فتقوى الله هي أعظم وصية.

والتقوى: هي أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وقيل: أن التقوى هي ترك الذنوب, ولذلك يقول القائل:

خِل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

***

يقول: احذر من المعاصي, لا تقرب صغيرة ولا كبيرة, الجبل أصله من الحصى, والمراد أن الذنوب قد فتتراكم على الإنسان حتى يهلك.

وقيل: أن التقوى هي أن تعبد الله عَزَّ وَجلَّ, على نورٍ من الله, ترجوا ثواب الله, وأن تترك معصية الله, على نور من الله, تخشى عقاب الله.

وأجمع ما قيل فيها والله أعلم: أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله وقاية, بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

ومن الفوائد: أهمية السمع والطاعة لولاة الأمر المسلمين, ولاة أمر المسلمين يجب لهم السمع والطاعة في غير معصية الله.

وقد دل الكتاب والسنة على ذلك: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء: ٥٩], وأولوا الأمر هم العلماء والأمراء, فأمر الله عَزَّ وَجلَّ بطاعة ولاة الأمر.

وأيضًا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح البخاري: **«من أطاعني فقد أطاع الله, ومن عصاني فقد عصى الله, ومن أطاع أميري فقد أطاعني, ومن عصى أميري فقد عصاني»**.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره, إلا أن يُؤمَر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**.

واعلم أن طاعة ولاة الأمر لا تخلوا من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يأمر ولي الأمر بما أمر الله عَزَّ وَجلَّ ورسوله به: فيجب طاعته, طاعة أولًا لله ولرسوله, ثم طاعة لولاة الأمر, يعني يأمر مثلًا بصلاة الجماعة ونحو ذلك.

الثانية: أن يأمر بأمر مباح, أصله مباح ولكن فيه مصلحة: فيجب السمع والطاعة لولاة الأمر, فيه كما لو أمر الأمير بالالتزام بإشارات المرور أو الالتزام بأمور دنيوية مباحة للإنسان: فيجب أن يسمع ويطيع, لأن الله عَزَّ وَجلَّ أمر بطاعة ولاة الأمر.

الحالة الثالثة: أن يأمر ولي الأمر بمعصية, كأن يقول لإنسان: اشرب الخمر, فلا سمع ولا طاعة, فلا يسمع ولا يطيع, لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء في الصحيح عنه أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**», وقال: «**على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية, فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاع**».

ولكن مع هذا لا يجوز الخروج على ولي الأمر, ولا يجوز أن ينزع يده من طاعته , أما في حال المعصية فلا تطعه, وباقي الأمور يجب أن تسمع وتطيع.

ولذلك طاعة ولاة الأمر هو من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وقد كان المشركون يرون أن السمع والطاعة لولاة الأمر من القهر والذُل للإنسان, وهذا من الضلال البعيد, بل إن طاعة ولاة الأمر من أسباب الأمن, من أسباب اجتماع الكلمة, من أسباب قوة المسلمين, ومن أسباب حفظ الدماء, ومن أسباب حفظ الأموال وغير ذلك من المصالح الكثيرة.

لذلك طاعة ولاة الأمر فوائدها كثيرة, وهذا أمرٌ أمر الله عَزَّ وَجلَّ به وأمر به الرسول, فالإنسان يسمع ويطيع, فإذا أطاع فإنه قد أطاع الله ورسوله.

ومن الفوائد: العبد لا يُؤمَّر, لأنه قال: «**وإن تأمر عليكم عبد**», فضرب به المثل, والعبد هو المملوك, كان في السابق العبد يُباع ويُشترى, ويكون رقيقًا, فهذا لا يكون أميرًا, ولكن هل هذا لضرب المثل أو لأنه قد يقع؟

قيل أنه لضرب المثل, حتى لو تأمر فيجب على الإنسان أن يسمع ويطيع, يعني لو حصل أن عبدًا مملوكًا تأمر على الناس فيجب على الناس أن يسمعوا وأن يطيعوا.

وقيل: أنه قد يقع, تختل الأمور فيقع, فإذا وقع فيجب أن يُسمع وأن يطاع له حتى لو كان عبدًا.

ومن الفوائد: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عنده علم من الله عَزَّ وَجلَّ بما سيقع في الأمة من اختلاف, ولذلك قال: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا», وقد وقع الاختلاف الكثير بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الفوائد: أهمية التمسك بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ولذلك قال: «فعليكم», وعلى تدل على الوجوب والتحتم, «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين».

أيضًا من الفوائد: أهمية التمسك بسنة الخلفاء الراشدين, ولذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عليك بسنة الخلفاء الراشدين, لأنهم راشدون, أبو بكر رَضِي اللهُ عَنْهُ عمر رَضِي اللهُ عَنْهُ عثمان رَضِي اللهُ عَنْهُ علي رَضِي اللهُ عَنْهُ خلفاء راشدون, فيتمسك بأقوالهم لأنهم مهديين, هداهم الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى للحق.

ومن الفوائد: أن جميع البدع ضلال, ليس هناك بدعة حسنة, لا توجد بدعة حسنة, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فإن كل بدعة ضلالة», وكل تدل على العموم بمادته.

وقوله: إن هنا تدل على التأكيد, جميع البدع بلا استثناء ضلال, فلا يمكن أن تكون بدعة حسنة, لا يمكن هذا.

وما ذُكر عن بعض العلماء قد يوجه بأنه يريد البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية, لأن البدعة الشرعية كلها ضلالة, إذا ابتدع الإنسان في الدين فقد ضل, وقد خالف قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: ٣], فمن ابتدع كأنه يتهم الدين بأنه لم يكمل.

الحَدِيث التاسع والعشرون

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾, حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟», قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ, قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟», فَقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ, فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْك هَذَا», قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْك أُمُّك, وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ»,أَوْ قَالَ:«عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟», رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ, وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أن معاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعمل يُدخِل الجنة, فذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أن هذا شيء عظيم, ثم ذكر له أعمال سبب في دخول الجنة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله, أخبرني بعملٍ يُدخلني الجنة, أخبرني أي أر شدني إلى عمل يُدخلني الجنة, يعني يكون سببًا في إدخالي الجنة.

ويباعدني من النار: أي أن هذا العمل سببًا في أن يُبعِد الإنسان عن النار, فأراد معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يُرشده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عمل يكون سببًا في إبعاده عن النار.

قال: «لقد سألت عن عظيم»: سألت عن شيء عظيم, وهو دخول الجنة والبُعد عن النار, هذا شيءٌ عظيم.

«وإنه ليسير على مَن يسره الله عليه»: أي أن هذا العظيم هو يسيرٌ على مَن يسره الله عَزَّ وَجلَّ عليه, فإذا يسر الله عَزَّ وَجلَّ للعبد طريق الخير والنجاة من النار فإنه عليه يسير.

قال: «تعبد الله لا تُشرك به شيئًا»: هذا الأول: أن تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا, بمعنى أن تتذلل لله حبًا وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه, وتُخلص له العبادة, فلا تُشرك معه أحدًا, وأحد هنا نكرة, فلا تُشرك معه أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا ولي ولاغير ذلك, لذلك قال: «تعبد الله لا تُشرك به شيئًا».

«وتقيم الصلاة»: أيضًا من الأعمال إقامة الصلاة, وإقامة الصلاة أن يأتي بها كاملة بأركانها وشروطها وواجباتها, لأن إقامة الشيء هو الإتيان به معتدل على وِفق ما أُمر به.

قال: «وتؤتي الزكاة»: أي تؤدي الزكاة للمستحقين, والزكاة: مال مخصوص لطائفة مخصوصة في زمن مخصوص.

قال: «وتصوم رمضان»: رمضان هو الشهر المعروف, وصيام رمضان ركنٌ من أركان الإسلام.

والصوم: هو الإمساك عن المفطرات مع النية, من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

قال: «وتحج البيت»: أي أن تقصد مكة لأداء مناسك الحج في أشهر الحج.

ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟»: يعني ألا أُرشدك على أبواب الخير؟

ثم قال: «الصوم جُنة»: يعني سبب في الوقاية, والمجن هو الذي يقي الإنسان في الحرب عن السهام, فالصوم جُنة عن النار, وجُنة عن المعاصي, فهو جنة عن النار وجُنة عن المعاصي.

والمراد والله أعلم أنه الصوم المستحب, لأنه ذكر قبل ذلك عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم صوم رمضان, ثم قال: «والصوم جُنة»: أي هذا الصيام النافلة يكثر المسلم منه.

قال: «والصدقة تُطفئ الخطيئة»: الصدقة المراد بها هنا والله أعلم المستحبة, وهي الأموال ونحو ذلك الذي يعطيه الأغنياء للفقراء تقربًا إلى الله عَزَّ وَجلَّ, مريدًا رضا الله والنجاة من النار.

«تُطفئ الخطيئة»: أي أن هذه الصدقة سبب في إطفاء الخطيئة, والخطيئة هي المعصية, فالصدقة تُطفئ الخطيئة, بحيث أن الإنسان إذا تصدق فإن هذا سبب في تكفير السيئات.

قال: «كما يُطفئ الماء النار»: أي أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما أن النار إذا وُضع عليها الماء انطفأت, كذلك الصدقة إذا تصدق الإنسان فإنه يُطفئ الخطيئة ويُذهب أثرها.

: «وصلاة الرجل في جوف الليل»: أيضًا من أسباب مايطفئ الخطيئة ويُذهب أثرها صلاة الرجل في جوف الليل أي في آخر الليل, والمراد هنا والله أعلم صلاة النفل, أي قيام الليل, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر قبل ذلك إقامة الصلاة.

ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٦، ١٧].

وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى﴾[السجدة: ١٦]: أي تتباعد وتتنحى.

﴿جُنُوبُهُمْ﴾: أي جنب الإنسان.

﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: أي عن الفُرش, فهم يقومون آخر الليل يُصلون لله عَزَّ وَجلَّ.

ثم قال: «ألا أُخبرك برأس الأمر؟»: رأس الأمر يعني رأس الدين الإسلام.

«وعموده وذروة سنامه»: قلت: بلى يا رسول الله, قال: «رأس الأمر: الإسلام»: الرأس هو أعلى الشيء, لذلك الآن الرأس هو أعلى مايكون في المخلوق, إذا قُطع هذا الرأس مات هذا الشيء, فمثلًا الإبل الآن إذا قُطع رأسها ماتت, كذلك الإنسان إذا ترك الإسلام خرج من الدين كله.

قال: «وعموده»: يعني عمود الإسلام, «الصلاة», فالصلاة في الإسلام كالعمود للخيمة, فإذا سقط هذا العمود سقطت الخيمة, كذلك لو ترك الإنسان بالكلية خرج من الإسلام.

قال: «وذروة سنامه الجهاد»: الذروة هي أعلى الشيء, والسنام هو ما يكون للبعير ويكون أعلى البعير, فأعلى شيء هو الجهاد, أي الجهاد في سبيل الله عَزَّ وَجلَّ.

ثم قال: «ألا أُخبرك بملاك ذلك كله؟»: يعني ما يجمع عليك ذلك كله؟ فقلت: بلى يا رسول الله, فأخذ بلسان نفسه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام وقال: «كُف عليك هذا»: أي احذر من هذا اللسان فكُفه عن الغيبة والنميمة والشتم والكذب والكلام المحرم ونحو ذلك.

قال معاذ: , قلت: , يا نبي الله, وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال معاذ: أو نؤاخَذ بالكلمة؟ الكلمة سهلة تخرج من اللسان.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثكلتك أمك»: أي فقتدك أمك, هذه الكلمة يؤتى بها ولا يراد المعنى وإنما إرادة اللفظ فقط, لذلك العرب يقولون بعض الكلمات ولا يريدون معناها, ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«ثكلتك أمك, وهل يكب الناس», والكب هو إيقاع الشيء على وجهه, «وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟»: وهل يقع الإنسان والناس الذين كُتب عليهم دخول النار إلا بسبب هذه الألسن؟

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: حِرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير, ولذلك سأل معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعظم شيء: قال: يُدخلني الجنة وينجيني من النار, فأعظم ما يُعطى الإنسان أن يدخل الجنة ويتنعم في كل النعيم فيها وينجو من النار, لذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[آل عمران: ١٨٥], فإذا دخل الإنسان الجنة ونجاه الله من النار فقد فاز فوزًا عظيمًا.

أيضًا من الفوائد: أن دخول الجنة والنجاة من النار شيء عظيم, لا يُعطاه إلا من يسر الله عَزَّ وَجلَّ له ذلك , ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنه عظيم», ثم قال: «إنه ليسير», ولكن لمن يسره الله عليه, فإذا لم ييسر الله عَزَّ وَجلَّ على العبد دخول الجنة والنجاة من النار فلا نجاة له.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾[الليل: ٥ - ١٠], فإذا يسر الله عَزَّ وَجلَّ على العبد دخول الجنة والنجاة من النار فإنه موفق.

ولذلك الإنسان عليه أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ الجنة والنجاة من النار, وقد جاء في الحَدِيث أن الرجل إذا سأل الله عَزَّ وَجلَّ الجنة ثلاث مرات, قالت الجنة: اللّهم أدخله الجن, وإذا استعاذ بالله من النار ثلاث مرات قالت النار: اللّهم أعذه مني, فإن الإنسان يسأل الله الجنة وينجيه من النار.

ومن الفوائد: أن دخول الجنة لا يكون إلا بعمل, ولكن ليس العمل هو عِوض عن الجنة, ولكنه سبب لدخول الجنة.

فرق بين أن يكون عِوض وأن يكون سبب, فهو سبب وليس عِوض, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله», قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا, إلا أن يتغمدني الله برحمة».

فكيف الجمع بين هذا الحَدِيث وحديث : «تعبد الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة الى أخره تدخل الجنة»؟

فالجواب: أن العمل سبب لدخول الجنة, فإذا عمل الإنسان فإنه أتى بالسبب, فمن الأسباب رحمه الله ودخله الجنة, أما أن تكون الجنة عِوض عن العمل فلا, الجنة أمرٌ عظيم, سلعة الله عَزَّ وَجلَّ غالية.

ومن الفوائد: أن أبواب الخير كثيرة, ومن أبواب الخير كثرة الصوم, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى به قال: «والصوم جُنة», وجنة أي وقاية من المعاصي.

والدليل على ذلك: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج: فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج, ومن لم يستطع فعليه بالصوم, فإنه له وجاء», بمعنى أن الإنسان إذا صام فإنه سبب أن يترك المعاصي, إذا ما استطاع الإنسان أن يترك معصية مثل النظر إلى الحرام وفعل محرم ولم يستطع الزواج فعليه بالصوم, فإنه يُبعد هذه الشهوة, فيكون وقاية من هذه المعاصي.

أيضًا وقاية من النار, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الصوم جُنة»: أي وقاية من النار.

ومن الفوائد: فضل الصدقة لأنها تُطفئ الخطيئة, ولذلك جاء في الحَدِيث: أن الصدقة تُطفئ غضب الرب عَزَّ وَجلَّ, فإذا حرص الإنسان على الصدقة فإنه من أسباب ذهاب الخطايا والمعاصي.

وقد ذكر العلماء أنه إذا وقع الإنسان وجامع زوجته حال الحيض مثلًا, فهذا محرم لا يجوز, قالوا: يتصدق بدينار أو ربع دينار, فهذا دليل على أن الصدقة تُطفئ الخطيئة.

ومن الفوائد: فضل قيام الليل, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ وعد مَن يقوم الليل بأن له ما لا عين رأت, ولا أُذنٌ سمعت, ولا خطر على قلب بشر: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٦، ١٧], هذا يدل على فضل قيام الليل.

فقيام الليل له فضل, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ مدح الذين يقيمون الليل, وذكر المؤمنين أنهم دخلوا الجنة بسبب قيام الليل والأعمال الصالحة.

ومن الفوائد: أن يحذر الإنسان من لسانه, ولذلك الكلمة سهلة, ولكن عواقبها وخيمة شديدة, لذلك جاء في الحَدِيث أن الرجل يتكلم بالكلمة يغضب الله عَزَّ وَجلَّ غضبًا عليه حتى يلقاه, كلمة واحدة, بل قد يخرج الإنسان من الدين بكلمة.

ولذلك الذين كانوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك استهزئوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه, فأخبر الله عز وجل أنهم كفرو بسبب هذه الكلمة: ﴿وَلَئِنْ

سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[التوبة: ٦٥، ٦٦].

فسبب كلمة خرج الإنسان من الدين, كذلك الكلمة قد تكون سببًا في رضا الله, فيحذر الإنسان من اللسان.

وحصائد ألسنتهم: في هذا أن الإنسان في الدنيا يتكلم ويعمل, وفي الآخرة يحصد, فالإنسان في هذه الدنيا هو في سباق إلى الأعمال الصالحة, لأن الإنسان يعمل هنا ويجازى هناك في الآخرة: الدنيا دار عمل, والآخرة دار جزاء, فيحرص الإنسان في دار العمل أن يكثر من العمل الصالح حتى يحصد هناك.

الحَدِيث الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بن نَاشِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا», حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ فِي سننه, وَغَيْرُهُ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل واجبات وفرائض, وجعل حدودًا, وحرم أشياء ومنعها, وسكت عن أشياء فلم يُقل فيها شيء ونُهي عن البحث فيها.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي ثعلبة الخُشني عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله تعالى»: لفظ الجلالة الله هو عَلَم على الرب عَزَّ وَجلَّ, لا يُسمى به غيره, والله هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

قال: «إن الله تعالى»: تعالى يعني تعالى سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في ذاته وفي صفاته وفي أسمائه وفي أفعاله, فهو سُبْحَانَهُ وَتعَالَى متعال بذاته, أي أنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فوق خلقه, فوق سماواته, فوق عرشه, بائنٌ من خلقه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, مستوٍ على عرشه.

وأيضًا عالٍ في صفاته: فالله عَزَّ وَجلَّ متعال في صفاته, الله عَزَّ وَجلَّ له الصفات العُلى.

وأيضًا عال في أسمائه وأفعاله.

قال: «إن الله تعالى فرض»: الفرض هو بمعنى الإيجاب, يعني الشيء المتحتم, أي أوجب عليكم فرائض: يعني واجبات وأمور متحتمات.

«إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها»: يعني لا تضيعوها بحيث تتركوا فعلها فتضيع, فإذا كان الله عَزَّ وَجلَّ فرض هذه الفرائض فلا تتركوها.

«وحدَّ حدودًا»: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ جعل حدودًا بمعنى منع, والحد هو المنع, بحيث أن الشيء لا يتجاوز, «فلا تعتدوها»: أي لا تتعدوا هذه الحدود بأن تنتهكوها, فمن فعل المحرمات فقد تعدى حدود الله عَزَّ وَجلَّ, ومن ضيع الواجبات فقد تعدى حدود الله عَزَّ وَجلَّ.

قال: «وحرم أشياء»: أي منع أشياء, «فلا تنتهكوها»: أي لا تفعلوها, بحيث أنكم تفعلوها فتُصبح منتهكة.

«وسكت عن أشياء»: يعني لم يبين سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فيها شيء, لا أمر ولا نهي.

«عن أشياء رحمةً لكم»: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ سكت عن هذه الأشياء رحمة بالعباد.

«رحمة لكم غير نسيان»: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ لم ينسى هذه الأشياء, بل هو سُبْحَانَهُ وَتعَالَى محيط بها ويعلم بها, ولكنه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى ترك الأمر بها والنهي عنها رحمة بالعباد.

قال: «فلا تبحثوا عنها»: يعني لا تفتشوا عنها أحلال هي أم حرام؟ لأن الله عَزَّ وَجلَّ سكت عنها, فأنتم اسكتوا عن البحث فيها فلا تبحثوا فيها.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: أن الله عَزَّ وَجلَّ يفرض أشياء, والفرائض نوعان:

فرض عين وفرض كفاية:

فرض العين هو الذي يجب على كل إنسان أن يقوم به بنفسه, بحيث أن زيد وعمرو وسعد يجب على زيد ويجب على عمرو ويجب على سعد بدون تفريق, هذا فرض العين على كل عين.

الثاني: فرض الكفاية, وفرض الكفاية أن يراد الفعل بغض النظر عن الفاعل, بحيث أنه إذا وُجد الفعل فلا يطالب الفاعل.

ومعنى ذلك أن فرض الكفاية أنه إذا قام زيد بهذا الشيء سقط الطلب عن عمرو وسعد, هذا معنى فرض الكفاية.

ومن الفوائد: أنه يجب على الإنسان ألا يضيع فرائض الله عَزَّ وَجلَّ, والفرائض إذا كانت فرض عين أو فرض كفاية لا يجوز للإنسان أن يضيِّع لا هذا ولا هذا.

وفرض العين مثل الصلاة ومثل الصوم ومثل الحج: فهذا فرض عين على كل إنسان, فلا يجوز للإنسان أن يضيع هذه الفرائض, لأن الله عَزَّ وَجلَّ فرضها عليه, فكيف يضيع فرائض الله عَزَّ وَجلَّ.

أيضًا فرض الكفاية: يجب على الأمة أن يأتوا بفرض الكفاية, حتى لا يأثموا , لأن فرض الكفاية إذا لم يقم به جميع الأمة فيكون الإثم عامًا, أما إذا قامت به مجموعة سقط الطلب والإثم عن الباقين.

ومن الفوائد: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها أن تُضيع الفرائض, والفرائض يجب على الإنسان أن يأتي بها كاملة, بحيث لا ينقص منها شيء, يأتي بما فرضه الله عَزَّ وَجلَّ, وهذا أمرٌ حتمي, بحيث أن الإنسان إذا لم يفعل هذا الفرض فإنه قد يُعاقَب على تركه.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ حدَّ حدودًا, وحدود الله عَزَّ وَجلَّ هي المحرمات, أو ما يحده الله عَزَّ وَجلَّ من الحدود ومن الأشياء التي يجعل لها حدًا, فلا يجوز أن يُتعدى هذا الحد, بحيث أن الله عَزَّ وَجلَّ جعل الصلوات خمسًا, هذا حد فلا يجوز للإنسان أن يأتي بفريضة في الصلاة سادسة, يجعل الصلوات ست.

وأيضًا جعل الله حدًا لصوم رمضان ثلاثين يومًا, فلا يجوز لإنسان أن يأتي ويجعلها اثنين وثلاثين يومًا, وهكذا, فالله عَزَّ وَجلَّ جعل حدًا.

وأيضًا الحدود التي تقام على الناس: بحيث أن الله عَزَّ وَجلَّ جعل حد الزاني غير المحصن أنه يُجلد مائة, فلا يجوز أن يأتي إنسانًا ويجعل الحد مائة وعشر- مثلًا, أو يجعلها تسعين, وهكذا.

الله عَزَّ وَجلَّ إذا حد حدودًا فلا تتعداها لا بزيادة ولا بنقص.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ حرم أشياء, والحرام هو الممنوع, الله عَزَّ وَجلَّ يحرم الشيء الذي لا نفع فيه للإنسان, بل هو يؤذيه, فيمنع الإنسان منه, مثلًا تحريم الخمر, فالخمر حرام لأنه يضر بالعباد, سبب لتضييع العبادات, سبب لفعل الفواحش, سبب لقتل الأنفس, سبب للوقوع في الجرائم, فحرَّم الله عَزَّ وَجلَّ هذا الشيء.

أيضًا حرم الله عَزَّ وَجلَّ القتل بغير حق, لأن قتل الأنفس بغير حق مضر, فيحرم الله عَزَّ وَجلَّ هذا الشيء, فإذا حرم الله الشيء فاعتقد من نفسك أن الخير في تحريمه من الله, وأن الله عَزَّ وَجلَّ حكيم في تحريمه لهذا الشيء.

والمحرمات نوعان:

كبائر وصغائر:

الأول: كبائر: وهي ما جاء فيه حد في الدنيا أو توعد في الآخرة بعذاب أو غضب أو لعن أو نحو ذلك, فهذا يسمى كبيرة.

والكبائر لا تُكفَّر إلا بالتوبة, لا بد أن الإنسان يتوب منها, ولذلك جاء في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الصلوات الخمس, والجمعة إلى الجمعة,

ورمضان إلى رمضان, مكفرات لِما بينهن إذا اجتُنبت الكبائر», وفي رواية: «ما لم تُغشى كبيرة».

الثاني: صغائر, والصغائر هي الذنوب التي مُنع منها منعًا عاماً ولم يأتي فيها حد لا في الدنيا ولا في الآخرة, وهي محرمة.

والصغائر خطيرة: بحيث أن الإنسان إذا أكثر منها قد تصل إلى الكبائر, وأيضًا إذا أصر عليها فقد تصل إلى الكبيرة, فقد يفعل الإنسان الكبيرة ويكون عنده خوف من الله عَزَّ وَجلَّ وعنده وجل, فتُلحق بالصغائر.

وأيضًا قد يفعل الإنسان الصغيرة على أنها صغيرة ويكون عنده لا مبالاة, ويكون عنده تجرؤ على محارم الله عَزَّ وَجلَّ فتُلحق بالكبيرة.

ولذلك يقول العلماء: لا صغيرة مع إصرار, ولا كبيرة مع استغفار.

فالإنسان قد يفعل الصغيرة فتُلحق بالكبيرة, وأيضًا إذا أصر الإنسان على الصغيرة فإنها تُصبح كبيرة, ولذلك ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب, فإنهن يجتمعن على العبد حتى يُهلكنه», وذكر عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم مثلًا قال: «كمثل قوم جاء في مكان, وأتى هذا بعود وهذا بعود وهذا بعود, حتى جمعوا أعوادًا وأضرموا نارًا كبيرة من هذه الأعواد», فهكذا الذنوب والصغائر, يفعل الإنسان اليوم وغدًا حتى تكبر.

فمثلًا حلق اللحية بالكلية محرم, لكن هذا ذنب صغير, ولكن إذا أصر الإنسان فقد تُلحق بالكبيرة, لأنه اليوم يفعل وغدًا يفعل وبعد غد يفعل, فقد يُلحق بالكبائر.

لذلك ينبغي للإنسان أن يحذر من الصغائر لئلا تُلحق بالكبائر.

أيضًا من الفوائد: أن الإنسان يحذر من محارم الله فلا ينتهكها, لأنه قد نُهي عنها فقال عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم: «فلا تنتهكوها», وانتهاك المحرمات بفعل: إذا فعل الإنسان محرم فقد انتهك هذه المحرمات.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ سكت عن أشياء فلم يبين أحلال هي أم حرام, وهذه الأشياء الظاهر والله أعلم أنها عفو, فما سكت الله عَزَّ وَجلَّ عنه وأشكل في نفسك بحيث لا تعلم هل هو حلال أم حرام, فالأصل أن ما سكت الله عَزَّ وَجلَّ عنه فهو عفو.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ لا يخفى عليه شيء, فعِلم الله محيط بالماضي والمستقبل والحاضر والذي لم يكن لو كان كيف كان يكون, فعِلم الله عَزَّ وَجلَّ محيط بكل شيء.

وأيضًا عِلم الله عَزَّ وَجلَّ لا يلحقه نسيان سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ولذلك موسى عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم قال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾[طه: ٥٢].

النسيان بالنسبة للإنسان: ذهول القلب عن شيء كان له معلوم, فإذًا الإنسان يعلم هذا الشيء لكنه ذهل عنه في هذا الوقت, فهذا يسمى نسيانًا.

أما الله عَزَّ وَجلَّ فلا ينسى سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ولذلك يجب على الإنسان أن يحذر لأن علم الله عَزَّ وَجلَّ محيط فلا يخفى على الله شيء.

الله عَزَّ وَجلَّ يعلم الشيء الذي ستحدث به نفسك قبل أن تحدث نفسك به, فعِلم الله عَزَّ وَجلَّ واسع.

الحديث الحادي والثلاثون

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؛ فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ», حديث حسن، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْوَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن أمرين بهما يحبه الله عَزَّ وَجلَّ ويحبه الناس, فذكر هذين الشيئين.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ: رجل يعني من المسلمين, ولم يُذكر اسم هذا الرجل في هذا الحَدِيث, ولم يُذكر لأن الحكم لا يتغير.

قال: جاء رجل إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه دُلَّنِي: أي أرشدني.

دلني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ: أي دلني على عمل إذا عملته وعملتُ به يكون سببًا لي, قال: دلني على عمل إذا عملته أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ: أي أرشدني لعمل إذا عملته أحبني الله عَزَّ وَجلَّ وأحبني الناس بسبب هذا العمل.

فَقَال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّك اللَّهُ»: ازهد أي كُن زاهدًا في الدنيا, والزهد في الدنيا هو ترك ما لا فائدة فيه في الآخرة.

قال: «ازهد في الدنيا يحبك الله»: أي أنك إذا تركت الدنيا وأقبلت على الله عَزَّ وَجلَّ فإن الله عَزَّ وَجلَّ يحبك.

«وازهد فيما عند الناس»: أي اترك وابتعد عما في أيدي الناس, «يحبك الناس»: أي أنك إذا زهدت وتركت ما في أيدي الناس فإن الناس يحبونك.

في هذا الحَدِيث فوائد: من فوائد الحَدِيث: حِرص الصحابة رضي الله عنهم على ما يُقرب إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

لذلك قال الرجل: يا رسول الله دُلني على عمل إذا عملته أحبني الله, فمحبة الله عَزَّ وَجلَّ للعبد مطلوبة, ومحبة الله عَزَّ وَجلَّ تُنال بطاعته والابتعاد عن معصيته واتباع رسوله, فمحبة الله عَزَّ وَجلَّ لها أسباب:

من أسبابها: التقوى.

ومن أسبابها: الزُهد في الدنيا كما في هذا الحَدِيث.

ومن أسبابها: المحافظة على الفرائض والنوافل.

ومن أسبابها: الإحسان, أن يُحسن الإنسان في عبادة الله وما أشبه ذلك, فمحبة الله عَزَّ وَجلَّ لها أسباب.

ومن الفوائد: أن من صفات الله عَزَّ وَجلَّ أنه يحب, فالله عَزَّ وَجلَّ يحب عباده المؤمنين, ويحبه عباده المؤمنين, كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤], فالله عَزَّ وَجلَّ من صفاته سُبْحَانَهُ وَتعَالَى أنه يُحِب, وإذا علم العبد أن من صفات الله عَزَّ وَجلَّ أن يحِب فيسعى لهذا المطلوب, وهو من أعلى المراتب.

ولذلك إذا أحب الله عَزَّ وَجلَّ العبد فتح عليه أبواب الخيرات وأنجاه من الشبهات والشهوات, وأصبح هذا العبد لا ينظر إلا لِما يُرضي الله, ولا يسمع إلا ما يُرضي الله, ولا يتكلم إلا فيما يُرضي الله, ولا يبطش بيده إلا فيما يُرضي الله, ولا يمشي بقدمه إلا فيما يُرضي الله, وهكذا إذا أحب الله عَزَّ وَجلَّ العبد.

فعلى العبد أن يسعى إلى الأسباب الجادة لمحبة الله.

ومنها: الزُهد في الدنيا كما في هذا الحَدِيث.

ومن الفوائد: أن الإنسان لا بأس أن يحرص على محبة الناس, ومحبة الناس قد لا يلام الإنسان عليها, ولكن ما و سبب محبة الناس؟ هو أن يزهد الإنسان فيما في أيديهم, فلا تسأل الناس شيئًا, لأن من أسباب محبة الناس: أن يزهد الإنسان عما في أيديهم, فإذا لم يسأل الناس شيئًا فإن الناس يحبونه.

ومن الفوائد: فضل الزهد في الدنيا, والزهد في الدنيا هو أن يترك الإنسان ما لا ينفعه في الآخرة, وليس الزهد أن يترك الإنسان لبس الجميل وأن يركب الجميل وأن يتكسب المال, لأن هذا مطلوب, ولذلك جاء في الحَدِيث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «نِعم المال الصالح للمرء الصالح», فلا بأس أن الإنسان يمتلك في الدنيا ما يكون سببًا لوصوله إلى الله عَزَّ وَجلَّ, فهذا ليس بمذموم.

ولكن المذموم أن يطلب الإنسان الدنيا وينسى الآخرة, تُصبح الدنيا همه وسعيه, ولا ينظر إلى الآخرة, فتُصبح الدنيا في قلبه, إذا دخلت قلب الإنسان فهذا هو المذموم, أما إذا كانت في يده فينفق في سبيل الله ويُكرم الضيف وينفق على أبنائه وينفق على نفسه: فهذا لا بأس به.

ولذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده», فإذا لبس الإنسان الجديد وركب الجميل وطعم الطعام الحلال المُستلذ فإن هذا جائز, وقد يُؤجر الإنسان إذا قصد مقاصد طيبة, ولكن إذا كانت الدنيا هم الإنسان بحيث أنه ينسى الآخرة فهذا هو المذموم.

لذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[الكهف: ٢٨], فإذا اتبع الإنسان الهوى ونسي الآخرة فإن هذا مذموم.

والزهد هو أن يترك الإنسان ما لا فائدة فيه في الآخرة, والزهد قد يكون زُهد في الحرام, فيزهد الإنسان في المحرمات, يعني يترك المحرمات لأنها ملذات تذهب وتنتهي, وتبقى الحسرات وآثار المعاصي, السيئة لذلك المطلوب أن يزهد الإنسان في المحرمات, بمعنى أن يتركها ولا يقربها.

أيضًا يزهد الإنسان في بعض المباحات, فيترك المباحات لِما هو أفضل, كأن يترك كثرة النوم لطلب العلم, ويترك مثلًا كثرة الأكل لقيام الليل وما أشبه ذلك, فهذا مستحب, إذا نوى الإنسان النية الصالحة فهذا مستحب.

ومن الفوائد: أن سبب محبة الناس ألا يسألهم شيئًا, فالناس إذا تركت سؤالهم فإن هذا سبب أن يحبوك, لأن الناس يحبون الدنيا, فإذا سألتهم منها أبغضوك, وسؤال الناس قد يكون جائزًا, وقد يكون ما ينبغي:

لا يجوز كما لو سأل الإنسان مالًا وهو عنده مال: يسأل أموال الناس وهو عنده مال, هذا لا يجوز, وقد جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تزال المسألة

بأحدكم حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزعة لحم», وهذا في حق من سأل الناس بغير حق, الذي يأخذ من الناس أموالًا وهو عنده مال.

وأيضًا جاء في الحَدِيث قال: «من سأل الناس تكثرًا», لكثرة المال, «فإنما يسأل جمرة من جهنم, فليستقل أو ليستكثر», فإذا كان الإنسان يسأل مالًا وهو عنده مال فلا يجوز.

أيضًا قد يكون السؤال لا ينبغي: كما لو كان يسأل الناس لحاجة غير ضرورية, يسأل مثلًا , سيارة ليسافر عليها لنزهه , أو يسأل ملابس ليلبسها لغيرحاجة أو نحو ذلك, وهو لا يحتاج إليها ولا يضطر .

ولذلك جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أخذ عن الصحابة ألا يسألوا الناس شيئًا, فكان الرجل يسقط سوطه فلا يقول: يا فلان ناولنيه, بل ينزل بنفسه ويأخذه, فسؤال الناس ما ينبغي, وقد جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من تكفل لي ألا يسأل الناس شيئًا أتكفل له الجنة», أو كما قال عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام.

فسؤال الناس ما ينبغي.

أما من يسأل الناس للاضطرار, فهذا يجوز, ولذلك جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا تجوز المسألة إلا لثلاث», وذكر: رجل افتقر, كان عنده مال فافتقر حتى أصبح لا مال له.

أيضًا يجوز للرجل إذا كان يريد الإصلاح بين متخاصمين من المسلمين, فيسأل مالًا ليُصلح بينهم, هذا يجوز, لأنه لا يسأل لنفسه.

أيضًا يجوز لرجل افتقر حتى قام ثلاثة من أصحاب العقول فقالوا: فلان أصابه فقر, هذا تجوز له المسألة حتى يأخذ ما يكفيه.

أما سؤال الناس: بلا حاجة فإن الإنسان يزهد فيه حتى يحبه الناس, فإن أردت محبة الناس فتزهد فيما في أيديهم.

ولذلك قال القائل:

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تغلق

الله يغضــــب إن تركــت ســـؤاله   وبُنــي آدم حــين يُسـأل يَغضــب

***

فالإنسان إذا سأل المرة الأولى يجاب, والمرة الثانية يُجاب, والمرة الثالثة يتركه, وقد يُرد من أول مرة, ولذلك الإنسان حتى لو كان كثير العطاء قد يغضب عليك في آخر الوقت, فيبتعد الإنسان عن سؤال الناس.

ومن فوائد الحَدِيث: أن الإنسان يحرص على الأعمال التي سبب في محبة الله عَزَّ وَجلَّ وسبب في أن تقربه من الله عَزَّ وَجلَّ, ومنها الزهد في الدنيا, كما تقدم.

الحَدِيث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيّ رَضِي اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ», حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارَقُطْنِيّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا, وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطأ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ – مُرْسَلًا، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن لا ضرر ولا ضرار.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا ضرر»: الضرر هو إلحاق الأذى بالغير بلا قصد, هذا يسمى ضرر, أن يُضر الإنسان بغيره بلا قصد, ولا يريد ذلك, ولكن يلحق غيره منه ضرر وهو لم يرده.

قال: «ولا ضرار»: والضرار هو إلحاق الضرر بغير بقصد, بمعنى أن الإنسان يفعل الضرر لغيره قصدًا, مريدًا له.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: أن شرع الله عَزَّ وَجلَّ منفيٌ عنه الضرر, بمعنى أن الإنسان لا يجوز أن يضر غيره, لا قاصدًا ولا غير قاصد, فلا يجوز للإنسان أن يُضر غيره, لا بقصد ولا بغير قصد.

فمثلًا الضرر بغير قصد: كما لو زرع الإنسان شجرة في بيته فخرج أغصانها إلى جاره, فوقع ضرر على الجار, هذا الضرر من غير قصد, فيجب على الإنسان أن يقص هذه الأغصان أو يُبعدها عن جاره, فإذا لحق بالجار ضرر فإن الإنسان يجب عليه أن يزيل هذا الضرر.

أما الإضرار بالقصد فمثاله: أن يطلق الإنسان زوجته, فإذا قربت أن تنتهي العدة أرجعها, ثم طلقها, ثم إذا بقي شيء من العدة أرجعها, وهكذا حتى تطول عليها العدة, هذا من الإضرار بالقصد, لأن عدة المرأة إذا كانت تحيض ثلاثة قروء, فيطلقها الإنسان فإذا حاضت الحيضة الأولى يتركها, ثم الثانية, ثم قبل الثالثة يُرجعها, ثم يطلق, فيبقى عليها ثلاث حيض, وهكذا حتى تطول العدة, فهذا لا يجوز.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[البقرة: ٢٢٩], فالضرر لا يجوز سواءً كان بقصد أو بغير قصد.

وهذا الحَدِيث قاعدة من قواعد الشرع: أن الإنسان إذا لحق أحد منه ضرر فإنه يجب أن يوقِف هذا الضرر, سواءً كان هذا الضرر بقصد أو بغير قصد.

الحَدِيث الثالث والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ», حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن أنه لو أن كل إنسان ادعى دعوى فأُعطى لأجل هذه الدعوى, فإن بعض الناس يدعي أموال ودماء ليس له فيها حق, فيكون فيه فساد كبير, ولكن لا بد أن يكون المدعي معه بينة على صدق دعواه, وأن المدعى عليه ينفي ذلك بأن يحلف أو نحو ذلك.

قال: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لو يُعطى»: لو حرف امتناع الامتناع.

«يُعطى الناس»: يعني لو أن كل إنسان ادعى دعوى فأُعطى بهذه الدعوى.

قال: «لو يُعطى الناس بدعواهم لادعى»: لوقع هذا, «لادعى رجالٌ أموال قومٍ ودماءهم»: يعني لو كان مجرد أن يقول إنسان دعوى تُقبل, فإن من الناس من يدَّعي أموال قوم, يقول: هذه السيارة لي, هذه الأرض لي, هذا بيتي, هذا المتاع لي, فلو كان ذلك لأعطي هذا ثم حصل فساد كبير.

وأيضًا دماءهم: لو قال إنسان: فلان قتل أبي فيؤتى به فيُقتل, وفلان قتل أخي فيؤتى به فيُقتل, لو كان هذا كذلك لحصل فسادٌ كبير, ولكن قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لكن البينة»: البينة هي ما يُظهر الحق ويبينه مثل الشهود والقرائن ونحو ذلك.

«البينة على المدعي»: المدعي هو الذي يضيف الشيء إلى نفسه, يقول: هذا الشيء لي.

«واليمين على مَن أنكر»: اليمين يعني القَسَم, يقسم بالله على مَن أنكر, والمنكر هو الذي ينفي الشيء عن نفسه.

هذا الحَدِيث فيه فوائد, وهذا الحَدِيث أصلٌ في القضاء.

فمن الفوائد: أن الناس لو أُعطوا بمجرد الدعوى لوقع فساد كبير, لأن من الناس من لا يخاف الله ولا يخشاه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, وعنده طمعٌ في الدنيا, فقد يدعي أموال أُناس ليس له فيها حق, فلو كان بمجرد أن يدعي الإنسان ويُعطى بمجرد الدعوى لوقع فساد كبير.

ولأتى أناس وقال مثلًا: هذه السيارة لي, هذا البيت لي, هذه الأغنام لي, فيحصل فساد كبير, وإن كانت في الحقيقة ليست له, ولكن أراد أن يأخذها لأنه يريد الدنيا, فإن كان كذلك فيحصل فساد كبير, ولكن ليس الأمر كذلك, بل لا بد من بينة على ما قال.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا ادعى شيء فلا بد له من بينة, فلا بد أن يأتي ببينة, إذا قال إنسان مثلًا: يا فلان أنا أريد مبلغًا من المال, منك استدان مني كذا وكذا, لا بد من بينة, يأتي بشهود, يأتي بقرائن, يأتي بشيء يبين هذا الشيء ويؤكده.

ولذلك لو أتى إنسان عند القاضي وقال: أنا أريد من فلان خمس مائة ريال دينًا, فيقول القاضي له: أين البينة؟ أين شهود, ولا يأتي القاضي ويقول: يا فلان أعطه ماله, لا يقول هكذا, ولكن إذا ادعى وقال: أنا لي خمس مائة ريال, فيقال له: لا بد من بينة, فإن قال: ليس عندي بينة, فالجواب كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واليمين على من أنكر», فيحلف أن المدعى عليه يقول: والله ليس له شيء عندي, فيبرأ ويخرج من ذلك, وتنتهي القضية.

هذا من حُسن هذه الشريعة, لأن الإنسان الذي يُدعى عليه وهو صادق, ليس لأحد عليه شيء يحلف ويبرأ, ولكن إذا نكل, قال: لا أحلف, فهنا يُعطى المدعي ما ادعاه, وبعض العلماء قال: لا بد أن يحلف المدعى أيضًا, ويؤكد هذه الدعوى بالحلف, يقول: والله لقد استدان مني خمس مائة ريال.

ومن الفوائد: أن البينة تبين الحق, وقرينة على أن هذا الشيء حق, فمثلًا إنسان ادعى أن له عند شخص أرضًا, يعني أخذها منه واغتصبها منه, أخذها بالغصب, فهذا الشخص يقال له: لا بد أن تأتي ببينة, فإذا أتى بالبينة وهم الشهود, والشهود ظاهرهم الصلاح

فيُعطى هذه الأرض, إلا أن يأتي المدعى عليه بقرينة وبينة, فهنا تتساقط البينات وتكون الأرض بيده مَن هي بيده.

فالمسألة الآن لا تخلو من حالات : أن يدعي شخص أن له عند فلان أرض أُخذت بالغصب, فيقال: تأتي ببينة, فإذا أتى بالبينة والشهود, فيقال للآخر: أعطه الأرض, فأذا قال: الأخر أنا عندي بينة, وشهود يشهدون أنها لي, الآن كيف نصنع؟ تتساقط البينات والشهود, وتكون الأرض على الأصل على من هي بيده, ويحلف أنها ملكه.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا أنكر الشيء ولا بينة للمدعي فإنه يبرأ, ولذلك لو أتى إنسان عند القاضي وقال له شخص: أنا أريد مبلغ كذا وكذا من فلان, وليس لهذا الرجل بينة, فإن المدعى عليه يحلف ويبرأ ولاشيء عليه , لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «واليمين على من أنكر».

واليمين هي في جانب من هو أقوى , بمعنى أن الإنسان إذا كان الأصل أنه معه فاليمين في حقه, فالأرض إذا كانت بيد شخص فالأصل أنها له, حتى يأتي هذا الشخص الذي يدعيها بشهود أو ببينة تبين أنها أرضه.

وهذا الحَدِيث من أهم الأحاديث الخاصة بالقضاء بين الناس.

الحَدِيث برابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»,

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بتغيير المنكر على حسب الاستطاعة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من رأى منكم منكرًا»: الرؤية هنا تشمل رؤية العين ورؤية القلب, يعني من تيقنه إما ببصره وإما بقلبه, يعني عَلِم به.

قال: «من رأى منكم منكرًا فليغيره»: والمنكر ما أنكره الشرع, وهو ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى عنه ورسوله, هذا هو المنكر, ما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر.

قال: «من رأى منكم منكرًا فليغيره»: أي ليغير هذا المنكر, بمعنى أنه يزيله بحسب الاستطاعة.

قال: «بيده»: وهذا كناية أن يزيل هذا المنكر بيده, أي أن يزيل هذا المنكر بيده.

قال: «فإن لم يستطع فبلسانه»: يعني إذا لم يستطع التغيير باليد فإن عليه أن يغيِّر باللسان, كأن يأمر بترك هذا المنكر حتى يُزال.

قال: «فإن لم يستطع»: يعني ما استطاع هذه المرتبة أي التغيير باللسان, قال: «فبقلبه»: أي أنه إذا لم يستطع أن يغير بيده ولا بلسانه, فعليه أن يغير بقلبه.

والتغيير بالقلب: أن يتمنى زوال هذا المنكر, يكره بقلبه هذا المنكر ويتمنى أن يزول.

وأيضًا يغادر مكان المنكر, فلا بد أن يغادر ويذهب عنه.

قال: «وذلك أضعف الإيمَان»: أي أن تغيير القلب أضعف الإيمَان, لأن الإنسان عليه أن يكون قويًا ويغير بيده, فإن لم يستطع فبلسانه, فإن لم يستطع فبقلبه, وذلك أضعف الإيمَان.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: وجوب إنكار المنكر, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بإنكار المنكر, وإنكار المنكر واجب, وهو على الكفاية, يعني واجب كفايةً, بمعنى أنه إذا قام به من يكفي سقط الطلب عن الباقين.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤], ففي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ﴾[آل عمران: ١٠٤], مِن هنا الأقرب والله أعلم أنها للتبعيض.

وقد يكون إنكار المنكر فرض عين, وذلك في مواضع: فمثلًا: إن كان الإنسان لا يستطيع أن ينكر المنكر ويغيره إلا هو, بمعنى أن تكون للإنسان سُلطة أو له قُدرة على إزالة هذا المنكر دون غيره, فيجب عليه أن يغيره بنفسه.

أو يكون موليًا من الجهات, فهنا يجب عليه أن يُنكر.

أيضًا الإنكار بالقلب هذا لا يُعذر فيه أحد, فيجب على كل مسلم أن يُنكر بقلبه, ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإن لم يستطع فبقلبه»: يعني ما وراء هذا الإنكار شيء.

ومن الفوائد: أن المراد تغيير المنكر لا إنكاره, ففي الحَدِيث قال: «فليغيره», فليس المراد أن الإنسان ينكر ويبقى المنكر, بل يغيره بأي أسلوب يتسبب في إزالة هذا المنكر, ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فليغيره».

ويسعى ما استطاع أن يغير هذا المنكر, ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥], فالإنسان يسعى في تغيير المنكر بحسب الاستطاعة, وأيضًا بالأسلوب الحسن, فيكون كل موضعٍ بحسبه.

ومن الفوائد: أنه لا يجب أن ينكر الإنسان إلا إذا تيقن أن هذا منكر, ولذلك إنكار المنكر لا بد له من شرطين:

الشرط الأول: أن يكون منكرًا معلومًا في الشرع, بمعنى أن الإنسان يعرف أن هذا منكر, كما لو رأيت إنسانًا يشرب الخمر, فهذا منكر, تعرف في الشرع أن هذا منكر.

الشرط الثاني: أن يكون هذا الفعل في حق فاعله منكَر, فإن كان في حق فاعله ليس بمنكر فلا يجب عليك أن تنكره, بل لا يجوز لك أن تنكره.

مثال ذلك: إنسان أكل في نهار رمضان في مكة مثلًا, فهنا تسأل, قد يكون هذا الرجل مسافرًا, فلا تنكر عليه, لأن المسافر يجوز له الإفطار, فتسأل أولًا ثم تُنكر بعد ذلك.

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما دخل سُليك الغطفاني, قال له: «أصليت يا سليك؟», قال: لا, قال: «قم فصل ركعتين وتجوَّز فيهما», فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا ثم أمره في الثاني, فلذلك الإنسان أولًا يسأل ثم ينظر فإن كان في حق فاعله منكرًا فتنكِر.

ومن الفوائد: أن إنكار المنكر على درجات: يكون باليد ثم باللسان, ثم بالقلب.

وإنكار اليد يكون لمن له سلطة وله ولاية, كالوالد على ولده, إذا رأى الوالد مثلًا ولده يشرب الدخان فيُنكر عليه بيده, بمعنى أنه يُبعد هذا الدخان عنه ويُتلفه.

أيضًا مَن له ولاية كمن له وزارة وتحته عمَّال ونحو ذلك: فإنه يُنكر عليهم باليد, بحيث يوقِع عليهم العقوبة إذا فعلوا المنكر ونحو ذلك.

الثاني: الإنكار باللسان, وهذا لمن كانت له قدرة أن ينكر بلسانه ولم يستطع بيده, فهذا يجب عليه أن يُنكر بلسانه, فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر, ويقول: لا تفعل هذا فإنه منكر, واتقى الله فإن هذا منكر.

الثالث: أن يغيِّر بقلبه, وهذا لمن ليس له ولاية ولا قُدرة له, ويخاف على نفسه من الأذى أو القتل أو الأذى في ولده, فهذا يجب عليه أن ينكر بقلبه, ولذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يكون عليكم أمراء, تعرفون منهم وتُنكروه», قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: «لا, ولكن من أنكر فقد سلم», والإنكار هنا بالقلب, فيجب على الإنسان أن ينكر المنكر.

ومن الفوائد: أن الإيمَان قد يضعُف وينقُص, وهذه عقيدة أهل السُنَّة والجماعة أن الإيمَان يزيد وينقص, ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وذلك أضعف الإيمَان».

وهنا مسألة مهمة: وهي أن إنكار المنكر المراد منه أن يزول أو يَخِف هذا المنكر, ولذلك إذا ترتب على إنكار المنكر أمورًا أعظم فلا يجوز الإنكار, وذلك أن إنكار المنكر على أربعة مراتب:

الحالة الأولى: أن يزول المنكر بالكلية: فهنا يجب الإنكار, ولهذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فليغيره», هذا هو المراد.

الحالة الثانية: أن يخف المنكر ولا يزول: فهنا يجب الإنكار, لأن هذا أدنى المفسدتين, ولذلك إذا أنكر الإنسان فخف المنكر فهنا يجب الإنكار, حتى لو لم يزل بالكلية.

الحالة الثالثة: أن ينتقل المنكر إلى منكر مثله: فهذا محل نظر: إن كان الأفضل أن ينكر فلينكر, وإن كان الأفضل ألا يُنكر فلا يُنكر.

مثال ذلك: إنسان أنكر على إنسان شُرب الدخان, فترك الدخان وشرب شيئًا آخر مثله , فهذا ذهب من منكر إلى منكر مثله, قد يكون الدخان أتعب له ونحو ذلك, فتنظر إلى المصلحة.

الحالة الرابعة: أن يُنكَر المنكر فيأتي منكرًا أعظم منه, وهذا لا يجوز أن ينكر, كما لو أن الإنسان أنكر على أبيه, فشتم أبيه لأجل الإنكار: هذا لا يجوز, لأن الآن وقع في عقوق, لأنه أنكر المنكر بمنكر أعظم منه.

وأيضًا لو أنكر إنسانًا على إنسان يشرب الخمر, رآه يشرب الخمر فقام هذا وقتله, هذا لا يجوز الإنكار, لأنه إذا كان هذا معروف بالقتل مثلًا رآه يشرب الخمر, هذا لا يجوز له الإنكار, لأن هذا يتسبب في منكر أعظم منه, فيقتله.

ولذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أتى على جماعة من التتار يشربون الخمر, وكانوا قد دخلوا بلاد المسلمين يقتلون المسلمين ويأخذون أموالهم, فبقوا مدة من الزمن يشربون الخمر, فمر بهم شيخ الإسلام وكان معه أصحابه, فلم ينكر عليهم, فقال أصحابه: لِمَ لم تُنكر على هؤلاء؟ قال: اتركوهم, يشربون الخمر ويقعون في معصية, ولا يقعون في قتل المسلمين, وهو أعظم معصية, هذا من فقهه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أنه ترك إنكار المنكر الذي

يترتب عليه أعظم منه, فيقول لهم: لو أنكرنا عليهم لتركوا الخمر وقتلوا المسلمين, فكونهم يشربون الخمر أهون من القتل.

ومن المسائل: أن إنكار المنكر يجب على كل إنسان بحسبه, ولو كان الإنسان يفعل المنكر, ولو كان الإنسان مقصرًا, ولو كان الإنسان عنده تقصير.

فمثلًا: إنسان يفعل معصية, فهل يُنكر؟ الجواب: نعم يُنكِر, حتى لو كانت عنده معصية, وذلك لأن الإنسان إذا ترك إنكار المنكر فقد وقع في أمرين:

الأمر الأول: ترك إنكار المنكر.

الأمر الثاني: فِعل المعصية التي هو يفعلها, وإذا أنكر وقع في أمر واحد وهو المعصية , ولكن الإنسان يجب أن يحذر من هذا الشيء: أن يفعل المعصية وينكرها: لئلا يُعاقَب, ولذا جاء في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيه», فيحذر الإنسان من أن ينكر شيئًا ويبقى على المعصية, ولكن مع هذا فينكِر أيضًا.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا خاف على نفسه أو ولده أو خاف أذى القتل فلا يجب عليه الإنكار, لأن الواجبات تسقط بعدم الاستطاعة, فإنكار المنكر يجب إذا توفر شرطين:

الأول: القدرة.

الثاني: ألا يخاف الإنسان على نفسه.

أيضًا من الفوائد: أن إنكار المنكر إن كان يتسبب في شتم الإنسان أو الوقيعة فيه والاستهزاء ونحو ذلك فهذا يجب عليه الإنكار ولايسقط عنه , لذلك من ينكر المنكر فقد يوقَع فيه, ولذا بين الله عَزَّ وَجلَّ أن لقمان قال لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾[لقمان: ١٧], فقوله: واصبر على ما أصابك دليل على أن سيؤذى إذا أنكر, سيؤذى بالقول, فإذا أُوذي بالقول فيجب عليه أن يصبر.

الحَدِيث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا»، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّر من أشياء ونهى عنها, وأمر بأشياء وحث عليها.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحاسدوا»: أي لا يحسد بعضكم بعضًا.

والحسد: هو تمني زوال النعمة عن الغير.

«ولا تناجشوا»: والنجش هو الزيادة في اللغة.

وأما في الشرع: هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراؤها.

قال: «ولا تباغضوا»: أي لا يبغض بعضكم بعضًا بحيث يأخذ بالأسباب التي تكون سببًا في أن يُبغض أحدكم الآخر.

قال: «ولا تدابروا»: أي لا يُدبِر بعضكم عن بعض, بحيث يوليه ظهره, بحيث يولي كل واحد منهما ظهره للآخر.

قال: «ولا يبع بعضكم على بيع بعض»: أي إذا عرض أخيك السلعة فلا تبع على بيعه.

قال: «وكونوا عباد الله إخوانًا»: يعني كونوا متحابين عابدين لله متآخين مجتمعين على طاعة الله.

قال: «المسلم أخو المسلم»: أي أن المسلم أخ للمسلم, وهذه الأُخوة في الدين.

قال: «لا يظلمه»: الظلم هو أن يتعدى على أخيه في ماله أو في دمه أو في أي شيء بغير حق.

قال: «ولا يخذله»: أي لا يترك نصرته, بحيث يتركه ولا ينصره.

قال: «ولا يَكذِبه»: أي لا يحدِّثه بكذب فيكذب عليه, وأيضًا لا يكذب عليه في البيع والشراء فيغشه, وأيضًا لا يكذب عليه إذا استنصح أخاه ونحو ذلك.

قال: «ولا يحقره»: أي لا يستصغره, ويرى أنه صغير في عينه.

ثم قال: «التقوى ها هنا»: التقوى هي فِعل الطاعة وترك المعصية, والتقوى هي بحيث أنه يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله وقاية, بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وقوله: ها هنا أي في القلب, لأنه أشار عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام إلى صدره.

قال: ويشير إلى صدره ثلاث مرات, أي يشير بيده يقول: هنا هناهنا أي إلى صدره.

فإذا اتقى القلب اتقت الجوارح.

قال: ثم قال: «بحسب امرئ من الشر»: أي يكفي المرء من الشر, «أن يحقِر أخاه»: أي أن يستصغره ويتكبر عليه.

ثم قال: «كل المسلم على المسلم حرام»: أي أن المسلم محرم على أخيه المسلم, محرم الدم, محرم العِرض, محرم المال ونحو ذلك.

ثم قال: « دمه»: بحيث لا يعتدي على دمه بقتل أو قطع يد أو إزهاق ونحو ذلك, وهذا محرم.

قال: «وماله»: أيضًا لا يعتدي على مال أخيه, بحيث يسرق منه أو يغصبه أو نحو ذلك.

قال: «وعِرضه»: العِرض هو موضع القدح, موضع الكلام بحيث لا يتكلم في ظهره فيغتابه ونحو ذلك.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: النهي عن الحسد, لأن الحسد مذموم, والحسد هنا المراد به تمني زوال النعمة عن الغير, وذلك لأن الحسد ينقسم إلى قسمين:

الأول: حسد محمود.

الثاني: حسد مذموم.

الأول: الحسد المحمود, وهو أن يتمنى الإنسان مثل ما لغيره مع بقاء هذا للغير, يعني يكون لأخيك المسلم شيء, فتتمنى مثله مع بقاءه له ولا يكره هذا الشيء له, فهذا محمود.

بمعنى أن أخاك المسلم حفظ القُرآن, فتتمنى وتغبطه, وتتمنى أن لك مثله مع بقاءه له, فهذا محمود, وهذه غِبطة, ولذلك هو أن يتمنى لِما للغير مع بقاء هذا الشيء للغير.

والدليل على ذلك: ما جاء في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا, فسلطه على هلكته في الحق, ورجل آتاه الله القُرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار», فيقول: لا غِبطة إلا في مثل هذا, فتتمنى مثله, وهذا محمود.

الثاني: حسد مذموم, وهذا فيه كراهة النعمة على الغير, ويترتب على ذلك أن يتمنى أن تزول عنه, هذا مذموم, بمعنى أن الإنسان إذا رُزق بمال أو بولد يتمنى هذا الشخص أن يزول عنه, وله ثلاث صور:

الأول: أن يتمنى زوال النعمة من الغير له, بمعنى أن تزول من أخيه المسلم وتأتي إليه, هذا محرم, يتمنى أن هذه النعمة تزول عن أخيه المسلم وتأتي إليه.

الثانية: أن يتمنى أن تزول النعمة من الغير إلى الغير, بمعنى أن يتمنى أن تزول من هذا الشخص ويكرهها له ويرضى أن تكون للآخر ويتمناها له, فلا يجوز.

الثالثة: وهي أشدها: أن يتمنى زوالها بحيث تذهب بدون أن تأتي إليه ولغيره, بمعنى أن يتمنى أن تزول هذه النعمة فقط, هذا من أشد الحسد وأذمه.

والحسد له مفاسد كثيرة: من مفاسد الحسد:

أن فيه اعتراض على قضاء الله وقدره, فالله عَزَّ وَجلَّ قسَّم الأرزاق وخلق الخلق, وأعطى من شاء, ومنع من شاء, فإذا حسد الإنسان غيره فقد اعترض على قضاء الله وقدره, والله عَزَّ وَجلَّ يقول: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٣].

ومن مفاسد الحسد: أن الحسد من أخلاق اليهود, فإذا حسد الإنسان أحدًا فقد وقع في صفة من صفات اليهود.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[النساء: ٥٤].

ومن مفاسد الحسد: أنه سبب أن يُعرِض الإنسان عن سؤال الله.

والدليل على ذلك: أن الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[النساء: ٣٢], فدل على أن الإنسان إذا رأى ما للغير وتمنى أن يزول يترك سؤال الله, فأمره الله عَزَّ وَجلَّ أن يسأل الله ويترك ما للغير.

ومن مفاسد الحسد: أنه سبب لأن يبغي الإنسان على هذا المحسود, وقد يصل إلى القتل, ولذلك ابني آدم لما حسد أخاه قتله, فلما حسده ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾[المائدة: ٢٧], بسبب الحسد, لأنه تُقبِّل من أحدهما والآخَر ما تُقبِّل منه, فحسد أخاه وقتله بسبب هذا الحسد.

أيضًا سبب لأن يقع في عِرضه لأنه كلما رأى أن هذا المحسود أُنعم عليه وقع في عِرضه, بدأ يتكلم فيه ويقول فيه كذا وفيه كذا.

أيضًا من مفاسد الحسد: أنه نارٌ على الحاسد, حريقة في قلبه, بحيث أنه يمرض ويقتل نفسه بنفسه.

وقد قيل:

عجبًـــا للحســـد مـــا أعدلـــه بـــــدأ بصـــــاحبه فقتلــــه

***

أول ما يبدأ به هذا الإنسان, فإذا رأى هذا المحسود أُنعم عليه زاد في قلبه النار واحترق.

ومن مفاسد الحسد: أنه سبب لأن يقع الإنسان في أن يصاب هذا المحسود بعين منه, لأن العين هي بسبب الحسد, فيقع في قلب الحاسد تمني زوال هذه النعمة فيُنظر إليه فتقع بإذن الله العين.

قد يقول قائل: هل للحسد علاج؟

الجواب: نعم, الحسد له علاج, ولذلك قد يقع الإنسان في قلبه الحسد ولكن له علاج ولله الحمد.

أولًا: أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ أن يُخرج هذا الحسد من قلبه.

ثانيًا: أن يرضى بما قدَّر الله له, الله عَزَّ وَجلَّ خلق الخلق وجعل لهذا كذا ولهذا كذا ولهذا كذا ولك كذا, فارض بما قسم الله لك.

أيضًا من أسباب ذهاب الحسد عن القلب: أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ للمحسود, يقول: اللّهم زِده, اللّهم أنعِم عليه, اللّهم وفقه, فهذا سبب في أن يُذهب الله عَزَّ وَجلَّ عن قلبه هذا الإنسان الحسد.

ومن أسباب ذهاب الحسد أيضًا: أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ كما لهذا الشخص من نِعم, يقول: اللّهم اجعل لي مثل ماله, وهذا ليس فيه بأس, ولكن المذموم أن يسأل الله عَزَّ وَجلَّ أن يزيلها عنه.

وأيضًا من أسباب علاج الحسد: أن يقنع الإنسان, كما تقدم.

أيضًا من الفوائد: النهي عن النجش, والنجش محرم, ومعنى النجش: أن يزيد الإنسان في سلعة لا يريد شرائها.

مثال ذلك: أن يذهب الإنسان إلى سوق, فيجد أحد الناس يبيع سيارة, لا يريد الشراء ولكن يزيد في القيمة, يقول هذا الشخص الذي يريد شراء السيارة: أريدها بمائة, فيقول له: بمائة وعشرة, قال الآخر: بمائة وعشرين, قال هو: مائة وثلاثين, لا يريد الشراء, لكن يريد الزيادة للشخص أو على الشخص.

قد يريد زيادة للشخص حتى يأتي هذا البائع مال, وقد يريد أن يضُر بالمشتري, يزيد حتى يتسبب في أذاه.

فالنجش محرم, وهو أن يزيد في السلعة مَن لا يريد شراؤها.

ومن الفوائد: أن المسلمين عليهم أن يحذروا من التباغض.

وأسباب التباغض: إما لأمور دنيوية, أو نحو ذلك, فيحذر من ذلك, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ولا تباغضوا»: بحيث أن يفعل أحدكم ما يكون سببًا في بُغض الآخر, بحيث يتكلم في عِرضه أو يشتمه أمام الناس, أو يمزح معه مزاحًا ثقيلًا, فهذا سبب التباغض, أو يؤذيه في أشياء عنده, يقول: أعطني كذا, أعطني كذا, حتى يُسبب التباغض, فنهى الناس عن التباغض.

من الفوائد: أن المسلمين أيضًا عليهم أن يحذروا من التدابر, فالتدابر له معنيان:

الأول: أن يولي أحدهما الآخر ظهره, بحيث إذا أرى هذا أعطاه قفاه, وأعطى الآخر قفاه وهكذا, وهذا من التدابر.

أيضًا من التدابر: التدابر بالقلوب, بحيث يجلسان عند بعضهما البعض ويتمنى أحدهما أن هذا لو ذهب عنه وأدبر, ويُبغض مكانه عنده, هذا من التدابر بالقلوب.

أيضًا من الفوائد: أن المسلم عليه ألا يبيع على أخيه المسلم, والبيع على المسلم له صور:

في القيمة: كأن يجد إنسان شخصًا يبيع سلعة في السوق بمائة ريال, فيقول: أنا عندي مثلها بتسعين ريال, نفس السلعة بتسعين ريال, فيترك هذا ويذهب, معه وهذا من البيع على الآخر, فلا يجوز.

أيضًا قد يكون في السلعة: أن يقول: أنا عندي نفس هذه السلعة ولكن أحسن, بنفس القيمة بمائة ريال.

أيضًا قد يكون في الأجل: كأن يقول: أنت إذا اشتريت هذه السلعة بمائة حاضرة أنا أبيعك نفس هذه السلعة بمائة مؤجَّلة, هذا كله من البيع على البيع على الآخَر.

ومن الفوائد: أن المسلمين عليهم أن يحرصوا على سبب المودة والمحبة, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كونوا عباد الله إخوانًا», بحيث أن الإنسان يكون إذا رأى أخيه المسلم يبتسم في وجهه.

أيضًا يُحسن الكلام معه.

أيضًا لا يستصغره, لا يشتمه, لا يقع في عِرضه, لأن هذا من أسباب المحبة.

أيضًا من الفوائد: أن الإنسان يحذر من الظلم, ولذلك قال: «ولا يظلمه», والظُلم ظُلمات يوم القيامة, ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «احذروا الظلم فإنه ظُلمات يوم القيامة».

أيضًا من الفوائد: أن المسلم ينصر أخاه, ونُصرة الأخ يكون إذا كان ظالمًا أو مظلومًا, فإذا رأيت المظلوم تنصره بحيث تُبعد عنه الظُلم.

وأيضًا تنصره ظالمًا, كيف تنصره ظالمًا؟ أن تمنعه عن هذا الظلم, ولذلك قالوا: يا رسول الله ننصره مظلومًا, فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم», وذلك نُصرة له.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يحدِّث أخيه المسلم بالصدق في البيع والشراء وفي النكاح وفي غير ذلك, تكون صادقًا مع أخيك المسلم.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يحذر من احتقار أخيه المسلم, والاحتقار قد يكون بالقلب وقد يكون باللسان وقد يكون بالفعل.

بالقلب: كأن يرى أخيه المسلم فلا يكون في قلبه له قدر, يستصغره ويحتقره, وهذا خطير, لأن هذا علامة على الكِبر, ولذلك الكبر هو غمط الناس, يرى أن الناس لا اعتبار

لهم عنده, فاحتقار المسلم بالقلب هذا قد يقع في قلب الإنسان, والله عَزَّ وَجلَّ يعلم ما في القلب , فلا تحتقر أحدًا من المسلمين.

وبالقول: كأن يشتمه, يقول: فلان كذا وفلان فيه كذا, يستصغره, هذا أيضًا من الكبر.

أيضًا بالفعل: كأن يكون أخاك المسلم حافظًا للقرآن فيتقدم عليه في الإمامة, أو يكون فيه شيء أفضل منك فتتقدم عليه, هذا احتقار بالفعل, أو يكون مثلًا رجل كبير في السن فتأتي إلى أحسن مكان في المجلس فتجلس فيه وتترك هذا الكبير في السن, وتبعده عنه هذا احتقار في الفعل.

ومن الفوائد: أن التقوى في القلب, ولكن التقوى في القلب وإذا اتقى القلب عملت الجوارح, ولذا جاء في الحَدِيث الذي مر معنا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد, فإذا قال لك قائل: أنا النية طيبة عندي, ولكن الظاهر ليس بطيب, فهذا غير صادق, وإذا كان الإنسان ظاهره حسن وقال: نيتي طيبة: هذه قرينة على صدقه.

أيضًا من الفوائد: أن احتقار المسلم شر, ولذلك قال: **«من الشر أن يحقر أخاه المسلم»**.

أيضًا أن المسلم على المسلم كله حرام: الدم والعِرض والمال, فلا يجوز للمسلم أن يتعرض لأخيه المسلم لا في دمه, بحيث يقتله أو يضربه أو يقطع يده أو نحو ذلك.

وأيضًا في ماله: لا يسرق ماله ولا يغصبه ولا يغشه ونحو ذلك.

وأيضًا في عِرضه: لا يتهمه في عِرضه ولا يؤذي نسائه ونحو ذلك, فكل المسلم على المسلم حرام حتى العِرض.

الحَدِيث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِي اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ», رَوَاهُ مُسْلِمٌ بهذا اللفظ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أعمالًا فيها فضل عظيم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي هريرة رَضِي اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن نفَّس عن مؤمن كربة»: من نفس: أي وسَّع, والتنفيس هو مأخوذ من إزالة الشيء الذي يأخذ بالنفس قال «مؤمن»: والمؤمن هنا يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص, يعني أي مؤمن على دين الإسلام.

قال: «من نفس عن مؤمن كربة», والكُربة هي ما يُكرِب ويأخذ بنَفَسِه بحيث يغتم لهذا الشيء.

قال: «كربة من كُرب الدنيا»: يعني تسبب في إزالة شيء عنه من كُرب الدنيا, كما لو كان عليه دين فقضاه عنه, أو مات له أحد فعزاه ونحو ذلك.

قال: «نفَّس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة»: أي أن جزاؤه أن الله عَزَّ وَجلَّ ينفِّس عنه كربة من كربات يوم القيامة, أي يزيل الله عَزَّ وَجلَّ عنه كُربة من كربات يوم القيامة.

قال: «ومن يسَّر على مُعسر»: والتيسير هو التسهيل, والمُعسر هو من تعسَّرت عليه الأمور, بحيث لا يجد قضاء دَينَهُ مثلًا أو نحو ذلك, فهو قد صعب عليه قضاء ما عليه.

قال: «يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ يسهل عليه أموره في الدنيا والآخرة.

قال: «ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة»: السِتر هو تغطية الشيء, بمعنى أنه ستر المسلم, وغطى القبيحة التي حصلت من هذا المسلم فلم يفضحه, فكان جزاؤه قال: «ستره الله في الدنيا والآخرة»: أي أن جزاؤه أن الله عَزَّ وَجلَّ يستره في الدنيا وفي الآخرة, جزاءً وفاقًا.

قال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»: أي أن العبد إذا سعى في حاجة أخيه فإن الله عَزَّ وَجلَّ ييسر حاجته حتى تنقضي.

فإذا سعى العبد في حاجة أخيه المسلم ليقضيها له, فإن الله عَزَّ وَجلَّ يجزيه بأن يسهل له أموره حتى تنقضي.

«ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا»: سلك يعني سار في هذا الطريق, السلوك هو المشي الذهني أو المشي الحسي بمعنى أن يمشي بقدميه.

سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا: أي علم, والعلم هنا المراد به العلم الشرعي: الكتاب أو السُنَّة أو نحو ذلك.

قال: «سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة»: يعني يسر الله عَزَّ وَجلَّ عليه وجعل هذا العلم سببًا في أن ييسر له الطريق إلى الجنة.

قال: «وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله»: ما هنا اسم موصول يفيد العموم, أي جماعة تجتمع في بيتٍ من بيوت الله, والقوم هم الجماعة, ويُطلق غالبًا على الرجال, ويمكن أن يكون يشمل النساء أيضاً, لأنه أحيانًا يدخل فيهم النساء.

قوم في بيت من بيوت الله: بيوت الله هي المساجد, وقد قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[النور: ٣٦].

قال: «يتلون كتاب الله»: يتلونه تلاوة علمية أو تلاوة لفظية, وكتاب الله هو القُرآن, ويدخل فيه ما كان من شرع الله, كقراءة الحَدِيث والتفسير ونحو ذلك.

قال: «ويتدارسونه بينهم»: يتدارسونه بمعنى يتفهمونه, يفهمون معانيه ويحفظون ألفاظه.

«إلا نزلت عليهم السكينة»: أي إذا حصل ذلك نزلت عليهم السكينة, والسكينة هي الطمأنينة, والطمأنينة هي التي يجدها الإنسان في نفسه.

«وغشيتهم الرحمة»: يعني غطتهم الرحمة, بمعنى أنها أحاطت بهم.

«وذكرهم الله فيمن عنده»: أي يذكرهم الله في الملأ الأعلى عند الملائكة, فيباهي بهم الملائكة.

قال: «ومن بطَّأ به عمله»: بطأ أي قلت حركته بسبب العمل, لأن السير في الآخرة يكون بالأعمال, فمن كان عمله قليلًا بطيئًا لم يُسرع به نسبه, يعني انتسابه إلى قبيلة ونحو ذلك لا يغنيه عنه شيء إذا كان عمله ضعيفًا.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث:

فضل تنفيس الكُرب عن المكروبين, وتنفيس الكُربة عن المؤمن فيها فضل, ولذلك تكون سببًا في أن يُنفِّس الله عَزَّ وَجلَّ عنه كُربة من كُرب يوم القيامة.

وتنفيس قد يكون بالجاه, وقد يكون بالمال, وقد يكون بالقول.

بالجاه: مثلًا إنسان أراد أن يدخل في وظيفة فشفعت له, فتكون سببًا لأن يدخل هذه الوظيفة, فهذا تنفيس كُربة.

أيضًا بالمال: كأن يكون إنسانٌ عليه دينٌ ولا يستطيع القضاء, فقلت: يا أخي هذا قدر من المال فأدي به دينك قرض مثلًا, فهذا تنفيس كُربة.

أيضًا قد يكون بالقول: كأن يكون إنسان مريض نفسياً مثلًا, فيه وسواس ونحو ذلك, فتقول له: هذا مجرد وسواس وتنصحه, فيترك هذا الوسواس, هذا تنفيس كُربة.

فالجزاء من الله عَزَّ وَجلَّ ينفِّس عنه كربة من كُرب يوم القيامة.

ومن الفوائد: أن كُرب القيامة كثيرة, ولذلك قال: «كُربة من كُرب يوم القيامة», فدل على أن الإنسان يوم القيامة يحصل له من الكُربات الشيء الكثير, ويوم القيامة يكون فيه كُرب تأخذ بنفس الإنسان, ويوم القيامة يومٌ عظيم, ولذلك قال: «نفَّس عنه كُربة من كُرب يوم القيامة», فدل على أن الكُرب كثيرة يوم القيامة.

ومن الفوائد: فضل التيسير على المعُسر, والتيسير على المُعسر بمعنى أن الإنسان يريد منه مال أو دين أو قرض, فييسر عليه, بمعنى تنظره أو ينقص عنه شيء من المال أو نحو ذلك, فهذا فيه أن الله عَزَّ وَجلَّ ييسر على الإنسان في الدنيا والآخرة.

وقد جاء في الحَدِيث أن رجلًا يقول الله عَزَّ وَجلَّ له يوم القيامة: ما عملت؟ فيقول: يا رب ما عملت من خيرٍ إلا أني كنت أُداين الناس, أعطي الدين, فأنظر على المعُسر, فقال الله عَزَّ وَجلَّ: نحن أحق بذلك منك, فيُدخله الله عَزَّ وَجلَّ الجنة, وهذا فيه فضل.

وأيضًا: أن الذي ييسر على المسلمين فإن الله عَزَّ وَجلَّ ييسر عليه في الدنيا والآخرة:

في الدنيا: ييسر عليه الطاعة, وييسر عليه الأعمال الدنيوية, ونحو ذلك, لأنه قال: «يسر الله عليه في الدنيا والآخرة».

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ ييسر عليه أيضًا في الآخرة, بمعنى أن الله عَزَّ وَجلَّ يغفر له ويثبته على الصراط, ويثبته عند السؤال ونحو ذلك.

ومن الفوائد: فضل ستر المسلم, والعيوب التي تكون في الإنسان تنقسم إلى قسمين:

الأول: عيوب خَلقية, بمعنى أن الإنسان خُلق فيه هذا الأمر, فتعرف أنت هذا العيب فإنه يُستحب أن تستر عليه, لأنه لا ينبغي أن تقول هذا الشيء, فإنسان فيه برص مثلًا أو فيه مرض معين في بدنة, ولا يطلع عليه الناس وأنت تعرف هذا الشيء, فتستر عليه, ما تقول: فلان فيه مرض, فلان فيه كذا.

القسم الثاني: أن يكون عيب خُلقي في الخُلق: بمعنى أن الإنسان يكون عنده عيوب في العمل ونحو ذلك, فهذا إذا كان بينه وبين الله, يعني يكون الإنسان فيه عيب بينه وبين الله

عَزَّ وَجلَّ, فإن كان هذا الإنسان معروف بالصلاح ولكن وقع في معصية في يوم من الأيام: فيُستحب أن تستر عليه.

بمعنى إذا كان الإنسان معروفًا بالصلاح ووقع في نظرة محرمة, أو وقع في سرقة, أو وقع في شُرب خمر, وأنت تعرف أن هذا الإنسان رجل صالح, فهذا يستحب أن يُستر عليه, لأنه قال: «من ستر على مسلم», وأيضًا لا يجوز أن يُفضح هذا الإنسان, إذا كان معروفًا بالصلاح, وقد قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[النور: ١٩].

الثاني: إذا كان هذا العيب مستمر في الإنسان: بمعنى أن هذا الإنسان لا يبالي, يجاهر بالمعاصي, يشرب الخمر أمام الناس ويغتاب أمام الناس, ويسب ويشتم في المجالس, أو يسمع الغناء في الطرقات: هذا لا تستر عليه, لأنه أصلًا فاضحٌ لنفسه, هو الذي فضح نفسه.

أيضًا الثالث: أن يكون عيبٌ بينه وبين المخلوق, بمعنى أن الإنسان يكون عنده عيب, وهذا تسبب في أذى مخلوق, فهذا لا يجوز أن تستر عليه, فمثلًا رأيت إنسانًا يسرق من آخر, لا تقول: أستر عليه, بل يجب عليك أن تقول: هذا سرق منك.

أو رأيت إنسانًا يؤذي جاره, ويضع مثلًا قاذورات عند الباب, فهذا لا تستر عليه, لأن هذا حق مخلوق تقول: فلان هو الذي فعل ذلك, لأن هذا يدخل في النصيحة كما مر معنا.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ يعين العبد إذا أعان العبد أخيه, فاحرص على إعانة أخيك المسلم, لأن الله عَزَّ وَجلَّ يكون في عون العبد, والله عَزَّ وَجلَّ يعامِل العبد بجنس عمله, فالجزاء من جنس العمل, إذا كُنت تحسِن إلى الناس فإن الله عَزَّ وَجلَّ يحسِن إليك, وإذا كنت تسيء إلى الناس فإن الله عَزَّ وَجلَّ يعاقبك بما تستحق, فالله عَزَّ وَجلَّ يعامِل العبد بما يعامل به أخيه.

ومن الفوائد: فضل طلب العلم, ولذلك قال: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا», وسلوك الطريق في لتماس العلم قد يكون حسيً, بمعنى أن الإنسان يمشي إلى مواقع العلم

لكي يستمع إلى درسٍ مثلًا, يذهب بقدميه إلى ذلك الدرس يريد العلم, هذا يكون سببًا في تسهيل الطريق إلى الجنة.

وقد يكون معنوي: بمعنى أن الإنسان يتفكر في الآيات والأحاديث ويتفهم معانيها.

ففيه أن الإنسان إذا سلك الطريق الذي يلتمس فيه علمًا فإنه يكون سببًا في سهولة الطريق إلى الجنة.

وأيضًا من فوائد العلم: أنه سبب في أن تنزل على مَن يجتمعون عليه السكينة, والسكينة هي الطمأنينة في القلب والراحة التي يجدها الإنسان, فهذه تكون فيمن اجتمع على طاعة الله في بيتٍ من بيوت الله.

وأيضًا تغشاهم الرحمة فتغطيهم.

وأيضًا يذكرهم الله عَزَّ وَجلَّ فيمن عنده, فيذكر الله عَزَّ وَجلَّ هؤلاء الناس عنده في الملأ الأعلى, فيقول: فلان وفلان وفلان اجتمعوا على طاعتي في بيتٍ من بيوتي, هذا العبد الضعيف يذكره الله عَزَّ وَجلَّ في الملأ الأعلى.

وقد خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه يومًا فقال: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ», فهذا فضلٌ عظيم فيمن يجتمع في بيت من بيوت الله ويطلبون العلم ويدرسون الكتاب والسنة.

ولذلك أحد الصحابة لما سمع أن الله عَزَّ وَجلَّ ذكر اسمه بكى, قال: يا رسول الله أسماني الله؟ قال: «نعم», فبكى, كيف لعبد يذكره الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا كان عمله ضعيفًا فلا يفيده انتسابه لأشرف الناس, إذا كان الإنسان عمله بطيئًا فلا يفيده الانتساب إلى أشرف الناس, فالإنسان يعامَل بعمله.

ولذلك الكرم حق الكرم هو في طاعة الله, إذا أراد الإنسان أن يكون كريمًا فعليه بطاعة الله.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣], فالكرم حق الكرم في طاعة الله, أما إذا كان الإنسان ضعيف العمل فإنه يتأخر.

ولذلك جاء في صحيح البخاري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

فليس الإنسان فضله بما ينتسب إليه, وإنما الإنسان فضله بسبب عمله, إذا كان عمل الإنسان طيبًا فإن هذا هو الطيب وإذا كان عمله سيئًا فإن هذا لا يفيد ولو كان ينتسب لشرف الناس.

الحديث السابع والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»,رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ في صحيحيهما بهذه الحروف.

الشرح

هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في الحَدِيث الذي رواه عن ربه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فيه أخبر أن الله عَزَّ وَجلَّ أثبت الحسنات وكتبها وكذلك السيئات, ثم بيَّن ذلك.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه: قوله: فيما يرويه عن ربه: هذا يسمى الحَدِيث القدسي, والحديث القدسي هو من الله عَزَّ وَجلَّ لفظًا ومعنى, ومن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبليغًا, فهو من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فينقله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

وبينه وبين القُرآن الكريم فروق تأتي إن شاء الله في الفوائد.

قال: فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تبارك يعني في ذاته, وهذه الكلمة لا تقال إلا لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

قال: تبارك وتعالى: يعني تعالى له العلو سُبْحَانَهُ وَتعَالَى من جميع الوجوه.

قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات**»: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ كتب هذه الحسنات وكتب هذه السيئات, والكتابة كتابة سابقة وكتابة عند العمل, سابقة يعني في اللوح المحفوظ, ولاحقة يعني عند العمل .

قال: «**ثم بيَّن ذلك**»: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ أظهر ذلك.

قال: «**فمن همَّ بحسنة فلم يعملها**»: مَن هنا شرطية, فمن همَّ بحسنة, الهم هو القصد, , والحسنة هي ما يحسُن فِعله, وهي من الحُسن, فالحسنة حسنة من حيث فعلها, فمن حيث الفعل فهي حسنة, ومن حيث أن يُرى الإنسان عليها فهو يحسُن له ذلك أن يُرى عليها, ومن حيث عاقبتها يعني في المآل في الآخرة فهي حسنة, فالحسنة تشمل حين الفعل فهي

حسنة من حيث ذاتها حسنة, ومن حيث أن الإنسان يُرى عليها يُحسن له ذلك ويُعجبه, ومن حيث ما يعقب الإنسان في الآخرة يطيب له ذلك ويحسُن له.

قال: «فمن همَّ بحسنة فلم يعملها»: يعني همَّ بهذه الحسنة فلم يعملها, قال: «كتبها الله عنده حسنة كاملة»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يُثبتها له حسنةً كاملة.

قال: «وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة»: أي أن العبد إذا همَّ بالحسنة فعملها كتبها الله عَزَّ وَجلَّ عنده عشر حسنات, والعندية تدل على القرب, وهذا من فضل الله عَزَّ وَجلَّ, بحيث أنه يجعل كتاب عبده عنده في الملأ الأعلى.

عشر حسنات: أي أن كل حسنة تُكتب عشر حسنات, ثم قال: إلى سبع مائة ضعف: أي أن الله عَزَّ وَجلَّ يضاعِف لمن يشاء سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

ثم قال: إلى أضعاف كثيرة: يعني فوق السبع مائة ضعف.

قال: «وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة», وإن همَّ يعني قصد سيئة, والسيئة ما يسوء الإنسان فعله, وهي سيئة من حيث أن الإنسان يُرى عليها, يسوئه ذلك ولا يُعجبه, وأيضًا سيئة من حيث مآلها في الآخرة, فهو يسوء الإنسان ما يعقب هذه السيئة.

قال: «وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملة»: أي أن هذا الإنسان إذا همَّ بالسيئة وتركها لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فإن الله عَزَّ وَجلَّ يكتبها حسنةً كاملة.

وهنا إذا تركها لله, ولذلك جاء في الحَدِيث الآخر أن الله عَزَّ وَجلَّ يقول للملائكة حين يهُم العبد بالسيئة: «إن عملها فاكتبوها سيئة, وإن تركها فاكتبوها حسنة, فإنما تركها من جرائي»: يعني من مخافتي.

قال: «وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة»: أي أنه إذا همَّ ثم سعى ففعل هذه السيئة فإنها تكتب سيئة واحدة لا تزاد ولا تُضاعف كما في الحسنة.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يروي الكلام عن ربه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, فيقول: قال الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ويسمى الحَدِيث القدسي.

وبين الحَدِيث القدسي والقرآن فروق:

من هذه الفروق:

أن القُرآن يُتعبد بتلاوته, بمعنى أنه يُقرأ في الصلاة ويُصلى به ونحو ذلك, والحديث القدسي لا يُتعبد بتلاوته, لا يُقرأ في الصلاة.

ومن الفروق أيضًا: أن القُرآن كله متواتر قطعي الثبوت, فالقرآن كله متواتر, أما الحَدِيث القدسي فمنه الصحيح ومنه الضعيف ومنه الحسن, فقد يوجد من الحَدِيث ما قد يكون ضعيفًا, وقد يكون حسنًا, وقد يكون صحيحًا.

ومن الفروق أيضًا: أن القُرآن معجِز في لفظه ومعناه, لا يمكن أن يأتي بمثله أحد من الجن والإنس, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨], يعني معينًا لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القُرآن, ولا كلمة ولا حرف واحد.

أما الحَدِيث القدسي فليس بمعجز في لفظه ومعناه, ما جعله الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى معجزًا في لفظه ومعناه.

ومن الفوائد: أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كتب الحسنات والسيئات, وكتابة الله عَزَّ وَجلَّ للحسنات والسيئات كتابة سابقة, يعني في اللوح المحفوظ قبل خلق الخلق, فيكتب الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى الحسنات والسيئات, فما يعمل العبد من عمل في الدنيا إلا وقد كُتب عليه, سواءً كان حسنًا أو سيئًا, ما يعمل الإنسان عملًا إلا وقد كُتب عليه حسنًا أم سيئًا.

وكتابة عند العمل: يعني إذا عمل الإنسان يُكتب عليه, ولذلك قال الله عَزَّ وَجلَّ: «اكتبوها له حسنة»: يعني في صحائف الملائكة.

ومن الفوائد: أن من همَّ بحسنة فإنها تُكتب له حسنة حتى ولو لم يعمل بها, والهم هو القصد, والإنسان من حيث ما يخطر في قلبه لا يخلو من حالات:

الحالة الأولى: الخاطرة, والخاطرة هي التي تمر على القلب وتذهب, هذه لا أثر لها, ولا يؤجر الإنسان عليها إن كانت حسنة ولا تكتب عليه سيئة إن كانت سيئة, مجرد خاطرة أتت في باله وذهبت, هذه لا أثر لها.

الثاني: حديث النفس وهو فوق الخاطرة, بمعنى أن الإنسان يحدِّث نفسه, يقول: سأفعل كذا, سيكون كذا, فهذا لا يُكتب على الإنسان ولا يحاسَب عليه حتى يعمل أو يتكلم, مهما كان ما في قلبه.

الثالث: أن يكون همٌ, والهم أعلى من حديث النفس, يكون الإنسان يقصد, يريد أن يفعل.

الرابع: العزم, والعزم هو أعلى من الهم, وقيل أنه هو الهم, أي أن الهم والعزم شيء واحد, وقيل: أن العزم أعلى من الهم.

والإنسان من حيث الهم في الحسنة لا يخلو من حالات:

الحالة الأولى: أن يهِم بالحسنة فيعملها, فالجزاء أنه يُكتب له عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة, أما العشر حسنات فهي ثابتة.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام: ١٦٠], فكل من عمل حسنة فإنه يُكتب له عشر حسنات.

والمضاعفة يضاعِف الله عَزَّ وَجلَّ لمن يشاء: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة: ٢٦١].

الثاني: أن يهِم بالحسنة فيعمل السبب ويعجز عنها, مثال ذلك: إنسان معه مبلغ من المال فأراد أن يتصدق به, فذهب يبحث عن الفقير فضاع هذا المال, فهذا يُكتب له الأجر كاملًا, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[النساء: ١٠٠].

الحالة الثالثة: أن يكون الإنسان من عادته فِعل الحسنة, ولكنه يحال بينه وبين الحسنة بسبب سفر أو مرض, مثال ذلك: إنسان كان يقوم الليل ثم سافر, أو إنسان كان يصوم الاثنين والخميس ثم مرض, فهذا يُكتب له الأجر كاملًا, كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي موسى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا».

الحالة الرابعة: أن يهِم بالحسنة فيتركها إما عجزًا أو كسلًا فإنه تُكتب له حسنة كاملة, كما في هذا الحَدِيث.

وهذا من فضل الله عَزَّ وَجلَّ أن الإنسان إذا نوى خيرًا وتركه حتى لو كان كسلًا فإنه يُكتب له حسنة كاملة.

ومن الفوائد: أن السيئات لا تُضاعف, السيئات من حيث الكمية لا تُضاعف, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام: ١٦٠], فالسيئة لا تُضاعف من حيث الكمية, ولكن قد تُضاعف من حيث الكيفية.

والإنسان من حيث الهم بالسيئة لا يخلو من حالات:

الحالة الأولى: أن يهِم بالسيئة فيعملها, فتُكتب عليه سيئة واحدة, كما في هذا الحَدِيث: «فإن همَّ بها فعملها فاكتبوها سيئة واحدة».

الحالة الثانية: أن يهِم بها ويخاف الله عَزَّ وَجلَّ ويتركها, فهذا يُكتب له حسنة, كما جاء في الحَدِيث الآخر: «وإذا هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة, فإنما تركها من جرائي».

الحالة الثالثة: أن يهِم بالسيئة ويفعل السبب ويعجَز, فينقطع دونها, فهذا يُكتب عليه الذنب كاملًا, نسأل الله العافية.

مثال ذلك: إنسان أراد أن يسرق, ثم فعل السبب: صعد الجدار وسقط وانكسر: فهذا تكتب عليه المعصية كاملة, كما جاء في الصحيحين من حديث أبي بكرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار», قالوا: يا رسول الله هذا القاتل, فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه».

الحالة الرابعة: أن يهِم بالسيئة ولكن يدعها, إما كسلًا وإما تشاغلًا, فهذا لا له ولا عليه.

الحَدِيث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةرَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ», رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن من عادى لله وليًا فإن الله عَزَّ وَجلَّ يُعلمه أنه محاربٌ له, وذكر فيه سبب نيل ولاية الله عَزَّ وَجلَّ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تعالى قال»: هذا يسمى الحَدِيث القدسي, لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينسبه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

«قال الله تعالى: من عادى لي وليًا»: مَن عادى: يعني جعل هذا الولي الذي لله عدو له, والعداوة ضد الولاية.

«من عادى لي وليًا»: والولي ولي الله عَزَّ وَجلَّ هو المؤمن التقي, الذي يتولاه الله عَزَّ وَجلَّ بحفظه ورعايته وكلائته.

«فقد آذنته بالحرب»: آذنته أي أعلمته أني محاربٌ له, ومن آذنه الله عَزَّ وَجلَّ بالحرب فقد أهلكه .

قال: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه»: يقول سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في الحَدِيث: ما تقرب إليَّ عبدي: أي ما تقرب بالعبادة, «إليَّ بشيء أحب إليَّ ما افترضته عليه»: أي ما جعله الله عَزَّ وَجلَّ واجبًا على العبد, فهو أحب شيء يتقرب به الإنسان إلى الله عَزَّ وَجلَّ, فالشيء الذي يحبه الله عَزَّ وَجلَّ أكثر هو الفريضة.

قال: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبه»: لا يزال يدل على الاستمرار والسير على هذا الطريق.

وقوله: عبدي: أي العبودية الخاصة.

قال: يتقرب إليَّ بالنوافل, والنوافل هي الطاعات التي هي مشروعة وليس بواجبة.

والنفل في اللغة هو الزيادة, فيأتي بالفرائض التي هي واجبة, ثم يأتي بالزيادة وهي النوافل.

قال: حتى أُحبه: حتى يحتمل أنها للغاية, يعني حتى يصل إلى أن الله عَزَّ وَجلَّ يحبه, يحبه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

قال: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به»: أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى إذا أحب الولي فإن الله عَزَّ وَجلَّ يسدده في سمعه, بمعنى أنه يحفظ سمعه من أن يسمع الحرام, هذا معنى كنت سمعه الذي يسمع به, بحيث لا يسمع إلا ما أحبه الله عَزَّ وَجلَّ, فيعصمه الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى في سمعه.

قال: «وبصره الذي يُبصر به»: أيضًا يكون الله عَزَّ وَجلَّ مسددًا له في بصره, بحيث لا يُبصر المحرمات, لأن الله عَزَّ وَجلَّ تولاه.

قال: «ويده التي يبطش بها»: يعني يده التي يأخذ ويُعطي بها بمعنى يسدده في يده, بحيث لا يبطش بيده في الحرام ولا يفعل بيده ما حرم الله عَزَّ وَجلَّ عليه, لأن الله عَزَّ وَجلَّ تولاه.

قال: «ورجله التي يمشي بها»: أيضًا يُسدده الله عَزَّ وَجلَّ في رجليه التي يمشي بهما, فلا يذهب ولا يطأ موطئًا يُغضب الله عَزَّ وَجلَّ.

قال: «ولئن سألني لأعطينه»: هنا توكيد, أي سألني مما يحتاج هذا الولي لأعطينه, أي أن الله عَزَّ وَجلَّ يعطيه هذا السؤل.

قال: «ولئن استعاذني لأُعيذنه»: يعني إن التجأ إليَّ لأجل أن أُبعد عنه الشر فإن الله عَزَّ وَجلَّ يعيذه بحيث يُبعده عنه.

هذا الحَدِيث فيه فوائد كثيرة:

من فوائد الحَدِيث: أن لله عَزَّ وَجلَّ أولياء من الناس, وولاية الله عَزَّ وَجلَّ تنقسم إلى قسمين:

الأول: ولاية عامة, بمعنى أن الله عَزَّ وَجلَّ يتولى جميع الخلق المؤمن والكافر, البر والفاجر, ونحو ذلك, وهذه الولاية مقتضاها أن الله عَزَّ وَجلَّ محيط بالخلق قُدرةً وعلمًا وسمعًا وبصرًا وخلقًا وغير ذلك من مقتضيات ربوبية الله عَزَّ وَجلَّ لخلقه, وهذه هي الولاية العامة التي هي ولاية الإحاطة, أن الله عَزَّ وَجلَّ محيط بالخلق, أحكامه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى تجري فيهم, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾[يونس: ٣٠].

القسم الثاني: ولاية خاصة: وهي التي مقتضاها الإعانة على الأمور الدنيوية والدينية.

ومن معانيها: أن الله عَزَّ وَجلَّ يحب هذا الولي ويقربه منه, ويتولى تسديده في فِعل الخيرات وترك المنكرات, ويتولاه الله عَزَّ وَجلَّ ويجعله مقربًا محبوبًا إليه, وهذه ولاية خاصة, وهي لكل مَن كان مؤمنًا تقيًا, فهو من أولياء الله الولاية الخاصة, قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[محمد: ١١], وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٦٢، ٦٣], فمن كان مؤمنًا تقيًا كان لله عَزَّ وَجلَّ وليًا, هذه الولاية الخاصة, وهي المرادة في هذا الحَدِيث, قال: «من آذى لي وليًا».

ومن الفوائد: أنه يجب أن يُحذر من معاداة أولياء الله, والعداوة إن كانت دينية فهي أشد, بحيث أن يعاديه لأجل دينه, وهذه من أشد ما يكون, فإن الله عَزَّ وَجلَّ يُهلِك هذا الإنسان الذي يعادي له وليًا.

وإن كانت دنيوية من باب الحسد والتكبر على هذا الولي فإنها شديدة أيضًا ينبغي الحذر منها, وهي لا تجوز, وهي محرمة, لأن الله عَزَّ وَجلَّ يُهلِك هذا الإنسان الذي عادى له وليًا.

ومن الفوائد: أنه لا أفضل من الفرائض تقربًا إلى الله عَزَّ وَجلَّ بها, بمعنى أن أفضل ما يقوم به الإنسان هو ما افترضه الله عَزَّ وَجلَّ عليه, بمعنى أنه يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويحج البيت ويزكي الزكاة المفروضة, ويقوم بما أوجبه الله عَزَّ وَجلَّ, فهذا أحب شيء يتقرب به الإنسان إلى الله عَزَّ وَجلَّ هذه الفرائض.

فلو قال إنسانٌ مثلًا: هل أقوم الليل أو أصلي الفجر في جماعة؟ الجواب الثاني, تصلي الفجر في جماعة هذا أحب إلى الله عَزَّ وَجلَّ وأفضل, لأن الفرائض أحب ما تكون إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: فضل النوافل, بحيث أن الإنسان يُكثر منها ويتعاهدها حتى يحبه الله عَزَّ وَجلَّ, والنوافل كثيرة: منها نوافل الصلاة, كالسنن الرواتب, وقيام الليل, وسنة الوضوء وما أشبه ذلك.

ومنها نوافل الصوم: كصيام الاثنين والخميس, وصيام الثلاثة أيام من كل شهر, وصيام يوم وفطر يوم.

ومنها نوافل الصدقة وهي التصدق على الفقراء والمساكين وغير ذلك, فالنوافل كثيرة, كنوافل الحج ونوافل العمرة وما أشبه ذلك.

فلا يزال الإنسان يتعاهد هذه النوافل يُكثر منها ويكثر منها حتى يحبه الله عَزَّ وَجلَّ.

وهذا هو المطلوب: أن الله عَزَّ وَجلَّ يحبك, كلنا نحب الله عَزَّ وَجلَّ ولا يكون الأنسان مسلمًا إلا من أحب الله عَزَّ وَجلَّ, ولا بد, وهو من أعظم العبادات, ولكن الشأن أن الله عَزَّ وَجلَّ الغني ذو الرحمة أن يحبك.

فهذا هو من أعظم المطالب: أن يسأل الإنسان أن الله عَزَّ وَجلَّ يحبه.

وذُكر في هذا الحَدِيث سبب محبة الله عَزَّ وَجلَّ للعبد: أن يؤدي الفرائض ثم يأتي بالنوافل, فيكون محبوبًا إلى الله عَزَّ وَجلَّ, يَصِل إلى محبة الله عَزَّ وَجلَّ له.

ومن الفوائد: أن شرع الله عَزَّ وَجلَّ منه فرائض ومنه نوافل, والفريضة هي الواجبة على كل مسلم, يجب على كل مسلم أن يأتي بها, هذه تسمى فريضة, الفرض هو الواجب على كل مسلم.

الثانية: النوافل, والنوافل هي الزيادة, بمعنى أن الإنسان يتعبَّد لله عَزَّ وَجلَّ بأمر مستحب ولا يجب عليه, فلو تركها ليس عليه شيء, ولكنه ترك شيئًا محبوبًا إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: أن الإنسان لا يكون فاعل للنوافل حتى يؤدي الفرائض, لأنه قال: «**مما افترض عليه, ثم لا يزال**»: يعني لا بد أن يأتي بالفرائض ثم يفعل النوافل, والنوافل في اللغة هي الزيادة, لا يكون الشيء زيادة حتى يأتي بالفرض.

ومن الفوائد: أن من صفات الله عَزَّ وَجلَّ أنه يحب, فمن صفات الله عَزَّ وَجلَّ أنه يحب, ومحبة الله عَزَّ وَجلَّ قد تتعلق بالزمان والمكان والعامل والعمل والقول.

تتعلق بالمكان: كما جاء في الحَدِيث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أُخرج من مكة نظر إليها وقال: «**والله إنكِ لأحب البقاع إلى الله, ولولا أن قومكِ أخرجوني منكِ ما خرجت**».

أيضًا بالزمان: كما جاء في حديث ابن عباس: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله عَزَّ وَجلَّ من هذه الأيام**», يعني الأيام العشر.

أيضًا العامل: كما قال تعالى لموسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾[طه: ٣٩], وقال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[النساء: ١٢٥], وهذه محبة شخص.

أيضًا محبة العمل: كما جاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله, أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها», قيل: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين», قيل: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله», هذا عمل محبوب إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

أيضًا القول: كما جاء في الحَدِيث الصحيح: «أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده».

فالله عَزَّ وَجلَّ من صفاته أنه يُحِب.

وأيضًا يُحَبُ سُبْحَانَهُ وَتعَالَى: قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤], فالله عَزَّ وَجلَّ يُحِب ويُحَبُ, ولكن صفات الله عَزَّ وَجلَّ خصائص له سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, لأنه ليس كمثله شيء.

ومن الفوائد: أن الإنسان إذا أحبه الله عَزَّ وَجلَّ فإن الله عَزَّ وَجلَّ يهديه, بحيث لا يسمع ولا يُبصر ولا يبطش ولا يمشي فيما حرم الله, وهذا من أعظم ما يكون أنه يسدده في حياته, بحيث أنه لا يسمع المحرم, ولو سمع المحرم اشمأزت نفسه واضطربت.

ولذلك إذا كان الإنسان محبًا للقرآن ويقرأ القُرآن فإنه يكره الغناء, قال ابن القيم:

حُب الكتاب وحُب ألحان الغناء   في قلب عبدٍ لا يجتمعانِ

***

لا يمكن أن يجتمع حُب القُرآن وحُب الغناء, إذا أحب هذا أخرج هذا, وإذا أحب هذا أخرج هذا, فإذا أحب الله عَزَّ وَجلَّ الإنسان فإنه لا يسمع إلا ما أباحه الله عَزَّ وَجلَّ, وإذا سمع ماحرم الله فإنه يشمئز وتضطرب نفسه.

أيضًا: أن الله عَزَّ وَجلَّ يسدده في بصره, بحيث لا يُبصر. إلا ما أباحه الله عَزَّ وَجلَّ له, ولو نظر إلى حرام لأشمأزت نفسه ولأبغض ذلك, بل إن الله عَزَّ وَجلَّ يعصمه بحيث أنه يغض بصره عما حرم الله عَزَّ وَجلَّ عليه, هذه من فوائد محبة الله عَزَّ وَجلَّ للعبد.

وأيضًا لا يبطش بيده إلى ما حرم الله, تجد أن الإنسان الذي أحبه الله عَزَّ وَجلَّ لا يمد يده على محرم, ولذلك عائشة رضي الله عنها تقول: ما ضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خادمًا ولا امرأة قط, إلا أن يقاتل في سبيل الله.

فيُسدد الله عَزَّ وَجلَّ العبد في يده, هذا لا يبطش بيده إلى ما حرم الله, وقد جاء في الحَدِيث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن, ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن», لا يمد يده على حرام وهو مؤمن, الله عَزَّ وَجلَّ يعصم هذا العبد.

وأيضًا في رجله لا يمشي إلى الحرام, فلو خطا الناس إلى مكان محرم فإن الله عَزَّ وَجلَّ يحجبه, بل إنه يبغض الذهاب إلى هذه الأماكن.

ومن الفوائد: أن الولي يستجيب الله عَزَّ وَجلَّ دعاءه, قال: «ولئن سألني لأُعطينه», فإذا أحبك الله عَزَّ وَجلَّ فإنك إذا سألته أعطاك, الله عَزَّ وَجلَّ يعطي العبد: إما أن يُعجِّل له في الدنيا, وإما أن يدَّخر له في الآخرة, وإما أن يصرف عنه من السوء مثل الذي دعاه.

فهذا من أسباب محبة الله عَزَّ وَجلَّ للعبد.

وأيضًا الله عَزَّ وَجلَّ يعيذه مما يخاف منه, فلو رأى مثلًا سبع أو شيء فقال: أعوذ بالله من هذا الشيء فإن الله عَزَّ وَجلَّ يعيذه, أو خاف من مجرمين فإن الله عَزَّ وَجلَّ يعيذه ويعصمه بحيث لا يصلون إليه, أو استعاذ بالله من الفتن, خاف أن يُفتن فقال: أعوذ بالله من هذه الفتن, فإن الله عَزَّ وَجلَّ يعصمه.

الحَدِيث التاسع والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ», حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيّ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن الله عَزَّ وَجلَّ تجاوز لأمته عن أشياء ثلاثة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله تجاوز»: تجاوز يعني عفا.

«تجاوز لي عن أمتي»: أمتي يعني أمة الإجابة.

«الخطأ»: الخطأ هو فِعل الشيء من غير عمد.

«والنسيان»: والنسيان هو ذهول القلب عن شيء معلوم.

«وما استكرهوا عليه»: والاستكراه هو أن يُكرَه الإنسان, وهو أن يُلجأ الإنسان على فعل شيء أو قول قولٍ لا يريده.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: أن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى تجاوز لأمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الأشياء الثلاثة.

وهذا الحَدِيث فيه مقال, ولذلك الإمام أحمد قال: هذا الحَدِيث مرسل, ولكن هذا الحَدِيث له شواهد, وأيضًا له ما يدل عليه من القُرآن الكريم, فمعاني الحَدِيث دل عليها القُرآن الكريم.

ولذلك الله عَزَّ وَجلَّ تجاوز لأمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه الثلاث.

أما الخطأ: فهو فعل الشيء عن غير عمدٍ, الله عَزَّ وَجلَّ تجاوز عن هذه الأمة الخطأ, والخطأ هو فعل الشيء من غير عمد.

وقد دل عليه القُرآن الكريم: قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦], فقال الله كما في الحَدِيث: «قد فعلتُ, قد فعلتُ».

وأيضًا النسيان, في الآية قال الله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦], فقال الله عَزَّ وَجلَّ: «قد فعلت, وقد فعلتُ».

والاستكراه: أيضًا الاستكراه, كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[النحل: ١٠٦], فقد عفا الله عَزَّ وَجلَّ عن هذه الثلاث.

ومن الفوائد: أن الأمة المراد هنا أمة الإجابة, والأمة المنسوبة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوعان:

الأول: أمة إجابة, وهم الذين استجابوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غُرًا محجلين من آثار الوضوء», هذه أمة الإجابة.

الثاني: أمة الدعوة, وهم كل مَن وُجِّهت إليه دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فالرسالة التي أرسل الله عَزَّ وَجلَّ بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجهة لجميع مَن بلغته, ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئتُ به إلا كان من أهل النار», هذه أمة الدعوة, فكل مَن بُعِث إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو من أمة الدعوة.

ومن الفوائد: أن الخطأ معفوٌ عنه, والخطأ هو فعل الشيء بلا قصد, بخلاف الخاطئ وهو الذي يفعل المعصية عن قصد, ولذلك قال الله عَزَّ وَجلَّ: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[الحاقة: ٣٧], هذا الخاطئ, أما المخطئ فهو الذي يفعل الخطأ بلا عمد.

ولكن الإنسان إذا أخطأ فإن كان الشيء مأمور به فإنه لا يأثم, ولكنه لا بد أن يأتي به إذا علِم خطأه, فمثلًا إذا الإنسان أخطأ وصلى بلا وضوء, يظن أنه على طهارة: ثم تذكر بعد ذلك أنه على غير طهارة: فإنه لا يأثم, ولكن يجب عليه أن يتدارك الخطأ وأن يتطهر ويصلي ويصحح الخطأ.

وأيضًا إذا صلى الإنسان قبل وقت الصلاة, فإذا علم بعد ذلك فإنه لا يأثم ولكن عليه أن يتدارك ويعيد الصلاة.

أما في باب التروك: فإنه لا يأثم ولا يضمن, إذا كان بينك وبين الله عَزَّ وَجلَّ, كما لو صلى وعليه نجاسة: فالصلاة صحيحة ولا يلزمه أن يعيد.

وأيضًا لو صلى وهو إلى غير القِبلة يظن أن القبلة إلى هذه الجهة, وقد اجتهد وأدى اجتهاده إلى أن القبلة ها هنا, ثم تبين له أنه أخطأ فلا يضمن, لا يعيد الصلاة.

أما إذا كان من باب الأوامر فيجب عليه أن يعيد.

أما إذا كان الخطأ بينه وبين الناس فإنه لا يأثم ولكنه يضمن, فلو مثلًا إنسان أتلف سيارة إنسان آخر من باب الخطأ: فإنه لا يأثم ولكنه يضمن, لأن حقوق المخلوقين مبنية على المشاحة.

وأيضًا النسيان, فلو أن إنسانًا نسي وصلى بغير طهارة فإنه لا يأثم, ولكن يجب عليه إذا تذكر أن يتوضأ ويعيد الصلاة.

وإذا كان من باب حق المخلوق فإنه ليس عليه إثم, فلو نسي وأكل طعامًا لغيره يظن أنه له, لا يأثم, ولكن يضمن, بمعنى أن عليه أن يأتي بطعام لهذا الشخص.

ومن الفوائد: أن الإكراه لا يؤاخذ عليه الإنسان, والإكراه هو أن يُلزَم الإنسان بفعل شيء قولًا أم فعلًا, كما يُكرَه الإنسان على قول الكفر, لو أُكره على قول الكفر فإنه لا شيء عليه, حتى لو أُكره على فعل الكفر أيضًا فإنه لا شيء عليه.

والدليل على ذلك: أن الله عَزَّ وَجلَّ قال: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النحل: ١٠٦].

فالإنسان في الإكراه لا يخلو من حالات:

الحالة الأولى: أن يكون الإكراه مُلجئ والإنسان لا اختيار له فيه.

مثال ذلك: إنسان أُخذ بقدميه فُضرب بإنسان آخر حتى مات: فهذا لا شيء عليه, لأنه أصبح الآن مثل الآلة, ليس عليه إثم.

ولو أُخذ إنسان مثلًا ورُمي من مكان شاهق فسقط على إنسان فمات هذا الإنسان الذي تحته: فإنه لا شيء عليه, لأنه أصبح الآن مثل الآلة.

الثاني: أن يكون مُلجئ وله اختيار فيه ولكنه أُلجئ, بمعنى أنه قيل له: إذا لم تفعل قتلناك, فهذا لا شيء عليه فيما بينه وبين الله عَزَّ وَجلَّ.

أما إذا كان بينه وبين المخلوق: فإن كان أعظم من الإكراه فإنه لا يجوز أن يفعل.

فمثلًا لو قيل لإنسان: اقتُل هذا الشخص أو قتلناك, فلا يجوز له أن يقتل, لأنه لا يجوز له أن يستبقي نفسه بقتل غيره, لأن نفسك ليست بأعز من نفس الآخَر.

أيضًا لو أُكره على الزنا: قيل له: تزني أو تُقتل؟ فيقول العلماء: أنه لا مكان للإكراه هنا, لأنهم يقولون: أن ذَكَرَ الإنسان لا ينتشر مع الإكراه, فكيف يقول أنا مكره وقد انتشر ذكره؟

في هاتين الحالتين لا إكراه فيهما: القتل , أو يزني, أما باقي الأشياء لو قيل له مثلًا: اضرب هذا الشخص أو قتلناك, فلو ضربه أخطأ ولكن أخف.

النوع الثالث من الإكراه: هو الإكراه غير المُلجئ: هذا لا يجوز للإنسان أن يوافق, فمثلًا لو قال إنسان مثلًا: اقتل هذا الشخص أو صفعتك, فلا يجوز له أن يقتله.

وأيضًا لو قيل له: اسجد للصنم أو سببتك, فلا يجوز له أن يفعل لأن هذا غير ملجئ.

الحَديث الأربعون

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، وَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ», وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِمَرَضِك، وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك, رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الشرح

في هذا الحَدِيث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصح ابن عمر نصيحة, وأوصاه بوصية جامعة مانعة.

قال: وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي: المنكب هو مجمع العضد .

وَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ»: كُن في هذه الحياة كأنك غريب, والغريب هو الذي يعيش مع الناس وهو ليس منهم, هذا يسمى غريبًا.

قال:«أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»: أو هنا بمعنى بل, أو عابر سبيل, وعابر السبيل هو المسافر الذي يمر في البلد ويمشي, وهذا أعظم, لأن المسافر أبعد عن الركون لهذا البلد.

قال: وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أي كان بعد هذه الوصية كان يقول: إذَا أَمْسَيْتَ: أي إذا دخلت في المساء أي الليل, فَلَا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، يعني لا تنتظر الصباح بالعمل وتؤجل العمل إلى الصباح, بل اعمل الآن العمل الصالح.

قال: وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ: أيضًا إذا عرض لك عمل صالح فلا تقل: أتركه إلى المساء, بل اعمله الآن.

وَخُذْ مِنْ صِحَّتِك لِمَرَضِك: يعني خُذ من الأعمال الصالحة واعمل حال الصحة حتى إذا مرضت وأنت قد عملت في وقت الصحة أعمالًا كثيرة.

وَمِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك: يعني من حياتك الدنيا لموتك في الآخرة, بمعنى اعمل في هذه الدنيا حتى تجازى يوم القيامة.

هذا الحَدِيث فيه فوائد:

من فوائد الحَدِيث: نُصح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, ولذلك كان ينصح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه.

قال ابن مسعود: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخولنا بالموعظة, فكان ينصح أصحابه عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام, فالنصيحة مطلوبة.

ومن الفوائد: أن الدنيا لا تساوي شيئًا, ولذلك قال: «كُن في الدنيا كأنك غريب», والغريب لا يركن للبلد, إذا كان الإنسان غريبًا فإنه لا يطمع في أن يبني المباني أو يكون مع هؤلاء أصحاب البلد فينافسهم لأنه غريب, ينتظر متى ينتقل إلى بلده.

هكذا الإنسان ينبغي أن يكون في الدنيا كأنه غريب, ولذلك لا يكثر الخُلطة ولا يستمتع بالدنيا أكثر مما هي عليه, فيكون كأنه غريب في الدنيا, لأن الإنسان مهما طال به العمر لا بد أن ينتقل من هذه الدنيا.

ولذلك جاء في الحَدِيث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما لي وللدنيا إلا كراكب استظل في ظل شجرة, ثم راح وتركها», الإنسان في هذه الدنيا كأنه بقي تحت شجرة قليلًا ثم مشى وتركها, هكذا الدنيا سريعة الانقضاء, لذلك الإنسان عليه أن يعرف حقيقة الدنيا, الدنيا كلها أيام ولياليٍ تذهب, كأن لم تكن.

ومن الفوائد: أن الإنسان عليه أن يرتقي أيضًا حتى يكون في الدنيا كأنه عابر سبيل, وعابر السبيل هو المسافر, والمسافر هو الذي يمر في البلد ويقطعها, والمسافر لا يرجوا أن يبني في البلد مباني, بل لا يأتي في باله, لأنه يعرف أن هذه البلد لن يقيم فيها.

هل المسافر الذي يمر ببلد يقول: سأبني هنا بيت وسأشتري هنا أرضًا؟ سأفتح هنا محلًا؟ الجواب لا, لأنه يمر مرور الكرام كما قيل, يمر بهذه البلد ولا يبقى فيها, هكذا الإنسان عليه أن يمر بهذه الدنيا, كأنه عابر سبيل.

والإنسان العاقل عليه أن يعرف حقيقة الدنيا, لأن الأنسان في الدنيا كل يوم ينقص من وقته ومن حياته.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يومٍ يُدنِي من الأجلِ

***

كل يوم يمضي عليك فأنت تقرب إلى ساعة النهاية, هكذا الدنيا.

ومن الفوائد: أن الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون, فإذا أتاهم العلم يعملون, ليسوا كحالنا, نحن نسمع النصيحة أو نسمع القول فيمضي- لا يستقر في القلب, أما الصحابة فيستقر.

لذلك ابن عمر كان ينصح, يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح, وهذا معنى قوله: «كن في الدنيا كأنك غريب», يقول ابن عمر: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح لأنك لا تعلم هل تُصبح أو تموت, فالإنسان لا يعلم إذا نام الليل هل يقوم غدًا, كم من إنسان نام في فراشه فما قام, وكم من إنسان ركب سيارته فما نزل منها, وكم من إنسان جلس في مجلس وكانت هذه آخر جلسة له, وكم من إنسان أمسى وأصبح يضحك وهو قد نُسجت أكفانه.

ولذلك يقول القائل:

تـــزود مـــن التقـــى فإنـــك لا تـــدري ... إذا جـــن ليـــل هـــل تعـــيش إلى الفجـــر
فكـــم مـــن فتـــى أمســـى وأصـــبح ضـــاحكًا ... وقـــد نُســـجت أكفانـــه وهـــو لا يـــدري
وكـــم مـــن صـــغار يُرتجـــى طـــول عُمـــرهم ... وقـــد أُدخلـــت أرواحهـــم ظُلمـــة القـــبر
وكـــم مـــن عـــروسٍ زينوهـــا لزوجهـــا ... وقـــد قُبضـــت أرواحهـــم ليلـــة العُـــرس

***

فلذلك هذه الدنيا سريعة الانقضاء, وتذهب كأن لم تكن.

ولذلك ابن عمر قال: اعمل إذا كنت في الليل لا تنتظر الصباح, وخُذ من الليل من الأعمال الصالحة, ولذلك كان هذا حال السلف رحمهم الله.

ومن الفوائد: أن الإنسان يحرص على العمل الصالح في حال الصحة, ولذلك قال: خُذ من صحتك لمرضك.

وهنا فائدة: الإنسان إذا كان في حال الصحة له عبادة لربه, يتعبد بها, يقوم الليل, أويصوم النهار, فإذا مرض وعجز عن هذا العمل فإنه يُكتب له كأنه يعمل, وهذا من رحمة الله عَزَّ وَجلَّ.

ولذلك جاء في صحيح البخاري: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا».

فإذا كنت صاحب عمل صالح فإذا مرضت فإن الله عَزَّ وَجلَّ يكتب لك الأجر.

ومن الفوائد: أن الإنسان يعمل الأعمال الصالحة قبل الموت, لأن هذه الدنيا هي دار العمل, الإنسان ليس له حياة أخرى يأتيها بعد الدنيا, الإنسان يمر بالدنيا ثم ينتقل إلى الآخرة ولا يعود, للدنيا إذا خرج منها.

ولذلك جاء في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ٩٩، ١٠٠], إنما هي مجرد كلمة ولن يعود إلى الدنيا.

فالإنسان إذا خرج من الدنيا لا ينفعه التحسر ونحوه.

الحَدِيث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ», حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

الشرح

في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا يكمل إيمان عبد حتى يكون ميله لشرع الله عَزَّ وَجلَّ الذي أتى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن»، أي لا يكمل إيمان عبد، «لا يؤمن أحدكم»: يعني معشر الأمة، «حتى يكون»: حتى للغاية.

«حتى يكون هواه»: يعني ما تهواه نفسه وتميل إليه، «تبعًا لما جئت به»،: يعني يكون محبته تابعة لشرع الله الذي جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

في هذا الحديث فوائد:

من فوائد الحديث: أن الإيمان قد يُنفى ويراد به كماله لا أصله، وذلك أن نفي الإيمان ينقسم إلى قسمين:

الأول: نفي أصل، وهذا المراد به أن الإنسان إذا نُفي عنه فإنه يخرج من دين الإسلام، وهذا يُنفى عن من أتى بناقض من نواقض الإسلام، فيُنفى عنه الإيمان بالكلية.

الثاني: نفي كمال، مع أن أصل الإيمان موجود، ويُنفى كماله كما في هذا الحديث, ولذلك في هذا الحديث المراد به نفي كمال الإيمان لا أصله.

ومن الفوائد: أن الهوى قد ويراد به محبة شرع الله، والهوى إذا أُطلق فغالبًا أنه يراد به الهوى المذموم، إذا أطلق بدون أن يقيد بشيء, ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨].

وأما إذا قُيِّد: فهو يقيد بما يقيد به, فقد يكون محمودًا, كما في هذا الحديث , وذلك أن الهوى هو ما تميل إليه النفس وتشتهيه.

ومن الفوائد: أن الإنسان لا يكمل إيمانه حتى يكون محبته تبعًا لشرع الله عَزَّ وَجلَّ, فيقدم شرع الله عَزَّ وَجلَّ على ما تهواه نفسه, فلا يكمل إيمان إنسان حتى يكون هذا فِعله.

وهذا الحديث كقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].

فالإنسان لا يكمل إيمانه ولا يصل إلى حقيقة الإيمان حتى تكون محبته تابعة لشرع الله،فيقدِّم محبة الله عَزَّ وَجلَّ ومحبة ما يحب على محبته نفسه، فإذا وصل إلى هذا كمل عنده الإيمان.

الحَدِيث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتنِي وَرَجَوْتنِي غَفَرْتُ لَك عَلَى مَا كَانَ مِنْك وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُك عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتنِي غَفَرْتُ لَك، يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّك لَوْ أَتَيْتنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُك بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً», رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشرح

في هذا الحديث الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى فيه يبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعة رحمة الله عَزَّ وَجلَّ, وأنه يغفر الذنوب جميعًا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قال الله تعالى»: هذا الحَدِيث القدسي الذي ينسبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربه.

قال:«يا ابن آدم»: بنو آدم هم جميع البشر، لأن جميع البشر يعودون لآدم أبيهم.

قال: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني»: يعني سألتني أن أغفر لك.

«ورجوتني»: يعني رجوت مغفرتي وطمعْت فيها.

«غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»: يعني تجاوزت عن ذنبك وخطيئتك وسترت عليك، ولا يكثر هذا عندي.

قال: « يا ابن آدم»: وهذا نداء آخر.

«يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء»: لو بلغت يعني لو وصلت مبلغها عنان السماء.

عنان السماء: هو ما يعنّ للإنسان إذا رفع بصره، وقيل: إلى حد السماء.

وقيل: السحاب، لأن العنان يطلق ويراد به السحاب.

قال: «عنان السماء، ثم استغفرتني»:استغفرتني، يعني طلبت مني أن أغفر لك.

«غفرت لك»: يعني لو وصلت ذنوبك إلى أن وصلت إلى السحاب، ثم سألتني المغفرة، راجيًا مغفرتي وسائلًا أن أغفر لك، غفرت لك هذه الذنوب ولا يكثر عندي.

قال: «يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا»: وهذا نداء ثالث.

قال: «يا ابن آدم، إنك لو أتيتني»: يعني لو جئت إليَّ ولقيت الله عَزَّ وَجلَّ يوم القيامة.«بقراب الأرض»: يعني ما يقارب الأرض، يعني من قُرب ما يملأ الأرض.

«خطايا»: يعني ذنوب وسيئات.

«ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا»: أي لم تقع في شرك لا أكبر ولا أصغر، لأنه قال: «شيئًا»، وشيئًا نكرة في سياق النفي فتفيد العموم.

والشرك هو أن يساوي بالله غير الله عَزَّ وَجلَّ في ما هو من خصائص الله.

قال: «لأتيتك بقرابها مغفرة»: يعني لجئتك وأسدلت عليك قرب ما جئت به مغفرة، يعني لأسبغت عليك المغفرة إسباغًا.

في هذا الحديث فوائد:

من فوائد الحديث: أن البشر يعودون لآدم عليه السلام، وآدم هو أبو البشر، خلقه الله عَزَّ وَجلَّ بيده، وأسجد له الملائكة، وكان في جنة عدن، ثم أُنزل إلى الأرض لحكمة يريدها الله عَزَّ وَجلَّ.

وسمي آدم: من أديم الأرض، لأنه خُلق من جميع الأرض، وقيل لأنه عليه السلام كان به أُدمة، يعني سمرة، والله أعلم.

ومن الفوائد: فضل دعاء الله عَزَّ وَجلَّ، لأنه قال: «إنك ما دعوتني»:فإذا دعا الإنسان ربه سُبْحَانَهُ وَتعَالَى فإن الله عَزَّ وَجلَّ كريم، قريب العطاء.

ومن الفوائد: أنه ينبغي للإنسان إذا دعا الله عَزَّ وَجلَّ أن يرجوه, والرجاء هو تمني حصول الشيء قريب المنال والطمع فيه, هذا هو الرجاء, فيرجو الإنسان أن يعطيه الله عَزَّ وَجلَّ ويغفر ذنبه.

والرجاء المحمود: هو الذي يكون معه توبة أو يكون معه عمل صالح، فهذا هو الرجاء المحمود, ولذلك قال: «ما دعوتني ورجوتني غفرت لك», فيسأل الله عَزَّ وَجلَّ داعيًا إياه طالبًا راجيًا له.

ومن الفوائد: أن الله عَزَّ وَجلَّ يغفر الذنب مهما عظم, فالله عَزَّ وَجلَّ لا يتعاظمه ذنب مهما كان, ولذلك قال: «غفرت لك ولا أبالي»، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يفعل ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

ورحمته ومغفرته واسعة, وسعت رحمته سُبْحَانَهُ وَتعَالَى كل شيء، ومغفرته واسعة سُبْحَانَهُ وَتعَالَى , وهذا الحديث كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٥٣], وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: ١١٠].

الإنسان إذا ظلم نفسه ووقع في معصية، ثم رجع إلى الله عَزَّ وَجلَّ فإنه يجد الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى توابًا رحيمًا, ولكن لا بد من الرجوع إلى الله عَزَّ وَجلَّ.

ومن الفوائد: أن الذنوب قد تكثر على الإنسان فيكون مسرفًا على نفسه, ولذلك قال: «لو بلغت ذنوبك عنان السماء», هذا فيه دليل على أن الإنسان قد يُذنب حتى يكثر عليه الذنب.

والذنوب خطيرة؛ لأن الذنوب سبب في أن يطبع على قلب الإنسان، وقد يخرج إلى الكفر، نسأل الله العافية.

ولذلك قال العلماء: أن المعاصي بليد الكفر,وذلك أن الإنسان يعصي- ثم يعصي- ثم يعصي حتى يتجاوز بها الحد حتى يصل إلى ظلمة القلب، فقد يموت على الكفر, نسأل الله العافية, ولذلك المعاصي خطيرة.

ومن الفوائد: أن الذنوب وإن كثرت فإن الإنسان إذا سأل الله عَزَّ وَجلَّ واستغفره فإنه يغفر له سُبْحَانَهُ وَتعَالَى, ولذلك قال: «لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك»: فالعبد مهما وقع من ذنب ثم استغفر الله فإن الله عَزَّ وَجلَّ يغفر له.

ولكن لا بد من توبة مع الاستغفار, لا بد من توبة, ولذلك أمر الله عَزَّ وَجلَّ بالتوبة والاستغفار, فإذا تاب الإنسان إلى الله عَزَّ وَجلَّ واستغفره فإن الله عَزَّ وَجلَّ يغفر له.

ولذلك جاء في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة», وفي رواية: «سبعين مرة».

ومن الفوائد: أن الإنسان لو أتى يوم القيامة بذنوب عظيمة وكثيرة ثم لقي الله عَزَّ وَجلَّ بالتوحيد الخالص الذي لا يشوبه الشرك، فإن الله عَزَّ وَجلَّ قد يغفر له, ولذلك قال: «لو أتيتني بقُراب الأرض»: يعني ما يقارب الأرض من خطايا, «ثم لقيتني لا تشرك الإِيمَان شيئًا», وشيئًا هنا نكرة, «لأتيتك بقرابها مغفرة».

وقد جاء عند الترمذي: أن رجلًا يوم القيامة يقام فيُنشر له تسعة وتسعون سجلًا, كل سجل مد البصر, فيقال: «أتُنكر هذا الشيء؟ فيقول: لا يا رب, فيقول: هل لك من حسنة؟ فيقول: لا, فيقول الله عَزَّ وَجلَّ: بلى، إن لك حسنة، إنك لا تظلم اليوم, فتُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله, فتُوضع البطاقة في كِفة

والسجلات في كفة، فتطيش السجلات»، معنى أن البطاقة تثقل, قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«فلا يثقل مع اسم الله شيء».

ولكن اعلم أن المعاصي تضعف التوحيد، وذلك أن الإنسان لو عظم الله عَزَّ وَجلَّ حق التعظيم ما عصاه. لا يمكن الإنسان أن يعظم الله عَزَّ وَجلَّ ويعصيه.

ولذلك يقول شيخ الإسلام: أن المعاصي سببها ضعف التوحيد, ولو قوي التوحيد في قلب الإنسان يبعُد أن يعصي الله عَزَّ وَجلَّ, ولذلك يوسف عليه السلام لما راودته المرأة تذكَّر, قال:

﴿هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[يوسف: ٢٤], قيل أنه الإيمان في قلبه, فخشية الله عَزَّ وَجلَّ وخوفه وتعظيمه في قلبه حجبه عن هذه المعصية.

وأيضًا الرجل الذي جاء بين شُعب المرأة وراودها عن نفسها وهي ابنة عمه، قالت: اتق الله ولا تقضِ الخاتم إلا بحقه, فقام خوفًا من الله عَزَّ وَجلَّ فقام وتركها، فكان سببًا في إجابة الدعاء،فهذه قاعدة:أن التوحيد إذا قوي، فإن الإنسان يبعُد أن يعصي الله.

ومن الفوائد: سِعة مغفرة الله عَزَّ وَجلَّ، فالله عَزَّ وَجلَ يغفر الذنوب العظيمة، فالله عَزَّ وَجلَّ غفور وغفار، وغفور للذنب العظيم، وغفار لكثرة الذنوب.

ولكن الإنسان عليه أن يتوب إلى الله عَزَّ وَجلَّ ويرجع إليه، لأن من الناس مَن عنده غرور، يغتر بالله, نسأل الله العافية، لأنه يعصي ويظن أن الله عَزَّ وَجلَّ يغفر له.

وهذه كعقيدة المرجئة، المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب, يعني مهما وقع الإنسان في المعاصي ما دام أنه على الإيمان، فهذا لا يضر.

وهذا خلاف الحق، بل إن الله عَزَّ وَجلَّ قد توعد بعض العصاة, وقد ثبت في الصحيح أن أناسًا من المسلمين يدخلون النار ولاكن لايخلدون ، ومن المسلمين من يعذب في القبر، ومن المسلمين من يعذب يوم القيامة، ومن تخدشه الكلاليب على الصراط, وهكذا, وهذا بسبب الذنوب مع أنه على التوحيد.

ولذلك لا يغتر الإنسان، لا يغتر بالمعاصي ويقول: الله عَزَّ وَجلَّ غفور رحيم, ولكن إذا تبت إلى الله فأبشر بالخير، فإن الله عَزَّ وَجلَّ يقبلك ويغفر لك مهما عظم الذنب.

لذلك بعض الناس الآن يذنب ويتمنى المغفرة، وهذا خطأ، لأن الله عَزَّ وَجلَّ وتوعد في كثير من المعاصي, قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء: ١٠], فتوعد الله عَزَّ وَجلَّ العصاة بالعذاب, وقد يغفر الله عَزَّ وَجلَّ لمن يشاء حتى لو لم يتب, حسب ما شاء سبحانه وما اقتضته حكمته.

ولكن إذا تاب الإنسان إلى الله عَزَّ وَجلَّ فمهما فعل من ذنب فإن الله عَزَّ وَجلَّ يغفر له, وقد جاء في الصحيح: أن رجلًا قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثم أتى إلى رجل عابد, فقال: هل لي من توبة؟ قال: لا, فقتله، فأكمل به المائة, ثم أنه بدا له أن يتوب، فأتى إلى رجل عالم، فقال: هل لي من توبة؟ قال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة، ولكن أخرج إلى بلد كذا وكذا, ثم خرج، فأدركه الموت في الطريق, فنزلت ملائكة العذاب وملائكة الرحمة، واختصموا فيه, فقالت ملائكة العذاب: لم يفعل خيرًا قط, وقالت ملائكة الرحمة: أتى تائبًا، فأنزل الله على ملَك على صورة بشر, فقال: قيسوا المسافة بين الأرضين، فأيتهما كان أقرب فهو لها, فقال الله عَزَّ وَجلَّ للأرض التي هاجر إليها أرض الصلاح: تقاربي, وقال للأرض الأخرى: تباعدي, فقاسوا، فوجدوه قد قرب من الأرض التي خرج مهاجرًا إليها, فقبضته ملائكة الرحمة, هذا يدلك على سعة رحمة الله عَزَّ وَجلَّ, مع أن هذا الرجل لم يعمل خيرًا قط, ولكنه خرج تائبًا, أراد أن يرجع إلى الله.

فالمراد أن الإنسان إذا تاب إلى الله، فإن الله عَزَّ وَجلَّ يتوب عليه.

وبهذا نكون قد ختمنا الأربعين النووية.

نسأل الله عَزَّ وَجلَّ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع, ويتقبل مني ومنكم العمل الصالح.

والله أعلم

وصل الله وسلم على نبينا محمد.